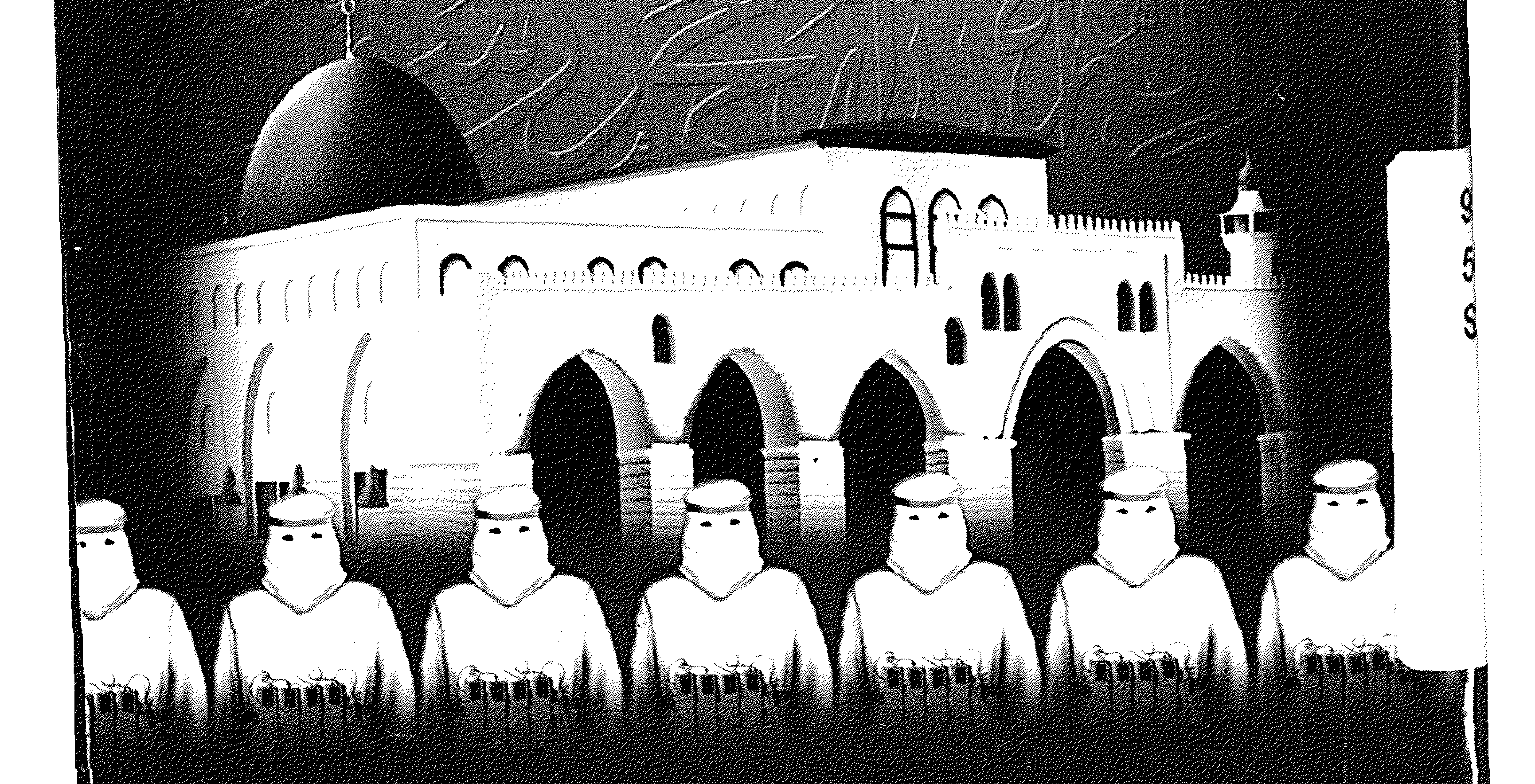
كتاب القدس (١٨)

القنابل الاستشهادية

توازن ردع وبشائر نصر

د. وجدي عبد الفتاح سواحل



إهـــــــداء٢٠٠٦
مركز الإعلام العربي
القاهرة

د. وجدي عبد الفتاح سواحل

القنابل الاستشهادية

توازن ردع وبشائر نصر

سلسلة كتاب
القدس (18)



- الكتاب: القنابل الاستشهادية
- المؤلـف: د. وجدي عبد الفتاح سواحل
- السلسلة: كتاب القدس
- قياس الصفحة: ١٤×٢٠
- رقم الإيداع: ١٨٧٦٩ / ٢٠٠٢

مركز الإعلام العربي

ص. ب ٩٣ الهرم ـ الجيزة ـ مصر

- هاتف: ٣٨٣٣٣٦١ / ٠٠٢٠٢

٣٨٤٤٤٢٢ / ٠٠٢٠٢

- فاكس: ٣٨٥١٧٥١ / ٠٠٢٠٢
- الموقع على شبكة الإنترنت:

Home Page:www.Resalah4u.com.

- البريد الإليكتروني:

E .Mail:media-c@ie-eg.com



الإخراج الفني:

عصام العبد

تصميم الغلاف:

إيهاب عبد الله

- الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م



بسم الله الرحمن الرحيم

◈◈ تقـــــــديم ◈◈

منذ قيام الدولة والجيش الإسرائيلي يلعب فيها دورًا متميزًا، فقضية الأمن والحفاظ على الدولة من القوى المتربصة بها جعل "جيش الدفاع الإسرائيلي" محور العمل في دعم الدولة وحمايتها، لكن لم ينجح العسكريون في تحقيق الأهداف التي حددها شارون، في قمع الانتفاضة خاصة، وأن الفلسطينيين دخلوا مرحلة من الكفاح المسلح ضد إسرائيل نقلوا بها معركتهم إلى داخل الخط الأخضر - حدود عام ١٩٦٧ - وكان للعمليات الاستشهادية في تل أبيب والقدس الغربية وغيرهما من المدن الإسرائيلية صدى موجع لدى الرأي العام في إسرائيل، حيث أكدت للإسرائيليين أن قواتهم العسكرية والأمنية لم تمنع أو تحول دون دخولهم إلى عمق إسرائيل، بل وأكدت فشل سياسة شارون في تحقيق الأمن للدولة والمواطن. والأكثر من هذا ذلك التحول النوعي للعمليات الفلسطينية ضد القوات الإسرائيلية في المناطق المحتلة، حيث دمرت إحدى الدبابات التي تعتبر فخر الصناعة العسكرية- ميركافا- واصطياد بعض القيادات من الضباط والجنود.

لقد تميزت انتفاضة الأقصى بسيل من العمليات النوعية المتميزة، والتي تكشف عن عبقرية المقاومة الفلسطينية عند اتخاذها، وقد حاول كل فصيل مقاوم الاصطباغ بنوع مميز من العمليات. فقد امتازت بعض العمليات

بعدد القتلى الكبير في حين امتازت الأخرى بالمهارة في ضرب العمق الأمـــني واجتياز الحواجز المصطنعة. وحيث إن الاستشهاد كان الأبـــرز والأنجـــح في عمليات التفجير إلا أنه تنوع بالاختراق بطريقة "الكومـــاندوز" والمواجهـــة المباشرة. وقد أضيف إلى المعركة سلاح الهاون، وصواريخ لاو، والتفجير عـــن بعد، والتنصت على شبكة الخلويات الإسرائيلية وحرب الشوارع، التي انتصر فيه المقاومون الفلسطينيون.

وبالرغم من أنه لا يستطيع أحد الإحاطة بتفاصيل الجريمة المروعـــة، فالدم يمتد على ساحة فلسطين بامتداد الرصاص الإسرائيلي الغـــادر، ومـــا ترصده وسائل الإعلام من جرائم وعمليات قتل وهجمات عدوانية همجيـــة سوى جزء يسير من ممارسات قوات الاحتلال الإسرائيلي البشعة بحق الشعب الفلسطيني الأعزل، حيث أطفال يغتالون لا لشيء سوى أنهم غـــير يـــهود، وشباب يمزق الرصاص أفئدتهم فقط؛ لأنهم حاولوا النهوض في وجه الاحتلال لا يملكون سوى غضبهم وإرادتهم الصلبة وحجرا، قصص ومشاهد هـــزت مشاعر وقلوب العالم لكنها كما يبدو لم تحرك ضمير أي إســـرائيلي، فقـــد فشل الجيش الإسرائيلي في وأد الانتفاضة الفلسطينية، سواء بعمليـــة" حقـــل الأشواك" أو المائة يوم التي حددها شارون، أو" نار جـــهنم" أو العمليـــات الكبرى المسماة "بالسور الواقي"؛ لأن الظروف التي قاتل فيـــها في حـــروب سابقة غير هذه الحرب التي يمكن أن ينتصر فيها الضعيف الذي يدافـــع عـــن أرضه؛ لأنه لا ملاذ له غيرها يمكن أن يأوي إليه.

عندما اتخذت المقاومة الفلسطينية قرارها باستغلال الطاقات البشرية الكامنة في رجالها الصناديد لمواجهة آلة الحرب الإسرائيلية، جعلت منهم قنابل بشرية تسمى "استشهاديين" لتحدث الرعب، وتزرع الخوف والقلق في نفوس الصهاينة المحتلين بشكل يوازي الخوف والرعب الذي يحدثه الاحتلال يوميا في نفوس الأطفال والأمهات والشيوخ. ولأن أبناء فلسطين الشرفاء اختاروا إحدى الحسنيين "إما النصر وإما الشهادة" كان لزاما عليهم الثبات والصمود والابتكار في أساليب المقاومة؛ لأن ألفي قذيفة من كلام لا تساوي قذيفة من حجارة مع هذا العدو المتغطرس.

وتعتبر العمليات الاستشهادية السلاح الأهم، الذي تمتلكه المقاومة الفلسطينية اليوم، فهو فعال جدا في إلحاق أكبر الخسائر في صفوف العدو الصهيوني، وهو متوفر أيضا لا يمكن منعه أو تجفيف ينابيعه، ويرى كثير من المراقبين والمحللين أنه على الرغم من الفروق الشاسعة والتي لا يمكن مقارنتها بين الإمكانات التسليحية للعدو الصهيوني وترسانته المعروفة، وجيشه المدرب والمجهز جيدا من جهة وبين المقاومة الفلسطينية المسلحة بمختلف أطيافها من جهة أخرى، إلا أن هذا الجيش وكل الأجهزة الأمنية الصهيونية وقفت وتقف عاجزة أمام الاستشهادي، الذي يخرج لهم كما القدر، ويخترق كل تحصيناتهم وإجراءاتهم الأمنية، لا يأبه لحالات التأهب القصوى في صفوفهم، ويأتي سريعا كالغيث بعد الجرائم الصهيونية والمجازر البشعة واقتحام المدن وتدمير البيوت على رؤوس أهلها الأبرياء والاغتيالات والقتل للكبار والصغار

والنساء والأطفال بدم بارد، يأتي خاطفا مزلزلا كالرعد، يأتيهم من حيث لا يحتسبون ليشف صدور قوم مؤمنين. وفي هذا الإطار يؤكد الكاتب عزت الرشق أن سلاح العمليات الاستشهادية هو ورقتنا الرابحة الذي حول ضعفنا وقلة حيلتنا إلى قوة، وأوجد حالة من التوازن لم يشهدها تاريخ الصراع مع العدو الصهيوني من قبل، وجعل شعبنا قادرا على الرد والردع وإيذاء العدو والإثخان فيه، ولم يعد وحده الذي يتلقى الضربات. هذا السلاح أعطى الأمل للشعب الفلسطيني بأن هناك إمكانا لتحقيق حلمه وإنجاز حقوقه ودحر المحتلين عن أرضه.

وبالنظر إلى ظاهرة الاستشهاديين الفلسطينيين منذ الانتفاضة الشعبية عام ١٩٨٧ وصولا إلى انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠ نجد أنها شغلت بال الباحثين وخبراء الجيش والأجهزة الأمنية الصهيونية في تحليل هذه الظاهرة الفريدة فتعددت محاولاتهم لإيقافها أو الحد منها حتى وصل الأمر إلى حد دفع كافة الدول بما فيها العربية والسلطة الفلسطينية إلى انتقاد هذه الظاهرة، والعمل جنبا إلى جنب من أجل ملاحقة الاستشهاديين ومرسليهم. وتبدأ القصة بذلك الإصرار الأميركي على دفع الأنظمة العربية إلى إدانة العمليات الاستشهادية بالرغم من أن الأمريكان أول من استخدموها في حربهم الأهلية، ثم استخدمت ضدهم في الحرب العالمية الثانية بما يسمى عمليات "الكاميكاز" وكذلك في هجمات ١١ من سبتمبر ٢٠٠١م، حيث طالبها الرئيس الأميركي "جورج بوش الابن" أولا بعدم استخدام مصطلح الاستشهاديين في

وسائل الإعلام الرسمية؛ لأن الاستشهاديين مجرد "قتلة" حسب وصفه. ثم تواصلت الضغوط وصولا إلى الموقف الرسمي العربي الذي تبلور خلال قمة شرم الشيخ التي عقدت يوم ١١ من مايو/آيار ٢٠٠٢م حيث تمت الإشارة في بيان القمة إلى "رفض العنف بجميع أشكاله". وبالرغم من أن بيان القمة لم يذكر مصطلح العمليات الاستشهادية، بيد أن ذلك لم ينف أن الرسالة قد وصلت بأن إدانة العمليات الاستشهادية أصبحت موضع توافق في أوساط الأنظمة العربية استجابة للضغط الأمريكي.

لقد بات واضحا أن هذا الاستهداف الأميركي - الإسرائيلي للعمليات الاستشهادية على وجه التحديد لم ينبع من فراغ، وإنما جاء بسبب قدرتها على استتراف المجتمع الإسرائيلي بكل فئاته خلافا للعمليات على الحواجز، وضد الجنود التي تكون خسائر الفلسطينيين فيها أكبر دون أن تؤثر على الجانب الإسرائيلي سوى على عائلات الجنود القتلى والجرحى. إن ثقافة الاستشهاد التي سادت في المجتمع الفلسطيني باتت رعبا يدق في رأس المجتمع الإسرائيلي وقادته، وكان لابد من إيجاد حل سياسي للمشكلة بعد أن تعذر الحل الأمني، فجاء الضغط الأميركي الهائل، الذي أسفر عن خضوع عربي بدأ في قمة شرم الشيخ.

لا شك أن العمليات الاستشهادية والجهات التي تتبناها قد دخلت في مأزق كبير يشبه ذلك الذي دخلته بعد عام ١٩٩٦، من زاوية غياب القبول الرسمي العربي والاستهداف من طرف السلطة الفلسطينية، مع أن

الانقسام الشعبي لا يبدو واردا إلا في نطاق محدود هذه المرة بسبب غيـــاب الأفق السياسي. فقد اجتمع قادة العـــالم في مـــهرجان لإدانـــة العلمليـــات الاستشهادية في قمة شرم الشيخ عام ١٩٩٦، ثم كان التعاون الأمني الـــذي أودى بها بعد ذلك، غير أنه ما إن اصطدم قطار التسوية بالحائط المسدود في مباحثات كامب ديفيد (بين ياسر عرفات وإيهود بـــاراك بحضـــور بيـــل كلينتون) حتى عادت إلى الحياة على نحو أكثر قوة وعطاء، مما يبشر بعودهـــا ثانية؛ لأن رئيس الوزراء الإسرائيلي إريل شارون لا يحمل أي برنامج سياسي يملك الحد الأدنى من القبول، وهو الذي يرى أن ما قدم في كامب ديفيـــد كان"تنازلات كارثية".

كل ذلك يشير إلى أن الاستشهاديين هم السلاح الأقـــوى بيـــد الفلسطينيين، وهم الذين سيكونون عدة النصر القادم، وما جرى قد كشـــف أهم سر قوة الشعب الفلسطيني، ولذلك فإن هذا الشعب لن يتخلى عن ســـر قوته.

والآن نستعرض هذا الكتاب الذي يهدف إلى إظهار أساليب وطرق حـــرب الإبادة، التي تقودها إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني الأعـــزل، ودور أدوات وتكتيكات المقاومة الفلسطينية المسلحة وخاصة العمليات الاستشـــهادية في مواجهة هذا العدو المتغطرس. ففي الباب الأول، الذي يتكون مـــن أربعـــة فصول، نستعرض أسلحة الدمار الأمريكية التي يستخدمها الجيش الإســـرائيلي ضد الفلسطينيين بما يتنافى مع الأعراف والمواثيق الدولية مثل طائرات الأباتشي

والكوبرا وطائرا إف ١٦ والدبابات والمدافع والقنابل المسمارية. كما نلقي الضوء على الوحدات العسكرية التي تقوم بعمليات التصفية والاختطاف والمداهمة السريعة، ونصب الكمائن المسلحة، والتسلل إلى داخل مناطق السلطة الفلسطينية. كما نتناول المحاولات الإسرائيلية اليائسة للتصدي للعمليات الاستشهادية عن طريق تجنيد جيش من الحيوانات مثل الفئران والكلاب والتماسيح لمساعدتهم على إحباط العمليات النوعية العسكرية لفصائل المقاومة الفلسطينية. كما نكشف للعالم الوجه الزائف للديمقراطية الإسرائيلية من خلال التجول داخل المعتقلات للتعرف على أساليب التعذيب الجسدي والنفسي، التي يتعرض لها المعتقلون وإذلال وانتهاك أعراض المعتقلات الفلسطينيات من جانب أجهزة التحقيق الإسرائيلية، وتأثيراتها على وحالتهم النفسية الصحية. ونلقي الضوء على الأساليب غير العسكرية للقضاء على الشعب الفلسطيني المغوار من خلال تدميره صحيا وانتهاك بيئيته.

وفي الباب الثاني نستعرض أداء وأساليب المقاومة الفلسطينية التي فرضت نفسها على الساحتين العسكرية والإعلامية بالرغم من بساطتها- مثل إطلاق صاروخ "البنا" و"القدس" و"القسام ١ و٢" وقذائف الهاون- وخاصة بعد تدميرهم للدبابة الإسرائيلية "ميركافا" التي تعتبر رمز العسكرية الإسرائيلية مما حقق ذهول وكارثة نفسية أعمق من الكارثة العسكرية بتحطيم إسطورة آلة الحرب الإسرائيلية. كما نتناول بعض العمليات النوعية المفصلية للمقاومة الفلسطينية، التي تم إحباطها أو لم يكتب لها النجاح ولكنها تدق ناقوس الخطر

للمحتل مثل محاولة تفجير عمارة التوأمين في تل أبيب وهي أكـــبر بنايـــة في الشرق الأوسط، وتتكون من برجين كبيرين كما برجي مركز التجارة العالمي في أمريكا، وكذلك محاولة تفجير صهريج وقود داخل مركز للمحروقـــات بحيفا.

وفي الباب الثالث، يشتمل على ثلاثة فصول، نتناول منشأ وتطـــور ظاهرة الاستشهاديين منذ عام ١٩٨٦ حتى ازدهارها مع انـــدلاع انتفاضـــة الأقصى. كما نلقي الضوء على ظاهرة الاستشهاديين من منظور إســـرائيلي وعلى إنجازاتها وآثارها على كل نواحي الحياة في الكيان الغاصب كحـــرب استنزاف حقيقية يتعرض لها المجتمع الإسرائيلي. ونســـتعرض قائمـــة بـــأبرز العمليات الفدائية للفلسطينيين والفلسطينيات. كما نتعرف سويا على معايير اختيار الاستشهادي الفلسطيني؟ وكيف يتم رصد الأهداف والمواقـــع الـــتي تستهدفها العمليات الاستشهادية؟ وكيف يتمكن الفدائيون من الوصـــول إلى تلك الأهداف بالرغم من الإجراءات الأمنية الإسرائيلية المشددة؟ وما المـــدة التي يستغرقها الإعداد لكل عملية استشهادية؟ وكم تتكلف هذه العمليـــة؟ وكيف تتم مراقبة الأماكن التي يستهدفها الاستشهاديون؟ وما هي أســـرار اندفاع الفلسطينيين نحو الاستشهاد. ونستعرض أساليب الفلسطينيين للتعبـــير عن حبهم وتقديرهم واعتزازهم ببطولة الشهيد، وما يشكله مـــن أســـطورة جهادية وقوة نضالية عن طريق تزيين هواتفهم الجوالة بصور الاستشـــهاديين. على الجانب الآخر نستعرض مراهنات اليـــهود علـــى أمـــاكن الهجمـــات

الاستشهادية في نوادي القمار، وكذلك لعبة "الكابوم" الأمريكية التي تعكس صورة الاستشهادي في عيون الغرب، ونتعرف أيضا على لعبة "تحت الرماد" العربية على الإنترنت، والتي تتناول الانتفاضة الفلسطينية وتحرير المسجد الأقصى.

أما الباب الرابع والأخير فيلقي الضوء على العمليات الاستشهادية - التي تكاد تكون هي الحيلة العسكرية الوحيدة الباقية في أيدي المستضعفين- من منظور شرعي، ويستعرض الجدل حول هذه العمليات واختلاف وجهات النظر ما بين مؤيد ومعارض ومتحمس ومندفع ومتحفظ ومتردد.

وهكذا وبعد استعراضنا لهذا الكتاب يتضح لنا أن المقاومة وعلى رأسها العمليات الاستشهادية - التي حطمت نظرية الأمن الإسرائيلي وهزمت الجيش الإسرائيلي الذي يعتبر خامس جيش في العالم من حيث القوة والتدريب - هي السلاح الاستراتيجي الرادع، الذي لا يستطيع العدو نزعه أو محاصرته؛ لأن الإسرائيليين يرون في الموت فناء وضياعًا والمسلمون يرون فيه حياة أفضل من حياة الذل والمهانه، ويجب إعطائها فرصة لتتمكن من تحرير الأراضي الفلسطينية، كما أعطت للمفاوضات فرصة عشر سنين ومجلس الأمن وأمريكا أكثر من نصف قرن دون تحقيق نتيجة.

الباب الأول

آلة الحرب الإسرائيلية

بين الجنون والهوس

الفصل الأول

أدوات القتل الإسرائيلية

من الكوبرا والأباتشي الأمريكية إلى القنبلة المسمارية

منذ بدء الانتفاضة والأطفال والشباب في الأراضي المحتلة يقاومون العدو الصهيوني المحتل بالأحجار، بالنبيطة والمقلاع. وهي الأسلحة التي بثت الذعر والهلع في قلوب أبناء القردة والخنازير على بساطتها، تصديقا لقول الحق **﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾**، مما دفع الاحتلال الصهيوني لتجنيد ما لديه من أسلحة مدمرة لمواجهة الأحجار. ولكن منذ بدأت انتفاضة الأقصى المباركة والجيش الإسرائيلي المحتل يستخدم العديد من الأسلحة الفتاكة نخص بالذكر هنا الطائرات المروحية والدبابات والمدافع، التي بدأ الجيش الإسرائيلي في استخدامها منذ أوائل الانتفاضة، حيث قصفت مواقع في قطاع غزة ومدينة نابلس بالإضافة إلى بلدة بيت سحور الواقعة في منطقة بيت لحم. كما تمادى الجيش الإسرائيلي في عدوانه وقصف مقر الرئيس "ياسر عرفات" بالإضافة إلى مواقع أخرى.

الجدير بالذكر أن الحكومة الأمريكية تنفق ١,٨ مليار دولار سنويا منذ عام ١٩٨٦ على مشتريات إسرائيل "الدفاعية" بموجب "التزام الولايات

المتحدة الثابت لأمن إسرائيل، أو كما قال المتحدث الرسمي باسم البيت الأبيض عام ١٩٨٨.

(١) الطائرات المروحية

تستخدم إسرائيل نوعين من الطائرات المروحية: الأباتشي والكوبرا. دعونا ننظر إلى هاتين الطائرتين عن قرب لنرى مدى تناسبهما مع الحجر في أيدي الأطفال.

(أ) الأباتشي

نوع الأباتشي الذي يستخدمه إسرائيل هو Apache AH-٦٤A helicopters attack الذي تنتجه شركة بوينج الأمريكية منذ عام ١٩٨٣ ويوجد منها ٩٣٧ هليكوبتر لدى أمريكا ودول العالم الأخرى. طول الأباتشي ١٧,٧٣ مترا وارتفاعه ٤,٦٤ أمتار ووزنه ٦٨٣٨ كجم. يستطيع الأباتشي أن يصعد رأسيا بمعدل ٦٦٣-٨٨٩ مترا في الدقيقة، وتبلغ سرعته الأفقية ٢٧٩ كم/الساعة. وتمتلك إسرائيل ٤٢ طائرة هليكوبتر من نوع الأباتشي.

الأباتشي هليكوبتر قتالي مدرع ومقاوم للتلف يستطيع الطيران لمدة ٣٠ دقيقة بعد إصابته برصاص من عيار ١٢,٧ مل من أي جهة في نصف

الكرة السماوي الأسفل +٢٠ درجة. ويتحمل إصابات من عيار ٢٣مـل في الكثير من أجزائه منها المروحة نفسها. مقدمة الأباتشي مجهزة بجهاز تحديـــد الهـــدف sight designation and acquisition Target TADS) وجهاز آخر للرؤية الليليـــة(PNVS) sensor vision night Pilot) . يوجد بمحور المروحة الرئيس جهاز لتحسس الســـرعة الديناميـــة الهوائيـــة المنخفضة sensor air-speed low وتوجد الأجهزة الإلكترونية الخاصـــة بالطيران بالحاويات الجانبية. للطائرة محركان موجودان على جـــانبي جســـم الطائرة فوق الأجنحة ومروحة الطائرة مكونة من أربعة ريش. يوجد بذقـــن الطائرة مدفعية أوتوماتيكية من عيار ٣٠ مل تغذى من جســـم الطـــائرة. تستطيع هذه المدفعية أن تطلق ذخيرة عالية الانفجار بمعدل ٦٢٥ طلقـــة في الدقيقة. وتبلغ أقصى سعة للذخيرة ١٢٠٠ طلقة. توجد أربعة أبراج للأسلحة على الأجنحة المبتورة تستطيع أن تحمل ١٦ قذيفة مضادة للدبابات من نـــوع Hellfire (أي نيران الجحيم) أو ٢٧٦ صاروخا من أو مزيجا من النوعـــين معا. توجد بجسم الطائرة خزانتان للوقود مقاومتان للاصطدام تبلغ ســـعتهما المحملة ١٤٢١ لترا. يوجد أيضا في الطائرات المعدلة بعد عام ١٩٩٣ أربعـــة خزانات خارجية للوقود تبلغ سعة كل منها ٨٧١ لترا لتبلغ الســـعة المحملـــة لجميع الخزانات ٤٩١٠ لترات. تتسع الطائرة لاثنين من الطيـــارين؛ حيـــث يجلس مساعد الطيار/المدفعي في الأمام والطيار في الخلف.

قذائف هلفاير

قذائف هلفاير هي التي استخدمتها طائرات الأباتشي ضد الأهداف الفلسطينية، توفر قذائف هلفاير للأباتشي إمكانيات مضادة للمدرعات الثقيلة، تتعرف قذائف هلفاير على أهدافها عن طريق توجيه شعاع ليزر للهدف إما من قبل قوة أرضية أو طائرات أخرى أو نفس الهليكوبتر المطلق للصاروخ.

قذائف هلفاير من نوع AGM-١١٤ والتي تستخدمها إسرائيل حاليا لها رأس مشحونة مخروطية الشكل بها مخروط داخلي نحاسي، والذي يوفر الدفع النفاثي لاختراق المدرعات. رأس القذيفة عالية الانفجار، وتستطيع بالإضافة إلى اختراق المدرعات الثقيلة تفجير المباني الأسمنتية وما إلى ذلك. تعتبر قدرة القذيفة الاختراقية بشكل محدد من المعلومات السرية، يتم تفعيل القذيفة حين تبعد بمسافة ١٥٠-٣٠٠ متر عن الهليكوبتر المطلق لها وتبلغ أقصى سرعة لها ٩٥٠ ميل/الساعة. أقصى مدى للقذيفة يبلغ ما بين ٨-٩ كم. خاصية التحديد عن بعد التي بطائرة الأباتشي تسمح لها أن تقف على مسافات بعيدة عن الهدف، في حالة استخدام أسلوب تحديد الهدف باستخدام قوات أرضية تستطيع الطائرة أن تظل مختفية بعيدة عن الهدف مما يقلل من إمكانية إصابتها.

(ب) الكوبرا

استخدمت إسرائيل في هجماتها على المواقع الفلسطينية أيضا طائرات كوبرا المروحية من نوع Cobra. AH-١F/S Bell هذه الطائرات من إنتاج

شركة بل الأمريكية لإنتاج الطائرات المروحية. طول الكوبرا ١٣,٦ متراً وارتفاعها ٤,٠٩ مترا، ويبلغ قطر مروحتها ١٣,٤٢ مترا. المروحة مكونة من ريشتين، وتوجد الأسلحة في أجنحة الطائرة. وزن الطائرة في أثناء تأدية مهمة عسكرية يبلغ ٤٥٢٤ كجم. أقصى سرعة أفقية لها هي ٢٢٧كم/الساعة، وأقصى معدل ارتفاع هو ٤٩٤ متر/الدقيقة. للطائرة محرك واحد قابع فوق جسم الطائرة معطيا شكل السنم. تتسع الطائرة لطيارين اثنين. بالطائرة أسلحة مضادة للمدرعات ولطائرات الهليكوبتر، وتستطيع تحديد أهداف بعينها. تتسلح الكوبرا بقذائف من نوع TOW وهلفاير المضادة للمدرعات وقذائف Sidewinder المضادة للطائرات وقذائف Sidearm المضادة للرادار وصواريخ هايدرا ومدفعية ٢٠ مل ورشاش أوتوماتيكي ٧,٦٢مل به ٤٠٠٠ طلقة. تبلغ سعة خزانات الوقود ٩٨٠لترا. تمتلك إسرائيل ٩٤ طائرة من هذا النوع لتكون ثاني أكبر دولة ممتلكة لها بعد الولايات المتحدة (٤٧٠ طائرة).

قذائف TOW.

استخدمت طائرات كوبرا الإسرائيلية في هجماقا على المواقع الفلسطينية قذائف، تو المعروفة باسم Optically- Tube-launched (TOW). missiles Wire-guided tracked بالكوبرا أربع قاذفات للقذائف، وتستطيع كل قاذفة أن تحمل قذيفتين اثنتين. قذائف تو هي قذائف مضادة للدبابات، ويتم تخزينها وتسليمها وتركيبها وهي داخل حاويات

مغلقة طول الواحدة منها ١,٢٨ م وقطرها ٢١٨ مم. في منتصف الحاوية توجد أربعة أجنحة مستطيلة وبمؤخرها أربعة أجنحة مستطيلة أخرى متحركة ومسئولة عن توجيه القذيفة. تزن القذيفة ما بين ١٩-٢٢,٧ كجم حسب الموديل. بعد إطلاق القذيفة تبلغ أسرع سرعة لها ٢٨٠م/الثانية، وأقصى مدى لها ٤كم في حين أن أقصر مدى هو ٥٠٠ متر. يوجه الطيار/مدفعي القذيفة بتحريك عصاه يمينا أو شمالا حتى تصل القذيفة إلى هدفها. يوجد بمؤخرة القذيفة مرشدان لاسلكيان بالأشعة تحت الحمراء واللذان يتحسسهما كشاف للأشعة موجود بالقاذفة المعلقة من جناح الطائرة المبتور ليتعرف الطيار على أي انحراف للقذيفة في طريقها إلى الهدف. يوجه الطيار/مدفعي القذيفة بإرسال إشارات إلكترونية من خلال عصاه عبر سلكين حديديين خارجين من القذيفة. الطائرات المجهزة بأجهزة الأشعة تحت الحمراء الكاشفة تستطيع توجيه قذائفها ولو من خلال دخان أو ضباب.

يذكر أن الولايات المتحدة الأمريكية لها دور رئيس ومباشر في تسليح الجيش الإسرائيلي حيث وافقت الإدارة الأمريكية في شهر أغسطس ٢٠٠١ على بيع طائرات هليكوبتر من نوع Longbow Apache AH-٦٤Dالمتطورة.

(٢) الدبابات الإسرائيلية

تمتلك إسرائيل - حسب تقرير المجلس الدفاع البريطاني - تسعة أنواع من الدبابات بيانها كالتالي:

١٠٨٠ دبابة من نوع سنتوريونCenturion

٥٠٠ دبابة من نوع M-٤٨A٥

٤٠٠ M٦٠

٦٠٠ M-٦٠A١

٢٠٠ M-٦٠A٣

١٥٠ Magach ٧

٣٠٠ Ti-٦٧

٧٠ T-٦٢

١٠٠٠ Merkava I/II/III

دبابات الميركافا

قررت إسرائيل عام ١٩٧٠ صناعة دبابة حربية بسبب رفض جميع دول العالم آنذاك إمدادها بدبابات متطورة، وكان رئيس فريق المصممين لها الجنرال "إسرائيل تال". وتم تشغيل أول جيل من دبابات الميركافا "ميركافا١" في أبريل عام ١٩٧٩، أما الجيل الثاني "ميركافا ٢" فقد بدأ تسليمها عام ١٩٨٤، والجيل الثالث من هذه الدبابات "ميركافا ٣" ظهرت لأول مرة عام ١٩٩٠ وتم تطويرها عام ١٩٩٥. ويتم الآن العمل على إنتاج الجيل الرابع من دبابات الميركافا. وتستخدم إسرائيل هذا النوع من الدبابات في قصفها للشباب والقرى الفلسطينية.

وقد تم تصميم الميركافا على أساس توفير أكبر فرصة ممكنة للحفاظ على حياة طاقمها؛ فيوجد محرك الدبابة في الأمام من أجل توفير حماية زائدة

للطاقم، وتوجد عند بوابة الدبابة مظلة مختصة بوقاية قائد الطاقم من القصف غير المباشر في حالة ضرورة فتحها. والدبابة مصفحة بنوع خاص من الدرع المتباعد، بالإضافة إلى تصفيح خزائن الوقود والذخيرة. مخزن الذخيرة الخلفي به باب ثانوي للدخول والخروج، وبما أن الذخيرة تخزن في حاويات قابلة للإزالة، فمن الممكن استخدام هذا المكان لنقل طواقم الدبابات المهجورة، ميزة هذا الباب تكمن في وجوده بالخلف؛ مما يسمح للجنود بالدخول أو الخروج من الدبابة دون ملاحظتهم، بالإضافة إلى أنه يوفر للجنود طريقا بديلا للخروج.

تزن الدبابة ٦٥طنا حين تكون الحمولة كاملة، طولها ٨,٧٨ أمتار وعرضها ٣,٧ أمتار، ارتفاع الدبابة يبلغ ٢,٦٦ متر عند سقف البرج، السرعة إلى الأمام ٥٥كم/الساعة وإلى الخلف ٢٥ كم/الساعة، المحرك ١٢٠٠ حصان ديزل ومكيف بالهواء، جهاز النقل من نوع المائع الحركي (hydrokinetic) وأوتوماتيكي، به ٤ نقلات للأمام و٣ للخلف. مدفع الدبابة الرئيس من نوع ١٢٠مم، كما أن بالدبابة ثلاثة مدافع رشاشة من نوع ٧,٦٢ مم بالدبابة بالإضافة إلى كل ذلك مدفع هاون من نوع ٦٠مم، وقاذفتان لـ٢٤ قنبلة دخانية.

ويتم تشغيل بوابة الدبابة الرئيسة والمدافع والرشاشات كهربائيا، وأقصى سرعة لرفع المدفع هو ١٥ درجة/الثانية، في حين أن أقصى سرعة لتحريكه في المحور المستعرض هو ٣٤ درجة/الثانية. الدبابة بها نظام متطور

للتحكم في إطلاق النار، بالإضافة إلى جهاز أوتوماتيكي لتتبع الأهداف. وصدق الله إذ يقول: "لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر" فأي عقل هذا الذي يواجه الأطفال والشباب وبأيديهم الحجر بالرشاشات والدبابات والمروحيات؟!

(٣) طائرات الاستطلاع.. من العملاء الفلسطينيين إلى العملاء الحديديين

في فلسطين المحتلة، وبعد تعرض الكثير من العملاء الفلسطينيين الذين يعملون لحساب الكيان الصهيوني للاكتشاف والقتل، اضطر الجيش الإسرائيلي للجوء للعملاء الحديديين.

فقد استخدم جهاز الاستخبارات الإسرائيلية في المداهمات داخل الضفة الغربية طائرات استطلاع بدون طيار والمعروفة باسم UAV-Unmanned Aerial Vehicle. وقد اعترف بذلك اللواء دان هارل-رئيس مديرية العمليات العسكرية الإسرائيلية-لمجلة Worldtribune.com الذي أعرب عن رضاه عن طائرة الاستطلاع من نوع هرمس ٤٥٠s المصنوعة في إسرائيل التي استخدمت بكثافة أثناء العدوان الإسرائيلي على الأراضي الفلسطينية في عملية السور الواقي من أجل جمع المعلومات الاستخبارية عن تحركات المقاومة الفلسطينية وتوصيلها إلى وحدات الجيش الإسرائيلي من أجل توجيه ضرباتها.

وطائرة الاستطلاع هرمس من إنتاج شركة Arrow Silver الإسرائيلية التي تتخصص في إنتاج هذا النوع من الطائرات، وتقوم ببيعها في الأسواق العالمية حتى إن الولايات المتحدة الأمريكية نفسها تعتبر من ضمن عملاء تلك الشركة. أما الطائرة نفسها فتزن ٤٥٠ كجم، وهي طائرة ذات محركين تصل قوهما إلى ٧٦ حصانا، وباستطاعة الطائرة التحليق على ارتفاعات تصل إلى ٢٠,٠٠٠ قدم، ولمدة زمنية تتعدى العشرين ساعة متواصلة، وبالتالي فهي تعتبر مثالية للقيام بمهمة جمع المعلومات.

والطائرة بها نظام للطيران مستقل تماما عن العنصر البشري، حيث إنه يتم برمجة خط سير الطائرة داخل نظامها قبل أو بعد الإقلاع بحيث تستطيع الطائرة الطيران إلى موقع المهمة والرجوع منه حتى في حالة انقطاع الصلة بينها وبين مركز الاتصالات. مركب بالطائرة حمولة أوبترونية Plug-in Payload Optronic (POP) وهي منصة مثبت بها عدة أنواع من أجهزة التحسس منها كاميرا نهارية ملونة، وكاميرا نهارية أبيض وأسود، وجهاز تحسس يعمل بأشعة تحت الحمراء. هذا بالإضافة إلى وجود كاميرا استطلاعية من أجل التقاط صور ذات دقة فائقة، أما مركز الاتصالات الأرضية فهو عبارة عن كشك مركب على مركبة أرضية متحركة بها أجهزة المراقبة والاتصال والقيادة وجمع البيانات تعمل جميعا من خلال محرك كهربائي، ويقوم بتشغيل المركز ما بين ٢-٣ أفراد.

(٤) المدفع M١٦

يبقى لنا ذكر بعض الملامح لبندقية الـ M١٦ وهي الأكثر انتشارا بين الجنود الإسرائيليين، وهي التي يصوبها الجندي الإسرائيلي على رءوس وصدور الشباب والأطفال بقصد القتل.

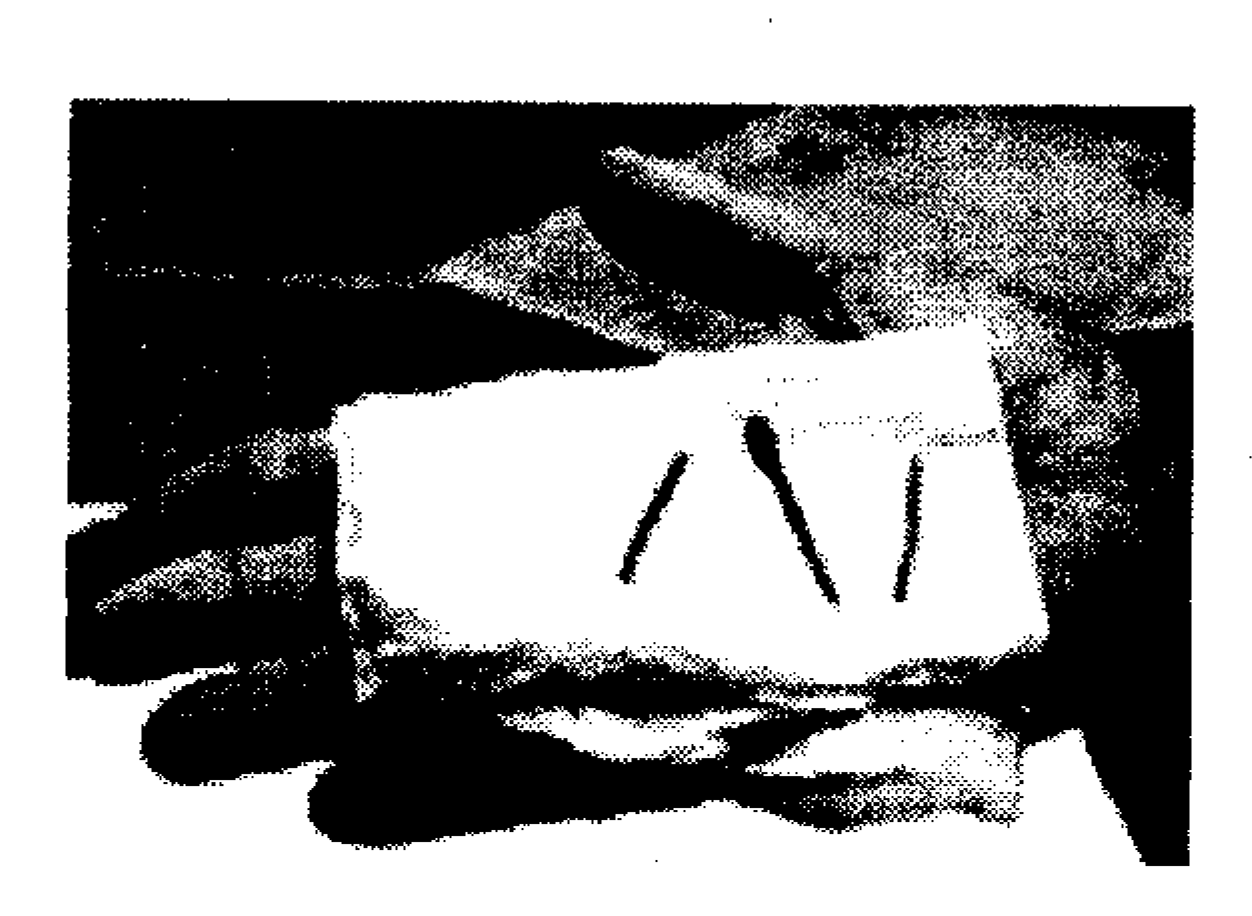
طول البندقية ١,٦٦ مترا ويبلغ وزنها في حالة الحشو التام ٣,٩٩ كجم، وقطر ماسورة البندقية ٥,٥٦ مم. أقصى مدى للبندقية في حالة أن الهدف مساحته كبيرة ٨٠٠ متر، وفي حالة كون الهدف نقطة ٥٠٠ متر. مخزن الذخيرة بالبندقية يسع لثلاثين طلقة، والبندقية بها خاصية اختيار الطلق الأوتوماتيكي (والذي ينشأ عنه ٣ طلقات للضغطة الواحدة) أو النصف أوتوماتيكي (والذي ينشأ عنه طلقة واحدة للضغطة الواحدة). معدل الطلق يختلف حسب نوع الاستخدام: ففي حالة الطلق الدوري يبلغ المعدل ٨٠٠ طلقة في الدقيقة. وفي حالة الطلق الثابت يبلغ المعدل ١٢-١٥ طلقة في الدقيقة. الطلق النصف أوتوماتيكي ينتج عنه ٤٥ طلقة في الدقيقة، أما الأوتوماتيكي فتسعون طلقة في الدقيقة. الطلقة الناتجة عن هذه البندقية بإمكانها اختراق خوذة حديدية على مسافة ٥٠٠ متر.

الجدير بالذكر أن باحثين في إسرائيل قد حذروا من أن الرصاص المطاطي يشكل خطورة كبيرة، ويجب ألا تستخدمه السلطات الإسرائيلية ضد الفلسطينيين. ويقول الباحثون إن هذا النوع من العتاد الذي يفترض أنه أقل خطرا من الرصاص الحي ولا يسبب سوى جروح طفيفة، يؤدي في الواقع إلى

إصابات بالغة قد تنتهي بالوفاة، وقد تم منع استخدامه ضد المتظاهرين في بريطانيا منذ السبعينيات.

وقد قام البروفسور ميخائيل كراوز وزملاؤه من مركز رامبام الطبي في حيفا بتدقيق السجل الصحي لـ ٥٩٥ جريحا أدخلوا إلى المستشفى خلال المواجهات بين إسرائيل والفلسطينيين عام ٢٠٠٠. وقد وجدوا أن ١٥٢ منهم ممن أصيبوا بالرصاص المطاطي قد انتشرت الجروح في أجسادهم بصورة عشوائية لكن معظمها في الساقين والذراعين إضافة إلى الرأس والرقبة والوجه. ويقول الأطباء إن هذه النتائج تنفي النظرية القائلة إن هذا النوع من الرصاص لا يشكل خطرا. وجاء في البحث الذي نشر في مجلة لانسيت الطبية البريطانية إن إطلاق الرصاص المطاطي على المدنيين "يجعل من المستحيل تجنب إيقاع إصابات بالغة في المناطق الحساسة من الجسد كالرأس والرقبة والجذع مما يؤدي إلى الوفاة أو الإعاقة. ويشير الباحثون إلى أنهم سجلوا عددا مهما من حالات الجروح البالغة وحالات الوفاة بسبب إصابة الأجزاء الحساسة من الجسم بالرصاص المطاطي. ويقولون إنه بناء على ذلك ينبغي عدم اعتبار هذا النوع من العتاد الوسيلة الأمينة لمواجهة الاحتجاجات. وقد أكدت الدراسة أيضا على بحث سابق يرى أن الرصاص البلاستيكي هو الآخر عتاد خطير قد يسبب إصابات بالغة في الرأس. ودعا الباحثون إلى الامتناع عن استخدام هذا العتاد واستحداث نوع جديد يمتاز بدقة عالية دون أن يسبب جروحا خطيرة.

(٥) القنبلة المسمارية



آلاف الشظايا المسمارية مدببة الرأس، تنتشر بشكل مخروطي على مسافة ١٠٠م طولا، ويعادل حجم الشظية المسمارية الواحدة حجم المسمار، بطول ٣سم، وقطر ٢ ملم، هذا ما ينتج عن انفجار قذيفة مسمارية واحدة من القذائف التي استخدمها ولا يزال الاحتلال الإسرائيلي ضد المدنيين والأحياء السكنية الفلسطينية ضمن سلسلة متنوعة من أساليب الإرهاب والقتل التي يستخدمها بما ينافي كافة الأعراف والمواثيق الدولية.

وتفتقر القذائف المسمارية إلى الدقة مما يعرض حياة المدنيين لخطر أكبر، حيث تزيد الشظايا المسمارية المنطلقة إثر انفجار القذيفة من حجم الإصابات في محيط المكان الذي تسقط فيه القذيفة. واعتبر المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان أن استخدام الاحتلال للقذائف المسمارية ضد المدنيين يعتبر نقلة نوعية في وسائل الإرهاب والقتل الصهيوني بما يؤكد أن الاحتلال لا يتوان عن استخدام أي سلاح يتاح له دون قواعد أو ضوابط..

الجدير بالذكر أن استخدام القذائف المسمارية التي تطلق من مدافع أو دبابات لم يكن جديدا لدى آلة القتل الصهيوني فقد استخدمت بشكل مكثف في الجنوب اللبناني قبل الاندحار المخزي للاحتلال. ويقول تقرير نشر

في صحيفة "هآرتس" العبرية إن الاحتلال أكثر من استخدام هذا النوع من القذائف في جنوب لبنان، مضيفة أن القذائف نقلت بعد الانسحاب من جنوب لبنان إلى غزة، بعد أن كان جنود الاحتلال استخدموها ضد أهداف لخلايا حزب الله عند انطلاقها إلى أماكن خارج القرى اللبنانية الواقعة فيما كان يسمى بالحزام الأمني. وحسب الصحيفة فقد أدى استعمال القذائف بلبنان لنتائج جيدة، لكن الوضع في غزة أكثر تعقيدا، خاصة وأن تناثر المسامير يفقد القذيفة القدرة على إصابة الهدف بدقة. ونقلت عن مصادر عسكرية إسرائيلية قولها بأن هذه القذائف لم تصمم لتستخدم في المناطق المدنية الآهلة بالسكان؛ لأنها غير دقيقة من حيث قدرتها على التصويب. كما تشير مجلة "JANES" الدفاعية الأمريكية، إلى أن هذا النوع من القذائف صمم ليستخدم ضد أهداف محددة لا يمكن إصابتها بواسطة الأسلحة الأوتوماتيكية، وتذكر المجلة أن الاحتلال طور نسخة معدلة من هذا النوع من القذائف التي زودته بها أمريكا في السبعينيات، كما أكدت المجلة بأنه لدى الضباط الإسرائيلين أوامر تتيح لهم إمكانية استخدام هذا النوع من القذائف.

وبالرغم من أن قوات الاحتلال شكلت لجنة للتحقيق في استخدام هذه القذائف القاتلة والمحظور استعمالها إلا أن أي إجراء لم يتخذ بحق القتلة وبقيت اللجنة مجرد خبر علاقات عامة تناقلته وكالات الأنباء آنذاك وتناسته بعد ذلك أمام وطأة جرائم جديدة ترتكب كل يوم بذات السلاح أو غيره

من أسلحة القتل والدمار دون أن يتحرك أحد في هذا العالم ليوقف نزيف الدم الفلسطيني.

(٦) الوحدات العسكرية الخاصة

حرص جيش الاحتلال الإسرائيلي منذ احتلاله للضفة الغربية وقطاع غزة في العام ٦٧ على الربط بين نوعية الوحدات العاملة في المناطق المحتلة وبين الأوضاع الميدانية، فمنذ أن اندلعت انتفاضة الأقصى شرع جيش الاحتلال في جلب وحدات عسكرية مدربة تدريبا خاصا لمواجهة انتفاضة الشعب الفلسطيني المقاوم، وكما هي طبيعته فإنه يعتمد على الوحدات الخاصة المدربة تدريبا شاملا لتتصدى للمقاومة الفلسطينية وإن كانت تنجح في بعض الأحيان في اغتيال شخص أو رصد آخر فإنها لن تنجح في إيقاف مقاومة شعب يحرص على الموت كما يحرصون على الحياة.

الجدير بالذكر أن الوحدات الخاصة العاملة في الأراضي المحتلة بدأت تتبنى أسلوب الكوماندوز في مواجهة انتفاضة الأقصى، وذلك لتحقيق الانتصار عليها بالضربة القاضية. وهذا الأسلوب قائم على الجمع بين عمليات التصفية والاختطاف والمداهمة السريعة ونصب الكمائن المسلحة والتسلل إلى داخل مناطق السلطة، وهنا تجدر الإشارة إلى أن جميع هذه الوحدات تعمل بالتنسيق الكامل مع جهاز المخابرات الإسرائيلية العامة "الشاباك"، حيث إن "الشاباك" يوفر المعلومات الاستخبارية اللازمة لتنفيذ عمليات التصفية والاختطاف والمداهمة طبقا للمعلومات التي يقدمها عملاؤه من الفلسطينيين،

ومن خلال الاعترافات التي يدلي بها المعتقلون الفلسطينيون في السجون الاسرائيلية، إلى جانب استعانة المخابرات بعمليات التجسس والتصنت الإلكترونية في مناطق السلطة الفلسطينية. وهنا يجب الإشارة إلى الوحدات العسكرية الخاصة التي تتولى عمليات الاغتيال والاختطاف وباقي التشكيلات العسكرية للعدو الصهيوني:

- **وحدة "المستعربين" المعروفة ب "دوفيدفان"**

وتعتبر أولى الوحدات الخاصة التي عملت في الأراضي الفلسطينية في انتفاضة الأقصى، ولأن على عناصر هذه المجموعة العمل وسط التجمعات السكانية الفلسطينية، فإنه كان من الضروري أن يكونوا من ذوي الملامح الشرقية بحيث لا يثيروا حولهم الشكوك عندما يقومون بعمليات التنكر أثناء توجههم لتنفيذ المهام الموكلة بهم. وقد عرض التلفزيون الإسرائيلي فيلما وثائقيا حول كيفية إعداد هذه المجموعة، وكيفية قيامها بعمليات التنكر، حيث تم استقدام خبراء في عمليات المكياج والتخفي للعمل على مدار الأربع وعشرين الساعة مع عناصر هذه المجموعة.

وقد نفذ عناصر "دوفيد يفان" معظم عمليات التصفية التي تمت بواسطة إطلاق النار على المستهدفين للتصفية من كوادر الانتفاضة الفلسطينية، كما أن عناصر الوحدة يقومون بعمليات اختطاف المطلوبين الفلسطينيين لأجهزة الأمن الإسرائيلية . وتعمل هذه الوحدة في الضفة الغربية بشكل خاص، وتحرص عناصر الوحدة بشكل خاص على التنكر في زي تجار

خضار فلسطينيين يرتدون الزي الشعبي الفلسطيني، ويتنقلـــون في ســيارات مرسيدس"كابينة" وهي السيارة التي يستخدمها التجـــار الفلســطينيون. ولا يقتصر عناصر "دوفيديفان" على جنود الجيش، بل إن شرطة "حرس الحدود" تسهم في رفد هذه الوحدة بكثير من العناصر.

• **وحدة "شمشون"**

هذه وحدة " المستعربين " التي كانت تعمل في قطاع غزة إبـــان الانتفاضـــة الأولى، وقد تم حلها بعد التوقيع على اتفاقية أوسلو، إذ إن الظروف الميدانيـــة في قطاع غزة وطبيعته الجغرافية الديموغرافية لا تشجع على استخدام مثل هذه الوحدة، سيما في أعقاب تشكيل السلطة. ومع اندلاع الانتفاضة تم إعادة بناء هذه الوحدة من جديد ، لكنها تخصصت في العمل الميداني الخـــاص مثـــل عمليات اقتحام للقرى الفلسطينية في الضفة الغربية بغرض اختطاف مطلوبين، إلى جانب حراسة قوافل المستوطنين التي تتحرك ليــــلا بـــين المســتوطنات وإسرائيل، وتشارك في عمليات التصفية.

• **وحدة "إيجوز"، أو "النواة"**

وقد تم تشكيلها في العام ٩٣ لتكون رأس الحربة في مواجهـــة مقـــاتلي حزب الله في جنوب لبنان، وقد اســـتثمرت شـــعبة العمليـــات في الجيـــش الإسرائيلي جهودا وإمكانيات كبيرة في تشكيل هذه الوحدة، وذلك لإعـــادة الاحترام للجيش الاسرائيلي في أعقاب سلسلة إخفاقاته أمام مقاتلي حـــزب الله، وبعد انسحاب الجيش الإسرائيلي من جنوب لبنان، تم تكليف عنـــاصر

الوحدة بعمليات الحراسة على الحدود مع لبنان، لكن في شهر مارس من العام ٢٠٠١ أعلن في الكيان الصهيوني أن الوحدة تم استيعابها للعمل الميداني المباشر في الضفة الغربية، وعلى وجه التحديد وسط وجنوب الضفة الغربية. ويقوم عناصر إيجوز بتسيير دوريات في محيط التجمعات السكانية الفلسطينية في الضفة الغربية في محاولة للاصطدام بمجموعات المقاومة الفلسطينية التي تتوجه لتنفيذ عمليات إطلاق نار على المستوطنات اليهودية أو الأهداف العسكرية الاسرائيلية الأخرى. كما تقوم عناصر إيجوز بنصب كمائن مسلحة وحواجز طيارة على الشوارع الرئيسة في الضفة الغربية في مسعى لإلقاء القبض على مطلوبين للأجهزة الأمنية الإسرائيلية. بالطبع إلى جانب قيامها بعمليات الاختطاف والتصفية طبقا لتوجيهات الشاباك.

• وحدة "سيرت متكال" أو "سرية الأركان"

تعتبر هذه الوحدة أكثر وحدات الجيش الإسرائيلي نخبوية، ويكفي أن أشهر العسكريين الإسرائيليين ينتمون إلى هذه الوحدة مثل : إيهود باراك، امنون شاحاك، الجنرال موشيه يعلون - نائب رئيس هيئة الأركان، وداني ياتوم - الرئيس السابق لجهاز الموساد. وتخصصت هذه الوحدة كان في تخليص الرهائن والقيام بعمليات عسكرية معقدة خلف صفوف " العدو "، وعمليات التصفية في الخارج، وهذه الوحدة هي المسؤولة عن تصفية "أبو جهاد" الرجل الثاني في حركة فتح في العام ٨٨ وقد قامت هذه الوحدة بعمليات تصفية في انتفاضة الأقصى.

- **وحدة "خاروف"**

وقد تم تشكيل هذه الوحدة في انتفاضة الأقصى، ومهمتـــها الأساســية تأمين الطرق التي يسلكها المستوطنون اليهود في تحركاتهم من وإلى إســرائيل، وهذه وحدة نخبوية تتولى عمليات اختطاف واعتقال بناء علــى معلومــات تتلقاها من الشاباك.

- **وحدة "يمام" أو "الوحدة المختارة لمكافحة الإرهاب"**

وهي تتبع الشرطة الإسرائيلية، ولأنها تابعة للشرطة فإنه كان يتوجـب أن يقتصر نشاطها على داخل إسرائيل والقدس، لكن نظرا للحاجة للعمل الميداني الخاص، فقد تولت "يمام" القيام بعمليات تصفية، كان أهمها تصفية الدكتــور ثابت ثابت – أمين سر حركة فتح في طولكرم.

- **وحدة الـــ "جدعونيم"**

وهي وحدة مختارة تابعة للشرطة الإسرائيلية، وتعمل في محيط القـــدس، وتتولى عمليات اختطاف واعتقال المطلوبين، كما أن هذه الوحـــدة قــامت بعملية تصفية واحدة على الأقل.

- **طلائع الاستخبارات العسكرية "أمان"**

حيث تعمل وحدات خاصة تابعة لجــهاز الاســتخبارات العســكرية المعروف بـــ "أمان". وتتولى هذه الطلائع القيام بعمليات التصنـــت علــى مؤسسات وقادة السلطة، وأجهزتها الامنية، إلى جانب ذلـــك فـــإن هـــذه

الوحدات تدير أجهزة الرادار الموجه للمدن الفلسطينية، وتقوم برصد كل حادث يتم في هذه المدن.

إلى غير ذلك فإن جميع الوحدات الخاصة آنفة الذكر قد تلقت تدريبات خاصة للعمل خلف الخطوط الفلسطينية في حال صدور الأوامر للجيش الإسرائيلي باجتياح المدن الفلسطينية الكبرى. وبالإضافة إلى الوحدات الخاصة فإن هناك ألوية كاملة في الجيش الإسرائيلي تتميز بجاهزية كبيرة للقتال، ولا تقل من حيث مستوى التدريب عن الوحدات الخاصة، مثل: لواء المظليين، ولواء "جفعاتي"ولواء"جولاني" ولواء "هناحل".

- **عناصر جيش لحد**

تزايدت شهادات المواطنين الفلسطينيين، وكذلك باحثي جمعيات حقوق الإنسان العاملة في الضفة الغربية وقطاع غزة التي تؤكد أن عناصر لحد الذين فروا إلى إسرائيل يعملون إلى جانب الوحدات الإسرائيلية سيما في عمليات المداهمة والتمركز على الحواجز العسكرية، حيث يتعمد هؤلاء توجيه الإهانات للفلسطينيين.

وبالرغم من كل الإمكانات السابق ذكرها للجيش الإسرائيلي، فقد كان أداؤه ضعيفا أمام المقاومة الفلسطينية، بل وتلقي ضربات مؤلمة بأكثر من أسلوب، وذلك لأنه لم يعتد على هذا النمط من الحروب، حيث إن الحرب التي يخوضها الجيش الإسرائيلي ضد الفلسطينيين تختلف عن سابقاتها من عدة وجوه، تتلخص فيما يلي:

- أنها ليست حربا نظامية، يتم فيها تحديد مواقع القوات وتشكيلاتها وعناصرها المختلفة، ومواطن القوة والضعف فيها، ولكنها حرب تعتمد على الكر والفر، والعمليات الصغيرة المحدودة المدى، والضربات المفاجئة بواسطة عناصر مجهولة بالنسبة للقوات النظامية.
- أن حروب المدن تختلف عن الحروب التقليدية التي تقع بين الجيوش على الحدود أو في أراض ومواقع محددة، ويتم فيها تجنب دخول المدن إلا لاحتلالها نهائيا. وبالنسبة للحرب التي تمارسها القوات الإسرائيلية في المدن الفلسطينية نجدها تستهدف القيام بعمليات مكثفة للقضاء على القوات الأمنية الفلسطينية، ودفعها إلى الانهيار، ولكن هذه القوات ليست جيشا نظاميا يمكن قتاله ودحره، إنما هي قوات مدنية نظامية.
- أن الحرب الدائرة بين الجيش الإسرائيلي والفلسطينيين ليست خارج الدولة اليهودية، أو بعيدة عن سكانها، فبعد أن توسعت في عمليات الاستيطان في الضفة والقطاع أصبح جيش الدفاع أسيرا لجماعات المستوطنين سواء في حماية مستوطناتهم أو تنقلاتهم أو استفزازهم للفلسطينيين، وهي مهمة لا يتم تدريب الجيوش على ممارستها، من ناحية. ومن ناحية أخرى، فإن استعداد الفلسطينيين للقيام بعمليات عسكرية ضد القوات الإسرائيلية، وعدم خوفهم من الاستشهاد أو

الاعتقال قد شكلا عنصرا ضاغطا علــــى الجنـــود الإســـرائيليين، ووضعهم في موقف حرج.

◻ الفصل الثاني:

جيش من الحيوانات لمواجهة المقاومة الفلسطينية

بعد أن فشل الجيش الإسرائيلي حتى الآن في وأد الانتفاضة الفلسطينية، سواء بعملية **"حقل الأشواك"** أو المائة يوم التي حددها شارون، أو **"نار جهنم"** أو العمليات الكبرى الأخيرة المسماة **"السور الواقي"**، شرع الإسرائيليون في وضع خطط لتفتيت الأراضي الفلسطينية، وإقامة جدار فاصل كسياج أمني بين المناطق الإسرائيلية والضفة الغربية. وصدق الله العظيم إذ يقول: **﴿لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر﴾**. وفي محاولة يائسة للتصدي للعمليات الاستشهادية والمركبات المفخخة، ورصد السفن المهربة للأسلحة، ومراقبة أفراد المقاومة الفلسطينية الباسلة، بدأ أحفاد القردة والخنازير بالتعاون مع وزارة الدفاع الأمريكية "البنتاجون" في تجنيد جيش من الحيوانات مثل الفئران والكلاب والتماسيح لمساعدتهم على إحباط العمليات النوعية العسكرية لفصائل المقاومة الفلسطينية والحصول على الأمن المفقود.

ترى ما هو مشروع الجدار الفاصل؟ وكيف يمكن استخدام الحيوانات في الأغراض الأمنية والعسكرية؟

(أ) خطة إسرائيلية لتفتيت الأراضي الفلسطينية

فرضت إسرائيل قيودا جديدة على الفلسطينيين أثناء الانتقال من مدينة فلسطينية إلى أخرى، وذلك بإصدار قرار بتقسيم الضفة الغربية إلى ثمان كتل سكانية، وغزة إلى أربع كتل سكانية، على أن تكون كل كتلة وحدة اقتصادية منفصلة. ونتيجة لهذا التقسيم أصبح من الضروري أن يتم تفريغ البضائع عند حدود كل كتلة، ويعاد تحميلها في شاحنة أخرى قبل أن تتحرك إلى قطاع آخر. أي أن السائق الذي يريد أن ينقل بضائع من أريحا إلى رام الله يجب أن يحصل على تصريح سفر.

(ب) إقامة جدار فاصل كسياج أمني

تسعى إسرائيل من خلال هذا الجدار، الذي وضعت مثله منذ سنوات طوال حول قطاع غزة، إلى منع تسلل الفلسطينيين من الضفة الغربية بالرغم من وجود قوات معززة على طول خط التماس، وخاصة لمنع



تنفيذ عمليات في داخل إسرائيل. وستشارك نحو ٣٠ شركة إسرائيلية في الأعمال التي قدرت تكاليفها الإجمالية بنحو ٢٠٦ ملايين دولار.

ويبلغ طول الجدار الفاصل بين المناطق الإسرائيلية والضفة الغربية ٣٤٦ كيلومترا، وهو مكون من قسمين أحدهما سلكي، وهو المساحة الأكبر، والقسم الآخر عبارة عن كتل إسمنتية ضخمة يبلغ ارتفاعها حتى ٧ أمتار وأكثر، وسيكون على طول الجدار بأقسامه المختلفة أجهزة إلكترونية لمراقبة التحركات في محيط الجدار، بالإضافة إلى كاميرات مختلفة. وقد تم وضع الجدران الأسمنتية قرب البلدات والمستوطنات اليهودية لمنع إطلاق النار حولها. كما أن هناك إمكانية إقامة أسوار شاهقة بارتفاع ١٦-١٧ مترا في منطقة حاضن القدس، بالقرب من حي غيلو، ومقابل حي ضاحية البريد في شمال المدينة وأسوار مماثلة متوقعة مقابل طولكرم وقلقيلية. ومن المفترض أن تمنع هذه الأسوار إطلاق نار من البيوت العالية أيضا. وستقام أيضا في الأسوار نقاط "فيلبوكس" يمكث بها قناصة ومنصات للدبابات تمكن مصفحات الجيش من التسلق على الأسوار لإطلاق النار على المدن الفلسطينية.

وهناك عدد كبير من المحللين العسكريين الإسرائيليين بالإضافة إلى خبراء أمنيين إسرائيليين أكدوا أن هذا الإجراء لن يمنع العمليات الفلسطينية، وكما قال قائد شرطة القدس الغربية ميكي ليفي: إنه لو تم وضع شرطي بجانب الآخر على طول خطوط التماس مع الضفة، فلا بد أن يجد منفذ العملية، أو أحد منفذي العمليات، الطريق للوصول إلى هدفه وتنفيذ عمليته.

ويخلق هذا الجدار عدة مشاكل لإسرائيل ذاتها، فمن ناحية فإن معظم خط الجدار يمر في حدود ١٩٦٧، باستثناء مدينة القدس، الأمر الذي

يثير مخاوف البعض من أن يكون هذا بمثابة وضع حدود مستقبلية مع الدولة الفلسطينية. ومن جهة أخرى فهناك أوساط إسرائيلية تقلق من أن جدارا كهذا سيشكل عائقا أمام عشرات الآلاف من المستوطنين المنتشرين في الضفة الغربية.

(ج) جيش الحيوانات

منذ قيام الدولة والجيش الإسرائيلي يلعب فيها دورا متميزا، فقضية الأمن والحفاظ على الدولة من القوى المتربصة بها جعل" جيش الدفاع الإسرائيلي" محور العمل في دعم الدولة وحمايتها، لكن لم ينجح العسكريون في تحقيق الأهداف التي حددها شارون، في قمع الانتفاضة، خاصة وأن الفلسطينيين دخلوا مرحلة من الكفاح المسلح ضد إسرائيل نقلوا بها معركتهم إلى داخل الخط الأخضر - حدود عام ١٩٦٧ - وكان للعمليات الاستشهادية في تل أبيب والقدس الغربية وغيرهما من المدن الإسرائيلية صدى موجع لدى الرأي العام في إسرائيل، حيث أكدت للإسرائيليين أن قواتهم العسكرية والأمنية لم تمنع أو تحول دون دخولهم إلى عمق إسرائيل، بل وأكدت فشل سياسة شارون في تحقيق الأمن للدولة والمواطن.

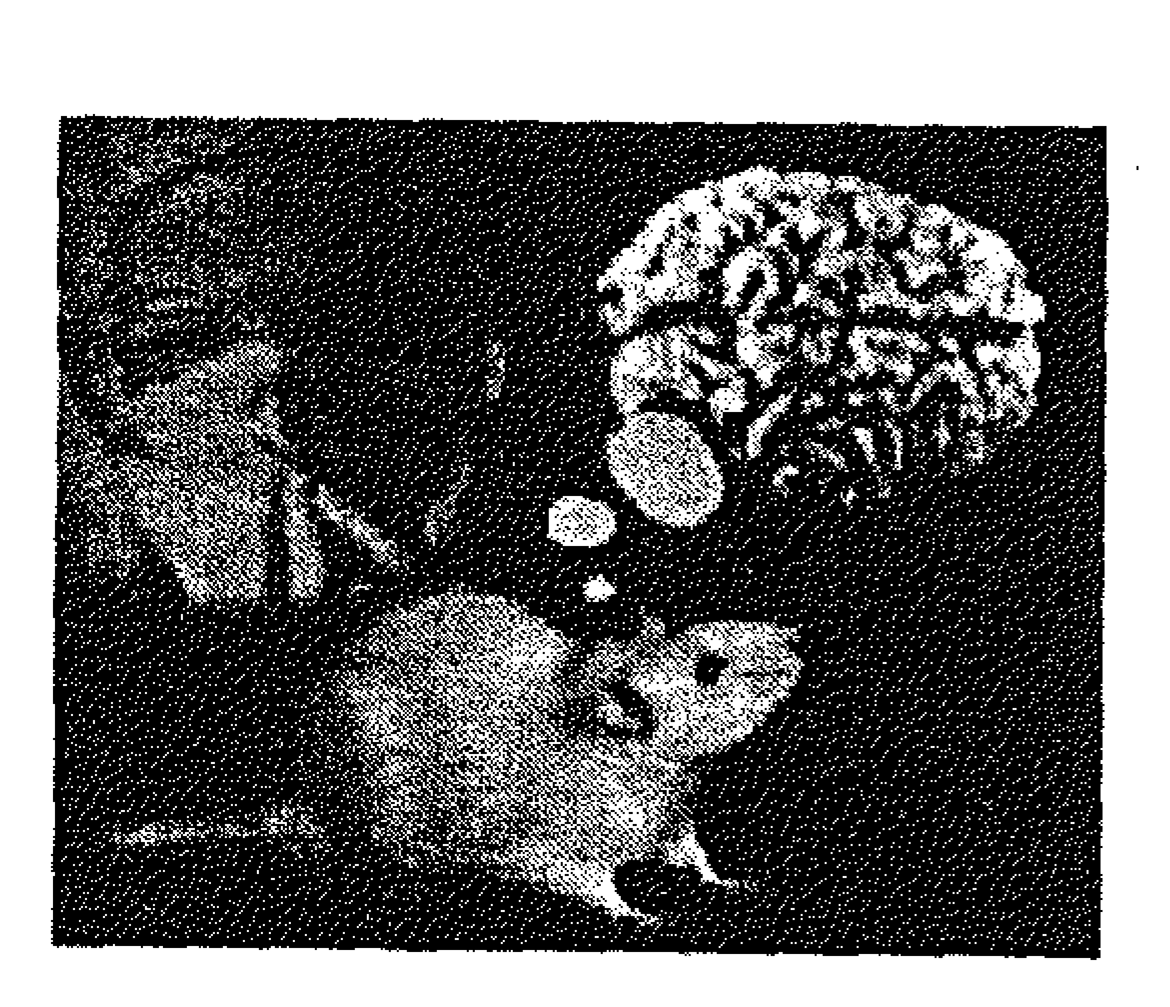
لذا بدأ الإسرائيليون في تجهيز جيش من الحيوانات للدفاع عنهم. وقد أقر المسؤولون في البنتاجون بأن هذه الحيوانات قد تثير شكوكا أو سخرية، لكن من المؤكد أنها يمكن أن تسفر عن نتائج. وقد أنفق البنتاجون

منذ عام ١٩٩٨ أكثر من ٢٥ مليون دولار على مشاريع عسكرية وأمنية تجرى على الحيوانات.

(١) فئران آلية لمواجهة حرب العصابات الفلسطينية

يسعى العلماء الإسرائيليون لتحويل الفأر إلى إنسان إلى موجه بالكومبيوتر عن طريق تثبيت أقطاب كهربائية في مخه حيث تنقل إشارات الحركة من كومبيوتر إلى مخ الفأر عبر جهاز استقبال إشارات لا سلكية مربوط على الظهر. حيث يمكن تدريبها على القيام بمهام الإنقاذ للأشخاص المدفونين تحت الأنقاض واكتشاف وإزالة الألغام.

ويمكن للفئران وحيوانات المعمل في العادة أن تتأقلم على التحرك في اتجاه معين داخل مغارة استجابة لنغمات صوتية ومكافآت مثل الطعام. ولكن الباحثون أزالوا كل القيود الخارجية واستبدلوا "العصا والجزرة" المادية بالحفز الكهربائي لمنطقتين في المخ وهما القشرة البدنية الحسية وحزمة مقدمة المخ الوسطى، لتحفيز الفأر إلى ما يجب القيام به ومكافأته على التوالي.

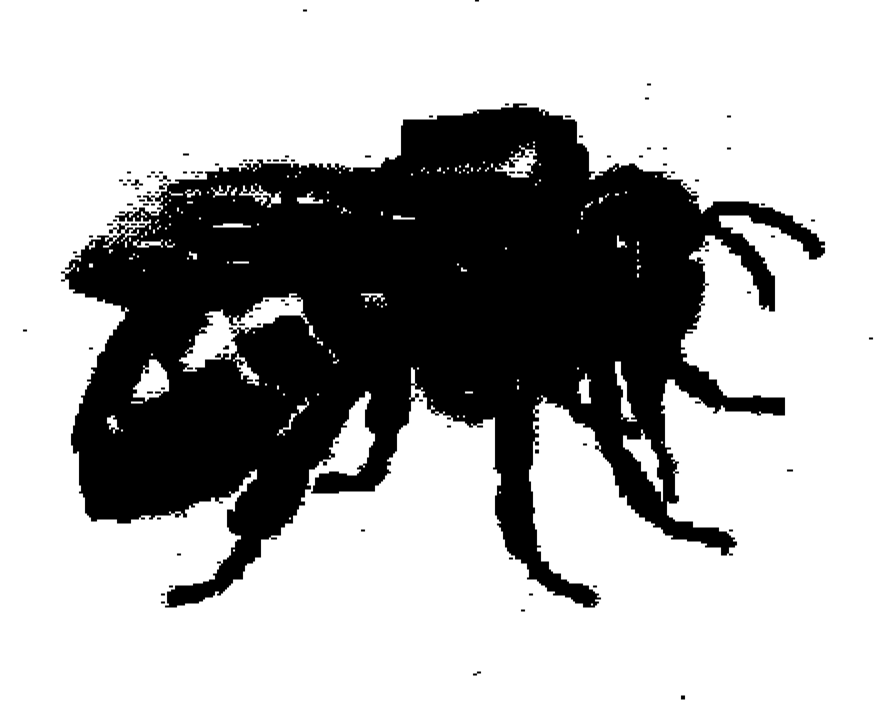


حيث يمكن لمشغل أن يحرك الحيوانات بدقة عن طريق سلسلة من النبضات، في الوقت المناسب، وفي بيئة حقيقية معقدة ومتغيرة بما فيها الأنابيب والأفاريز والمعابر الضيقة المرتفعة، ويمكن حتى توجيه التعليمات للفئران

بصعود الأشجار أو القفز منها. ويمكن للمشغل أن يتحكم في اتجاه الحركة بحفز الاحتكاكات على شوارب الفئران في القشرة البدنية الحسية. ويتم مكافئة الحركة الصحيحة في حزمة مقدمة المخ الوسطى. كذلك تم اختبار "الفئران الآلية" في أكوام من الأنقاض وتوجيهها في بيئات تتجنبها في العادة بصورة غريزية، مثل الأماكن ذات الإضاءة الشديدة والأماكن المفتوحة.

ويشير العلماء إلى إمكانية أن تركب على الفئران، التي تمتاز بصغر الحجم والرشاقة وخفة الحركة وحاسة الشم القوية، معدات متصلة بالأقمار الاصطناعية. ومن خلال هذا الاتصال سيكون ممكنا رصد تحركاتها وتطويعها بعد تدريبها للوصول إلى مواقع صعبة أو خطرة على الإنسان كالمتفجرات أو الأنقاض، وهو ما يجعلها عنصرا مفيدا في حالات الطوارئ وعند وقوع الكوارث.

(٢) نحل لرصد المتفجرات



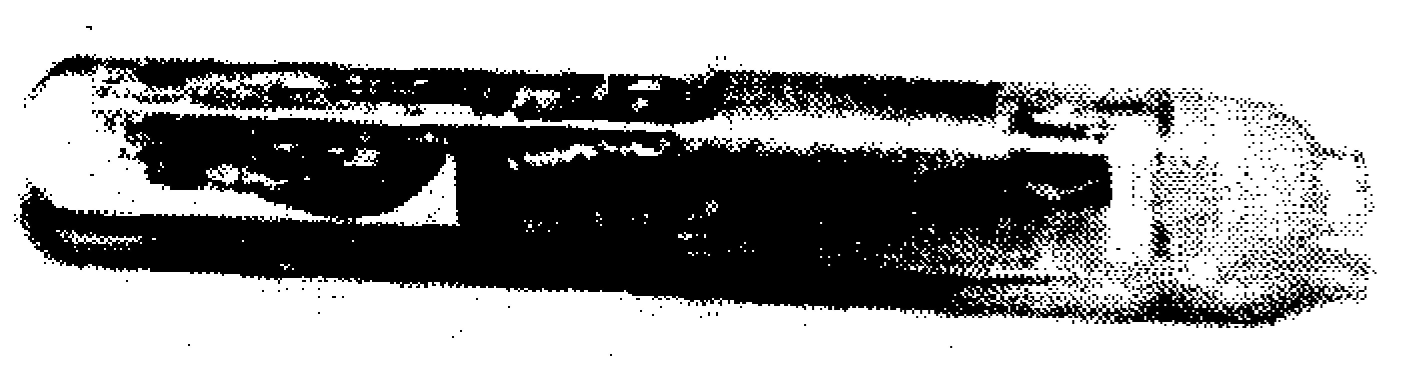
يحاول العلماء إستغلال حاسة الشم العالية لدى النحل في تدريبه على رصد المتفجرات وذلك لاستخدامه مستقبلا كوسيلة مهمة للكشف عن الألغام والمتفجرات والأسلحة الكيميائية والبيولوجية. حيث يمكن

وضع مجموعة من النحل قرب نقاط المراقبة الأمنية لرصد الشاحنات التي تحمل المتفجرات. ويفكر الباحثون في تجهيز النحل بأجهزة إرسال بحجم حبة الأرز وسيمكن بالتالي تتبع آثارها.

كما يمكن جعل النحل يفضل القنابل عوضا عن رحيق الأزهار وتدريبه لشم حتى أدق رواسب المتفجرات من أجل أن يدل الأجهزة الأمنية إلى مصانع القنابل والألغام. كما يمكن وضع النحل المدرب قرب مراكز التفتيش لتنبيه السلطات إذا حاول شخص عبور حاجز أمني وهو يحمل قنبلة أو حزاما ناسفا.

(٣) رقاقة إلكترونية تحت الجلد لمراقبة المعتقلين عن بعد

بعد تطوير تقنيات إلكترونية تتعرف على الهوية برصد شكل حدقة العين، وتقاسيم الوجه وشكل اليد،



رقاقة «فيري تشيب» [أ.ب]

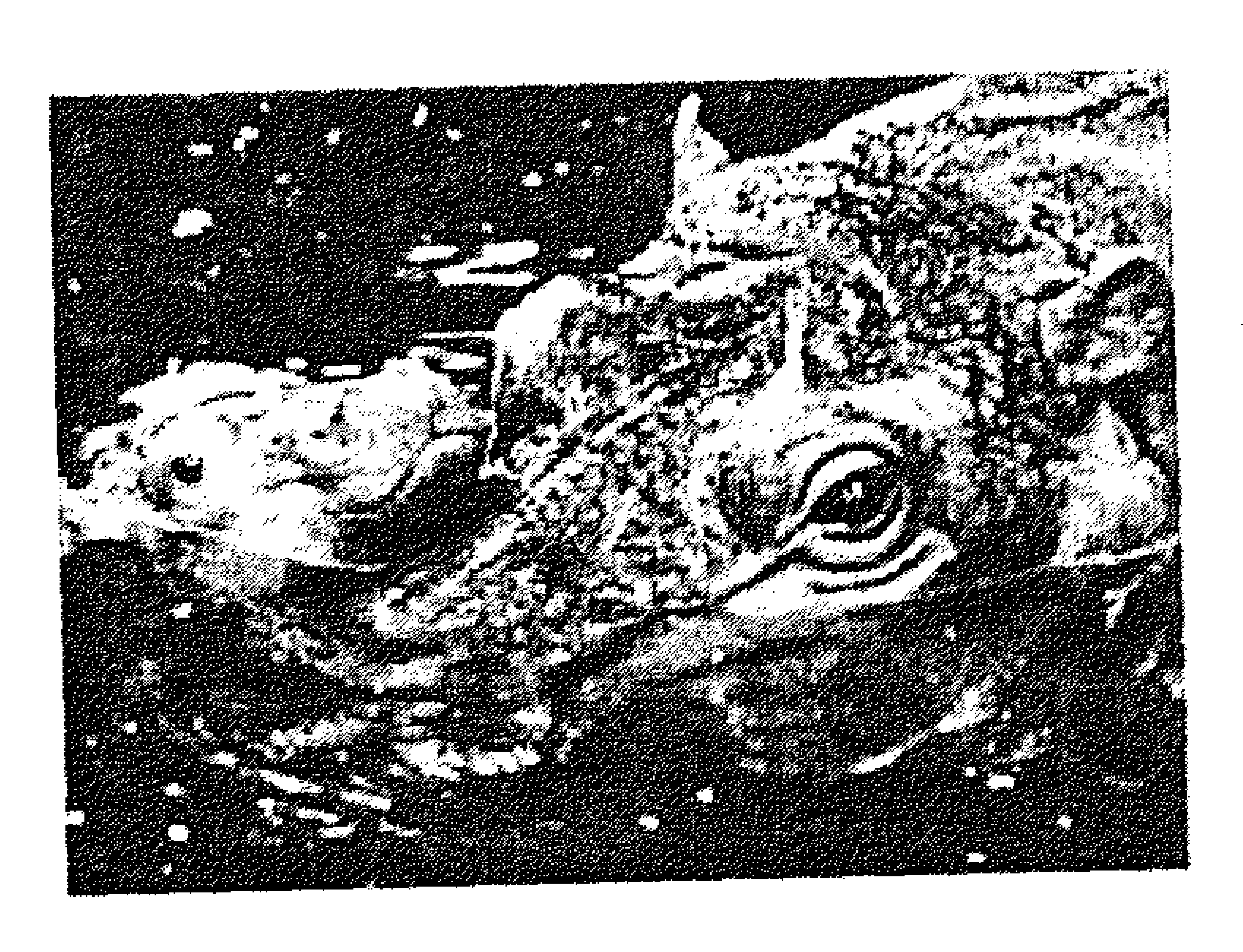
وبصمات الأصابع، طور العلماء رقاقة كومبيوترية بحجم حبة الأرز يمكن زرعها تحت جلد الإنسان لتحديد هويته الشخصية وتخزين أي رموز سرية خاصة أو معلومات عن الحالة الصحية لحاملها.

وقد تمكن العلماء من زرع رقاقة إلكترونية بحجم حبة الأرز تحت جلد ثلاثة أشخاص بهدف تخزين معلومات عن ملفاتهم المرضية، في تجربة من

المؤمل أن تكون لها أبعاد وتطبيقات كثيرة تبدأ بتخزين المعلومات الشخصية أو تحديد الموقع عن بعد أو حتى دخول البيت أو المكتب من غير مفاتيح.

وتبث الرقائق إشارة راديوية تنقل معلومات مشفرة إلى قاعدة بيانات تتضمن الاسم والعنوان ورقم الهاتف والمعلومات الطبية للشخص المعني يقرؤها جهاز استقبال خاص. لكن الرقائق لها استخدامات أخرى ولاسيما الحالات الأمنية كالتعرف على هوية الأشخاص داخل شركات القطاع العام أو الخاص. وبفضل نظام لتحديد الموقع، يمكن للرقاقة الإلكترونية أن تستخدم لتعقب تحركات الأشخاص. وتدرس مصلحة السجون الإسرائيلية استخدام هذه الأجهزة لمراقبة تحرك الأشخاص الفلسطينيين الخطرين عن بعد.

(٤) تماسيح في مياه غزة



تستطيع التماسيح مهاجمة أي فريسة في الظلام الدامس بفضل أعضاء استشعار على وجوهها تمكنها من من الإحساس بأقل تموج في المياه. وما أن يدخل شيء إلى الماء حتى تقوم هذه المستقبلات التي تشبه القبة على الفك الأسفل للتمساح بتنبيهه إلى أن وجبته القادمة قد لا تكون بعيدة المنال. وهذه

المستقبلات لا يتعدى حجمها أظفر الأصبع الصغير وهي مكسوة بما يشـــبه الوبر، ومزروعة على طول الفكين الأعلى والأسفل. والمستقبلات مرتبطـــة بشبكة من الأعصاب الفائقة الحساسية ومكسوة بطبقة رقيقة جدا من الجلد.

إن أعضاء الاستشعار في التماسيح متصلة بالجهاز العصبي، لكنـها لا تعمل إلا عندما يكون رأس التمساح نصف مغمـــور في المـاء. كمـا أن مستقبلات الإحساس بالضغط موجودة أيضا في حفريات ترجع إلى العصـر الجوراسي، مما يشير إلى أن هذه الكائنات المفترسة المكيفة للعيش في الماء قـد حلت مشكلة الجمع بين الدروع الواقية والقدرة على نقل الإحساس باللمس قبل ملايين السنين. وقد أظهرت الاختبارات العلمية أن التماسيح تســتطيع تحديد مكانها بالنسبة لقطرة واحدة من الماء سواء بإدارة رؤوسها أو التحـرك مباشرة نحو مصدر الحركة، ولكن بتغطية الأعضاء التي تشبه القبة على وجـه التماسيح فقدت كلية حساسيتها على استشعار الحركة.

ويدرس الإسرائيليون إمكانية ضم التماسيح إلى وحدة التجســس في مياه غزة لكشف عمليات تهريب الأسلحة عبر السفن وخصوصا بعد انتشـار ظاهرة تهريب الأسلحة في السفن في الفترة الأخيرة، والتي تعرض لها ســلاح البحرية الإسرائيلي مثل سفينة «كارين إيه» و«سانتوريني». وحسب الخطـة تصل السفينة إلى شواطئ غزة، وتقوم بإلقاء الحاويـات المحكمـة الإغـلاق والمحملة بصواريخ الكاتيوشا والأسلحة المضادة للدبابات وغيرها في البحـر، بحيث يقوم فلسطينيون بجمع هذه الأسلحة وأخذها.

(٥) كلاب للكشف عن أماكن وجود المتفجرات



تبرعت الجالية اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية بألف كلب أمريكي للكيان الصهيوني بعد تدريبها في المعسكرات الأمريكية، وذلك في إطار دعمهم لشرطة الاحتلال في إسناد (كلبي) كبير للكشف عن أماكن وجود المتفجرات، والعبوات الناسفة، ويصل ثمن هذه الشحنة من الكلاب نصف مليون دولار.

(٦) أجهزة متطورة وكلاب لحراسة المستوطنات

كما بدأت إسرائيل في استخدام كلاب مدربة من هولندا، وأجهزة إنذار متطورة من النمسا والولايات المتحدة الأمريكية، بهدف توفير الأمن للمستعمرات اليهودية ومنع الفلسطينيين من التسلل إليها لشن عمليات فدائية. ويأتي ذلك في ظل توالي العمليات الفلسطينية التي تستهدف المستوطنات الإسرائيلية.

وقد أشارت جريدة "هآرتس" الإسرائيلية إلى أن زيادة محاولات التسلل إلى المستوطنات في الضفة الغربية وقطاع غزة، والتي انتهى بعضها بقتل جنود ومستوطنين أدت إلى طرح عدة مبادرات غير عادية تهدف إلى

تعزيز شبكة الأمن في المستعمرات اليهودية في الضفة الغربية وقطاع غزة. ففي مستوطنة "تفوح" ومستعمرة "ألون موريه" اليهودية قرب نابلس تم استخدام كلاب مدربة تم استيرادها من هولندا لغرض الدفاع عن الجزء غير المسيج في المستعمرة اليهودية، وأكدت أن الكلاب مدربة على تشخيص ومهاجمة من هو غير معروف حتى في ظروف جوية ممطرة وفي ساعات الظلام، واستعانت كل من مستوطنة "بسغوت" اليهودية القريبة من مدينة رام الله، ومستوطنة "نافيه تسوف" بأجهزة إنذار متطورة جدا من شركة نمساوية تقوم بنقل إشارات أثناء الطوارئ بواسطة الهاتف. وعلى خلفية عدم الارتياح من أجهزة الإنذار المعروفة والمنتشرة في المستعمرات حاليا تم شراء جهاز آخر يعمل بواسطة البث إلى أجهزة "ترانزستور"، ومثل هذا الجهاز يعمل اليوم في جنوب الولايات المتحدة في حالة العواصف.

خاتمة

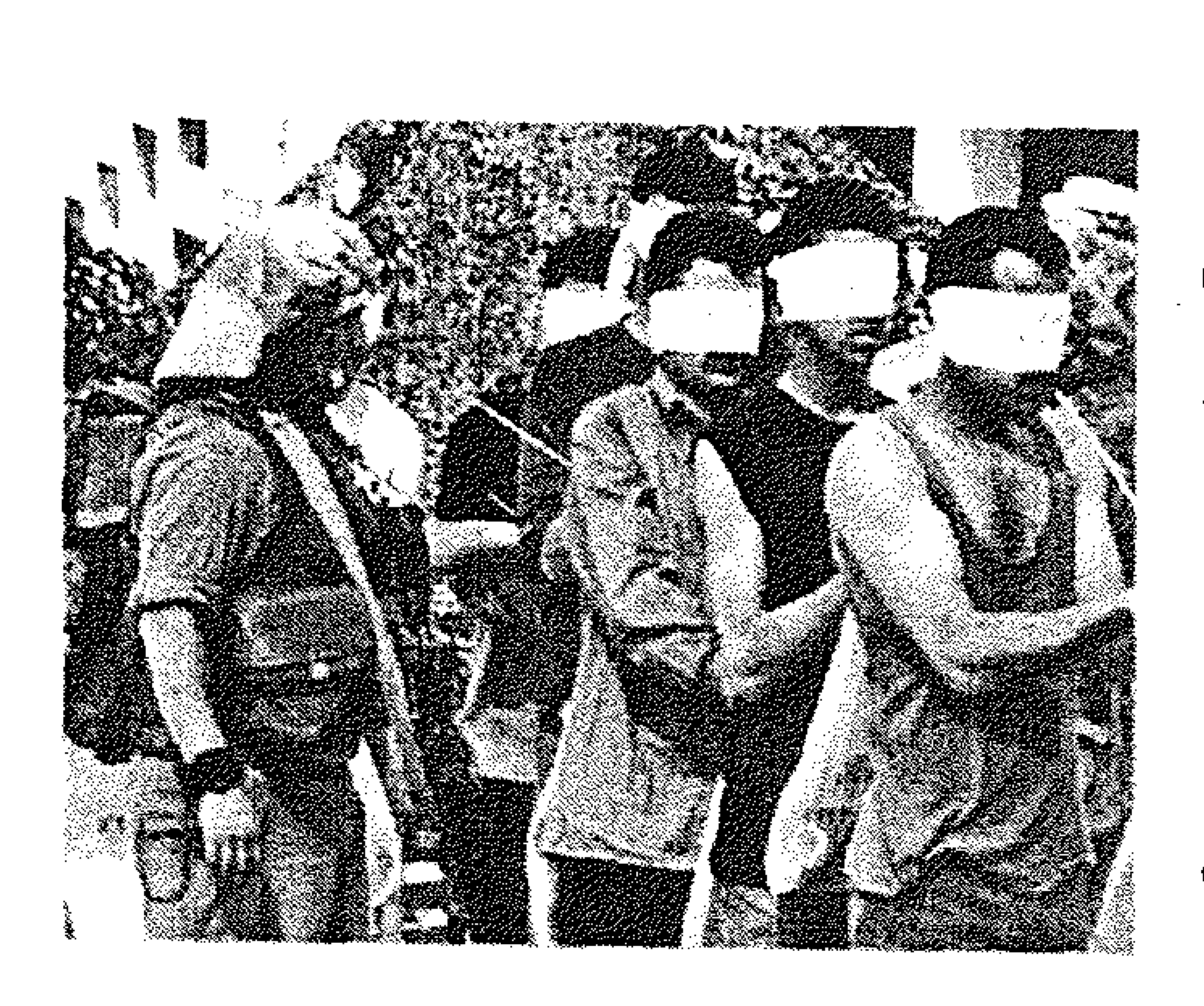


وهكذا أدي التحول النوعي في أداء المقاومة الفلسطينية في المناطق المحتلة إلى فرض نفسه على الساحة العسكرية والإعلامية في هذه الانتفاضة المباركة التي حظيت بأسماء عديدة يطلقها العدو نفسه، فهي المسماة مصيدة الموت، ورقصة الموت، وحرب الاستتراف. و لم يكن شارون ليعلم حين قرر أن يدنس ساحة المسجد الأقصى أن مصائد الموت قد نصبت له بأشكال متنوعة تزداد كل يوم روعة في أدائها.... ورغم الحصار....ورغم المآسي التي تدمي القلب يخرج بصيص من نور وأمل يربت على القلوب الحزينة، ويعلن لكل ذي لب أن المحنة تزيدنا ثقة بأن النصر حليف المؤمنين بإذن من الله تعالى.

الفصل الثالث:

المعتقلون الفلسطينيون
بين أنياب المستعربين وتكنولوجيا التعذيب

يقوم جهاز المخابرات الإسرائيلية بانتزاع الاعترافات من الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين بشتى الوسائل المتاحة من أساليب التعذيب والإعدام البطيء من خلال استخدام أجهزة تكنولوجية لا تترك آثارا على السجين أو المعتقل. كما أصدرت إسرائيل مرسوما عسكريا – مخالفا للتنظيمات الدولية – ساري المفعول منذ ٥ من أبريل ٢٠٠٢م يجيز احتجاز المشتبه بهم لمدة ١٨ يوما من دون أن يسمح لهم بمقابلة محام أو قاض أو أحد أفراد عائلتهم مع السماح لقاض عسكري بتمديد المهلة ٩٠ يوما.



وقد دعت منظمة العفو الدولية إلى إصدار أمر بفتح تحقيق حول الظروف القاسية واللاإنسانية لآلاف الفلسطينيين المعتقلين في السجون الإسرائيلية. كما أكدت منظمة الدفاع عن حقوق الإنسان أن أكثر من

٨٥٠٠ فلسطيني أعتقلوا منذ الاجتياح الإسرائيلي لمدن الضفة الغربية في أواخر مارس ٢٠٠٢م فيما يسمي بعملية "السور الواقي" معظمهم بشكل اعتباطي، وأن هذه الاعتقالات ترافقت مع معاملة مهينة وأحيانا أيضا مع وسائل تعذيب، وتدعو السلطات الإسرائيلية إلى تشكيل لجنة تحقيق وإحالة المسؤلين عن هذه المعاملات السيئة إلى القضاء لمخالفتهم للقوانين الدولية، وكذلك لأمر محكمة العدل العليا الإسرائيلية الذي يحظر ممارسة التعذيب مع المعتقلين الفلسطينيين.

في هذا الفصل نكشف للعالم الوجه المزيف للديموقراطية الإسرائيلية من خلال التجول داخل المعتقلات الإسرائيلية لنتعرف على أساليب التعذيب الجسدي والنفسي التي يتعرض لها المعتقلون الفلسطينيون من جانب أجهزة التحقيق الإسرائيلية وتأثيراتها المدمرة على حالتهم الصحية.

(١) المستعربون"... سجل طافح بالأساليب القذرة في اعتقال ناشطي الانتفاضة

وحدات المستعربين هم أفراد القوات الخاصة وظيفتها ملاحقة قيادات الانتفاضة الميدانيين بالاغتيال أو الاعتقال. وتتدرب وحدات

المستعربين على التعايش مع نمط الحياة الفلسطينية، ويكونوا على اطلاع على العادات والتقاليد في الضفة وغزة حتى لا يثيروا الشكوك في شخصياتهم عندما يقومون بأعمال اختطاف وتصفية داخل المجتمع الفلسطيني. وخلال انتفاضة الأقصى عاد اسم "القوات الخاصة" يتردد كثيرا ويتصدر عناوين الأخبار داخل الأراضي الفلسطينية، وذلك بعد غياب ملحوظ سببته سلسلة من الإخفاقات فلا يكاد يمر يوم من كل أسبوع دون أن نسمع عن اختطاف واعتقال ناشط فلسطيني، وأحيانا اغتياله وتصفيته؛ ووراء كل ذلك مجموعات من المستعربين من جيش الاحتلال الإسرائيلي الذين اصطلح على تسميتهم بـ "القوات الخاصة".

ويعود أول ظهور لوحدات المستعربين الخاصة إلى عام ١٩٨٨وتحديدا في تشرين الأول، حيث ظهر جنود متنكرون بالزي العربي وأطلقوا النار على عدد من نشطاء الانتفاضة آنذاك، وبعد ذلك بنحو عامين ونصف كشف إيهود باراك الذي كان يتولى رئاسة هيئة أركان جيش الاحتلال عن وجود وحدات "دوفدفان" و"شمشون" تعمل من خلال التغلغل في المجتمع الفلسطيني للقضاء على ما أسماه "النواة الصلبة للانتفاضة". وتعرضت هذه الوحدات (التي عادت لتنشط بقوة كبيرة خلال عملية الجدار الواقي التي قامت بها قوات الاحتلال الإسرائيلي إذ اختطفت واعتقلت واغتالت العشرات من القادة الفلسطينيين).

والجدير بالذكر أن هذه الوحدات تعرضت على مدى تاريخ ظهورها لسلسلة من الإخفاقات، وقامت بعدة عمليات فاشلة جعلتها مثار سخرية وانتقاد الصحافة الإسرائيلية الأمر الذي أدى إلى تقليص نشاطها عدة مرات فضلا عن التغييرات المستمرة في قياداتها بعد كل عملية فاشلة. ومن أبرز عمليات هذه الوحدات الفاشلة عملية "عصيدة الشمالية" قبل بدء انتفاضة الأقصى، والتي جرت لمحاولة اعتقال أو تصفية الشهيد المجاهد محمود أبو الهنود - أحد قادة كتائب الشهيد عز الدين القسام - في الضفة الغربية حيث نجح في قتل ثلاثة من ضباط هذه الوحدات وإصابة آخرين إضافة إلى تمكنه من الإفلات بسلامة من الحصار الذي فرضه العشرات من أفراد هذه الوحدات المعززين بقوات كبيرة من جيش الاحتلال النظامي عدة مرات خلال فترة حياته، علما أن هذا القائد اغتيل بتاريخ ٢٠٠١/١١/٢٣ بعد قصف سيارته بأربعة صواريخ جو أرض من طائرتي أباتشي.

وفي انتفاضة الأقصى (التي شاهدنا فيها على شاشات التلفزة مرات عديدة أفراد هذه الوحدات ينخرطون في فعاليات الانتفاضة ومن ثم يقومون باعتقال أبرز الناشطين) كانت هذه القوات على موعد مع الفشل عدة مرات لتضيف إلى سجل فشلها فشلا آخر عندما أحبط مقاتلون فلسطينيون محاولتها تصفية نصر جرار ٤٢ عاما من مدينة جنين، وما أعقبها من تعرض أفراد تلك الوحدة، والقوات الكبيرة التي كانت تساندها لإطلاق نار من قبل مقاتلين فلسطينيين ينتمون إلى كتائب شهداء الأقصى دون أن يطلق أفراد تلك

الوحدة أية رصاصة، وإنما خلفوا وراءهم بعض العتاد العسكري غنمه المسلحون الفلسطينيون.

وتعتبر وحدات "المستعربين " الأهم لدى قوات الاحتلال الإسرائيلي حيث إن تنفيذ عمليات من النوع السابق، والتي تتطلب جرأة يفترض أن يتم اختيار هذه العناصر بعناية، ومن شروط الالتحاق بها كما تتحدث تقارير الصحافة الإسرائيلية عن الإجادة التامة للغة العربية، وإطلاق النار بدون سابق إنذار، ويلبس أفرادها الزي المدني القريب التشابه من الذي يرتديه المواطنون الفلسطينيون (زي فلاح أو قروي فلسطيني أو حسب الحالة) كما أنهم يتلقون تدريبات مستمرة في مناطق معدة لتحاكي واقع المجتمع الفلسطيني. ويتسلح عناصر هذه الوحدات ببنادق أوتوماتيكية صغيرة تكون مخبأة تحت ملابسهم، ومن مهامهم بالدرجة الأولى اختطاف واعتقال أو تصفية المواطنين الفلسطينيين الذين تعتقد سلطات الاحتلال الإسرائيلي أنهم يشكلون خطرا على أمن الدولة العبرية.

ويبدو أن هذه الوحدات التي اشتهرت في فترة الانتفاضة الفلسطينية الأولى وحتى وقت قريب بعمليات التصفية المباشرة للمطاردين والمسلحين الفلسطينيين (وفقا لمصادر إسرائيلية تورطت في اغتيال أكثر من ٢٠٠ ناشط فلسطيني منذ عام ١٩٨٧ وحتى الآن، إلى جانب تقديمها المعلومات اللازمة لوحدات أخرى في جيش الاحتلال لينفذ عمليات اغتيال واسعة أخرى) أصبحت تركز خلال الانتفاضة الحالية على عمليات اختطاف واعتقال

المستهدفين بغية التحقيق معهم فيم توكل أعمال التصفية والاغتيال في أغلب الحالات إلى المروحيات والمقاتلات أو إعداد عبوات ناسفة وتفجيرها عن بعد.

ولعل من أبرز عمليات الاعتقال التي قامت بها هذه الوحدات خلال الأسابيع الأخيرة اعتقال أبرز قياديي الانتفاضة مروان البرغوثي، بعد رصد المكان الذي يتواجد فيه، حيث ظهرت عناصر هذه الوحدات غير واضحة معالم الوجه على شبكات التلفزة، وهي تقود هذا المناضل إلى أحد مراكز التحقيق الإسرائيلية. ومن المهم الإشارة أن هذه الوحدات لا تتورع عن ارتكاب أفظع الانتهاكات سيما أن عملياتها تبقى في إطار من السرية ولا تخضع لأية ضوابط أو قوانين.

(٢) تكنولوجيا تعذيب المعتقلين الفلسطينيين

(أ) التعذيب الجسدي

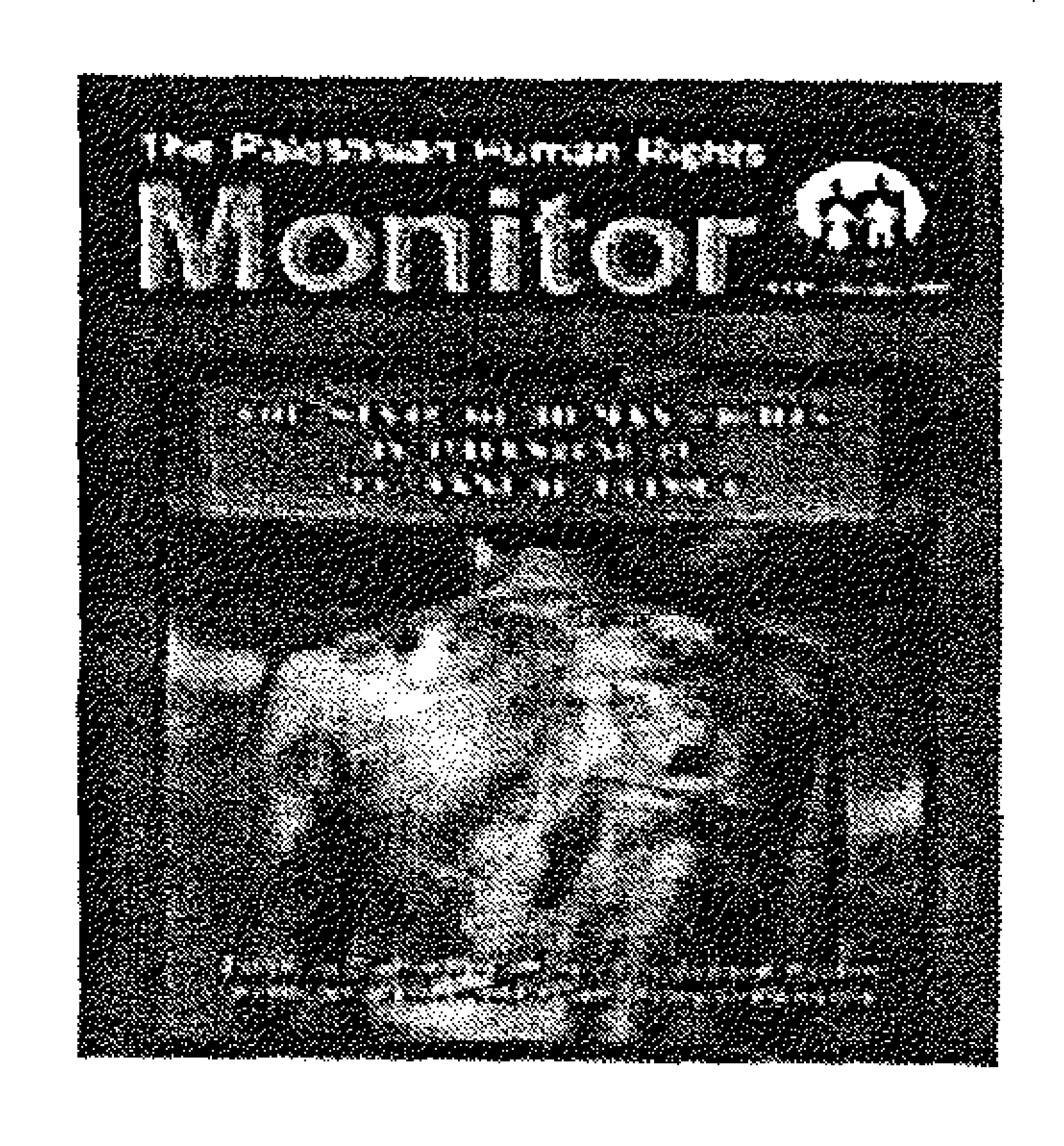
يؤكد المعتقلون الفلسطينيون الذين أفرج عنهم أخيرا أن المخابرات الإسرائيلية كثفت من طواقم التحقيق في مراكز الاعتقال، وأصبح عمل هذه الطواقم على مدار أربع وعشرين ساعة. وتعتبر أساليب التعذيب الجسدي من أخطر الأساليب التي يستخدمها رجال التحقيق الإسرائيليون مع المعتقلين الفلسطينيين، وقد كانت سببا في وفاة ٤٠ معتقلا فلسطينيا في السجون الإسرائيلية أثناء التحقيق معهم. وتتلخص أشكال التعذيب الجسدي في:

- **الهز العنيف**

معظم المعتقلين الفلسطينيين أفادوا بأنهم تعرضوا لهذا الأسلوب؛ حيث يقوم المحقق الإسرائيلي بإمساك المعتقل من ملابسه من أعلى قميصه، ويهزه هزا عنيفا لمدة طويلة، وحينها يشعر المعتقل بأن صدره بدأ يتكسر. ويؤدي ذلك إلى نزيف داخلي في الصدر، ونزيف دموي في الدماغ والعين والأذن، وتتأثر به جميع أعضاء الجسم.

- **الصدمة الكهربائية**

ويتم وضع طرفين من الأسلاك الكهربائية على جلد المعتقل وأعضائه، كالرقبة والرأس، والأطراف والأعضاء التناسلية، وعندما يبدأ سريان التيار الكهربائي في الأسلاك ويصل إلى جسم المعتقل يجد المعتقل نفسه ينتفض بشدة، ويهدد المحقق المعتقل بزيادة التيار الكهربائي إذا لم يعترف. ويؤدي هذا الأسلوب إلى انقباض في العضلات ورعشة شديدة وتشنج كلي وشلل عضلي، وقد يؤدي إلى توقف القلب والموت.



- **الضرب بكافة أنواعه**

يقوم المحققون بالضرب على أماكن حساسة من الجسد مثل الرأس والأطراف، حيث يقوم المحقق بالضغط الشديد على هذه الأعضاء والضرب عليها بشدة، ويتعرض المعتقل إلى ضرب عشوائي

ومكثف على جميع أعضاء الجسم.

- **الخنق**

بعد أن يتم تكبيل المعتقل من يديه ورجليه، يقوم المحقق بطرحه أرضـــا وخنقه فترة معينة حتى يشعر المعتقل بأنه فارق الحياة ثم يتركه، ويعود ليمارس الخنق مرة أخرى وهكذا.

- **الشبح**

يقوم المحقق من جهاز الأمن العام بإجبار المعتقل على الوقوف على قدميه لفترة طويلة قد تصل إلى أيام، دون أي راحة، مرة في الشمس، ومرة في البرد القارس، ويقوم بربط المعتقل من يديه إلى أعلى، ويظل مشبوحا لفترة طويلـة، وأحيانا يجبره على الوقوف على قدم واحدة لفترة طويلة.

- **إطفاء أعقاب السجائر**

وتعرض الكثير من المعتقلين الفلسطينيين لهذا الأسلوب الوحشي، وهو أن يقوم المحقق بإطفاء أعقاب السجائر في جسمه لإجباره على الاعتراف.

- **أجهزة تكنولوجيـــة في التعذيب**



يقـــوم جـــهاز المخـــابرات الإسرائيلية بانتزاع الاعترافات مـــن الأسرى والمعتقلين بشتى الوســـائل

المتاحة من أساليب التعذيب والإعدام البطيء من خلال استخدام أجهزة تكنولوجية لا تترك آثارا على السجين أو المعتقل.

- **أسلوب القنبلة الموقوتة**

وهو "آخر صيحة" في أساليب التعذيب ويؤدي استخدام هذا الأسلوب إلى انهيار عصبي لدى الأسير أو وفاته أو ترك عاهات دائمة.

- **أسلوب قرفصة الضفادع**

يتم عصب عيون المعتقل وتقييد قدميه ويديه وإقعاده كما الضفدع، ويؤدي هذا الأسلوب إلى فقدان المعتقل لعقله والإصابة بالهذيان وتمزق عضلاته.

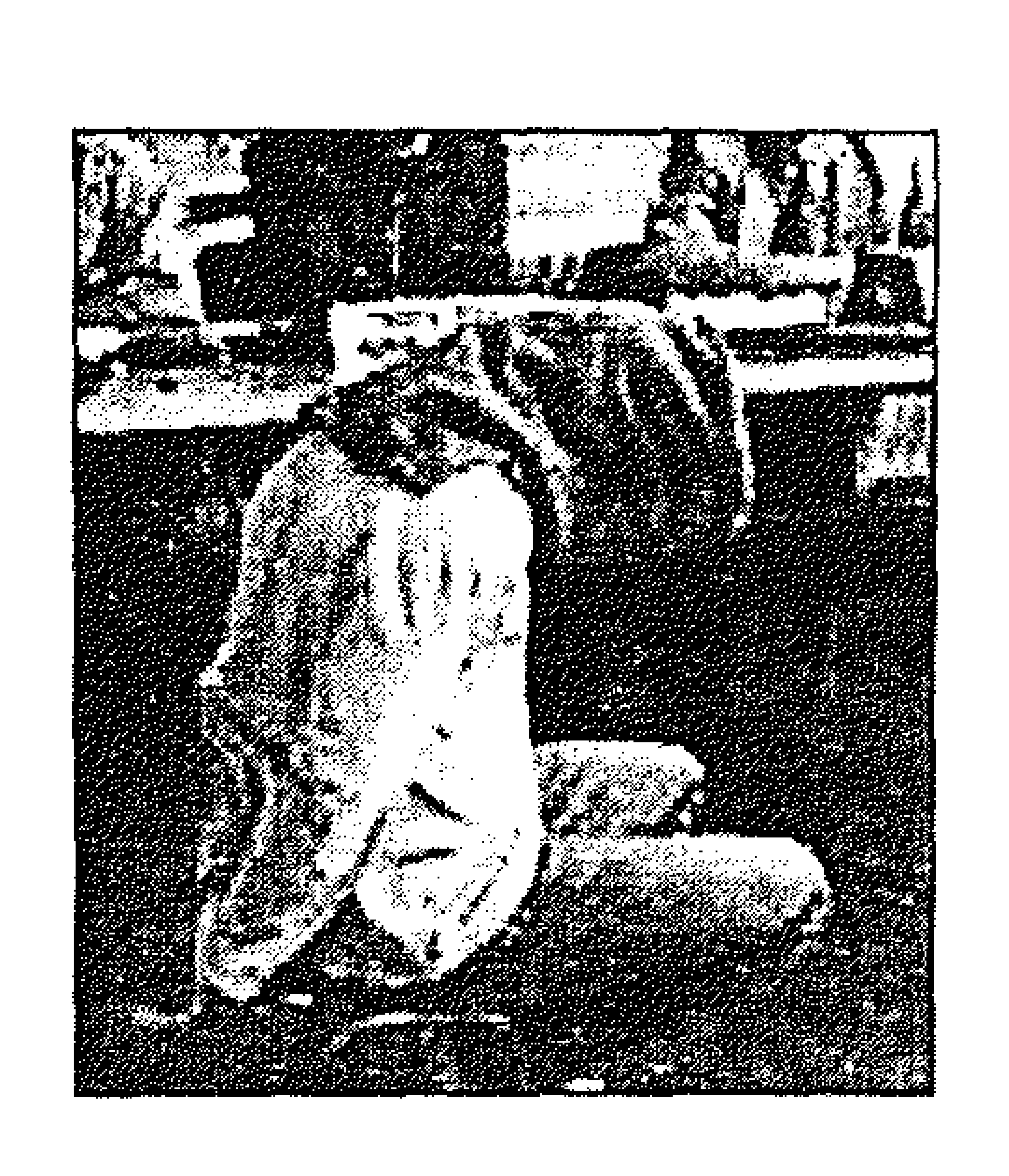
- **استخدام أدوية خطيرة على صحة المعتقلين**

في ١٠-٧-١٩٩٧ كشفت مصادر إسرائيلية رسمية وجود ألف تجربة لأدوية خطيرة تحت الاختبار الطبي تجرى سنويا على الأسرى الفلسطينيين والعرب في إسرائيل.

(ب) التعذيب النفسي

ولا تقل أساليب التعذيب النفسي خطورة عن أساليب التعذيب الجسدي، حيث يركز رجال التحقيق على الجانب النفسي لانتزاع الاعترافات من المعتقلين الفلسطينيين، وأبرز هذه الوسائل:

- **الكيس**



يعترف جميع المعتقلين الفلسطينيين أن أكياسا وضعت على رؤوسهم أثناء التحقيق. ويتكون الكيس من قماش سميك جدا، تكون له رائحة كريهة، وهذا الكيس يلازم المعتقل طوال فترة التحقيق معه، وقد يشعر أنه مخنوق طوال فترة ارتداء الكيس، ولا يستطيع أن ينتقل من زنزانته إلى زنزانة أخرى إلا والكيس على رأسه.

- **المسلخ**

وهو اسم يطلقه رجال التحقيق في جهاز الأمن الإسرائيلي "الشاباك" على الساحة التي يعذب بها المعتقلون أثناء التحقيق، وأثناء انتظار جولات التحقيق، وغالبا ما يستغله المحقق ليهدد به المعتقل بهذا الاسم المخيف "المسلخ".

- **الضجة بالموسيقى**

لهذا الأسلوب أثره النفسي الكبير على حياة المعتقل، حيث يظل مشبوحا مدة طويلة من غير نوم، ويكون صوت الموسيقى عاليا وصاخبا، وهو ما يجعل المعتقل يعاني حالة نفسية سيئة لا يميز ما يدور حوله.

• **التجويع وعدم النوم**

يستخدم رجال التحقيق أسلوب التجويع ضد المعتقلين، حيث يظل المعتقل مدة طويلة من غير نوم مشبوحا، وتصل إلى أكثر من أسبوع دون طعام ومن غير نوم، ويساومه على الاعتراف مقابل النوم والطعام. ويقدم الأكل للمعتقل في دورة المياة في الظلام. ولا يسمح للمعتقل بدخول دورة المياة لقضاء حاجته إلا بعد التعاون مع أجهزة التحقيق مما يؤدي إلى تبول المعتقلين في ملابسهم التي يتم تجفيفها بعد أن تصبح ذات رائحة كريهة بوضع المعتقل أمام جهاز تكييف بارد.

• **الكرسي**

وهو إجبار المعتقل على الجلوس فوق كرسي من كراسي أطفال الروضة مدة طويلة جدا تصل إلى أكثر من عشرة أيام متتالية، والآلام الناجمة عن هذا الأسلوب آلام جمة، ومعظم المعتقلين الذين مورس ضدهم هذا الأسلوب عانوا من الكثير من المشاكل الصحية.

• **الثلاجة**

الثلاجة عبارة عن زنزانة مظلمة جدا مساحتها صغيرة، ليس فيها أي شباك سوى فتحة صغيرة يدخل منها هواء بارد جدا يسبب نزلات معوية وحالات تشنج، ودائما تكون ذات رائحة كريهة جدا.

- **العزل الانفرادي**



الزنزانة هي أحد الأساليب النفسية التي يستخدمها جهاز الأمن للضغط على المعتقل الفلسطيني بتركه معزولا فيها أياما وليالي، ويشعر المعتقل بالوحشة نتيجة لهذا العزل، وينتج عن ذلك حالة نفسية سيئة تجعله يفكر أنه لن يخرج من هذا الجحيم.

وتفرض إدارة السجون إجراءات مشددة على الأسرى المعزولين، من ضمنها حرمانهم من الزيارات مدة طويلة، وتقييد الأيدي والأرجل أثناء الخروج لساحة النزهة أو العبادة أو الزيارة، أو تعرضهم للاستفزازات والإهانات الدائمة والنقص المستمر في حقوقهم المعيشية ومتطلباتهم اليومية.

- **التهويل والتهديد**

يقوم المحقق بتهديد المعتقل بأنه سوف يقوم بإحضار أمه وأخته وزوجته إلى المعتقل، وأنه سيقوم بضربهن والاعتداء عليهن إن لم يعترف، وقد مورس هذا الأسلوب مع الكثير من المعتقلين، حيث تم إحضار أهلهم إلى مكان التحقيق، وتمت المساومة.

- **غرف العصافير**

هو اسم أطلقه المعتقلون الفلسطينيون على غرف العملاء التي يستخدمها رجال التحقيق بعد فشلهم في نزع الاعتراف من المعتقل بالأساليب الجسدية، فيقوم رجال التحقيق بإرسال المعتقل إلى غرف العملاء"العصافير" حيث يمثلون عليه دور المناضلين لانتزاع الاعتراف منه بسهولة.

- **الحط من كرامة المعتقل**

حيث يرغم المعتقل على القيام بأمور من شأنها الحط من كرامته كأن يتم إرغام المعتقل على تقبيل حذاء المحقق.

(٣) المعتقلات الفلسطينيات... بين الإذلال وانتهاك الأعراض

مع تصاعد انتفاضة الأقصى، وانخراط شرائح المجتمع الفلسطيني كافة فيها، بدأت تتكرس معاناة القطاع النسائي أكثر فأكثر في ظل هذه الهجمة الشرسة، فعشرات الشهيدات الفلسطينيات سقطن شهداء إما بقصف منازلهن أو بنيران الجنود على الحواجز، أو نتيجة الولادات القيصرية، وما إلى ذلك من ممارسات الصهاينة، ولكن في أي من الحالات السابقة لم يكن شرف المرأة يمس، فالموت بشرف سمة فلسطينية عامة يشترك فيها الرجال والنساء، ولكن هذا العرض الفلسطيني انتهك بشكل صارخ في السجون الصهيونية وجاوز مداه كل الخطوط الحمراء حتى غدا هما لا يطاق.

ففي تقريره الدوري أشار نادي الأسير الفلسطيني إلى سلسلة من الممارسات غير الأخلاقية، التي تتخذها إدارة سجن عزل الرملة – قسم النساء

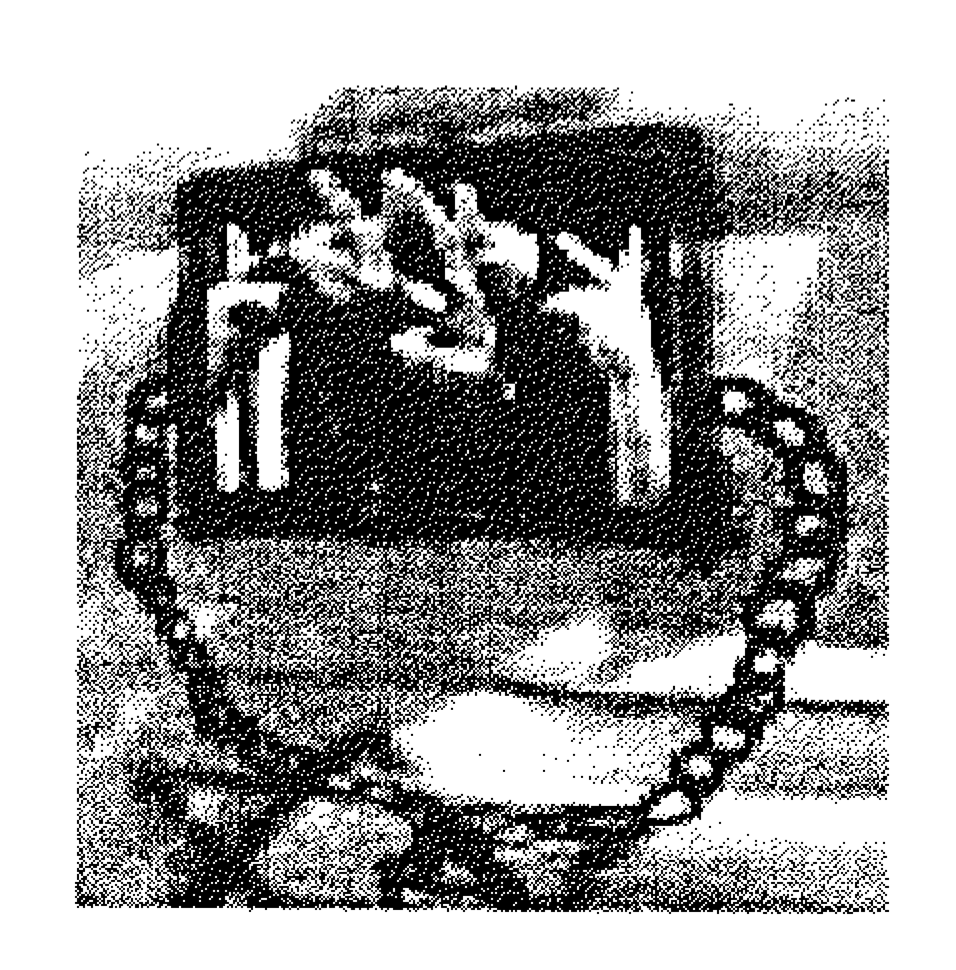
- بحق ١٥ أسيرة يقبعن في هذا المعتقل، وذلك خلال زيارة قامت بها محامية النادي إليهن حيث التقت عددا منهن في ظروف غاية في القسوة والتعقيد، حيث ذكر النادي أنه في آخر الأنباء التي تسربت من سجن الرملة للنساء كشفت المعتقلات الفلسطينيات هناك أهن يتعرضن إلى ممارسات مهينة تخدش الحياء بشكل فظ، منها على سبيل المثال لا الحصر: بتاريخ ٢٠٠٢/٣/١٦ قام السجانون بعزل ١٣ أسيرة كإجراء عقابي بحقهم، حيث قاموا بتقييد أيديهن ومن ثم عملوا على خلع جميع ملابسهن بما فيها الملابس الداخلية وإبقائهن عاريات مكبلات الأيدي بالأسرة بينما أبواب الغرفة مفتوحة والسجانون ينظرون إليهن، وهو أمر يتجاوز كل ما يمكن للفلسطيني أن يحتمله، وقد ذكرن أن هذا الإجراء قد تكرر عدة مرات، حيث تعمد إدارة السجن إلى اللجوء إلى مثل هذا الإجراء للضغط على المعتقلات؛ لأنها تعلم قيمة الشرف لدى المرأة المسلمة، وأضافت المعتقلات: إنه بعد إجراء عمليات التفتيش في الغرف التي تطلبت عدة ساعات، طلب منهن الحراس ارتداء ملابسهن وهن مقيدات الأيدي مما تطلب منهن وقتا طويلا بينما يسترق هؤلاء النظر في خطوة عجزت عن تقليدها حتى البهائم، وليست حالات التفتيش هي الحالات الوحيدة التي تقوم خلالها إدارة السجن بإجبار المعتقلات؛ على خلع ملابسهن، بل يتم ذلك في كل حالة تتطلب الخروج من غرفهن سواء الذهاب إلى المحاكم أو زيارة المحامي أو ما شابه، وعندما رفضت المعتقلات

ذلك قام السجانون بربط أيديهن بالأسرة ومن ثم خلع ملابسهن كاملة عنوة، والاعتداء عليهن بالضرب والشتيمة وما إلى ذلك من وسائل الإهانة.

سحب كافة الحقوق الاعتقالية أسلوب آخر تلتجئ إليه إدارة سجن الرملة الصهيوني في سبيل الضغط على المعتقلات من حرمان كامل من زيارة الأهل وهو حق مسلوب يشترك فيه المعتقلون والمعتقلات على حد سـواء، فأكثر المعتقلين لم يقم بزيارة ذويه منذ أكثر من عام، توزيع المعتقلات علـى أربع غرف ضيقة، حرماهن من الفورة "أي الخروج من غرفهن لمدة ساعتين يوميا في ساحة مشيكة"، حرماهن من استعمال الكانتينة "بقالـة السـجن"، العزل الانفرادي بعد كل اعتصام تنفذه الأسيرات، وجبات طعام سيئة.. إلخ.

ويعود سبب استفراد إدارة السجن الصهيوني بـالمعتقلات وهضـم حقوقهن في حين لا تجرؤ على فعل ذلك مع المعتقلين الفلسـطينيين إلى قلـة عددهن فعددهن لا يتجاوز ١٨ أسيرة، في حين يتجاوز عدد المعتقلين الخمسة آلاف مما يجعل منهم قوة ضاربة في وجه أي قرار تعسفي، فحينما تقـرر إدارة أي سجن اتخاذ خطوات عقابية بحق الأسرى تجابه بتمرد المئات منهم في هـذا السجن أو ذاك، وسط مواجهات تصل إلى حرق الخيام وقذف السـجانين بكل ما تيسر لهم أن يقتلعوه من أرضية السجن أو أدوات الطبخ أو الإضراب المفتوح عن الطعام لفترات قد تجاوز الشهر أو ما إلى ذلك، في حين يشـكل قلة عدد المعتقلات عائقا أمامهن في سبيل نيل حقوقهن الاعتقالية فتسـتفرد بيهن إدارة السجن، مما يجعلهن لقمة سائغة لقرارات جائرة.

خـــاتــمة



كل الوثائق والقوانين الدوليـــة تحـــرم استخدام أساليب تعذيب المعتقلـــين تحـــت أي ظروف وفي أي وقت، وذلك لترع اعترافـــات منهم، وتعتبر من جرائم الحرب. فعلـــى ســـبيل المثال قانون الأمم المتحدة الدولي ضد تعذيـــب المعتقلين الذي بدأ العمل به في ٢٦يونيو ١٩٨٧ ينص على أنه " غير مسموح لأي دولة أن تسمح أو تمارس أساليب تعذيب ضد المعتقلين مـــهما كـــانت الأسباب حتى في حالات التهديد بالحرب أو عدم الاستقرار السياسي" وقـــد أدانت لجنة الأمم المتحدة -المختصة بدراسة أوضاع المعتقلـــين- أســـاليب التعذيب التي تتبعها أجهزة التحقيق الإسرائيلية مع المعتقلـــين الفلســـطينيين. ولكن هى يتوقف الأمر على الإدانه وقرارات لا تنفذ في حين يعاني المعتقـــل الفلسطيني أشد أنواع العذاب مما يجعله "مشروع شهيد"؟!

الفصل الرابع

ممارسات إسرائيلية في فلسطين
بين الدمار الصحي والخراب البيئي

نرى كل يوم على شاشات التليفزيون المشاهد الدموية داخل الأراضي الفلسطينية، والتي أصبحت جزءا لا يتجزأ من الحياة داخل فلسطين. إلا أن الاحتلال الإسرائيلي لا يحارب الشعب الفلسطيني الأعزل باستخدام الأسلحة العسكرية فقط، بل هناك العديد من الوسائل التي لجأت إليها إسرائيل من أجل محاصرة هذا الشعب المغوار، ومحاولة القضاء على عزيمته في المقاومة ضد احتلال البطش والطغيان. ومن هذه الوسائل التدمير الصحي والانتهاكات البيئية.

(١) الحالة الصحية للشعب الفلسطيني.. بين سوء التغذية والاضطرابات النفسية:

تعرف منظمة الصحة العالمية الصحة بأنها حالة من الاستقرار الجسمي والنفسي والاجتماعي التام، وليس فقط الخلو من مرضٍ أو وهن. وحسب هذا التعريف فإن الأوضاع الصحية داخل فلسطين قد تدهورت إلى أسوأ المستويات بسبب الممارسات الإسرائيلية الوحشية من حصار وإطلاق نار على المستشفيات وسيارات الإسعاف، والقيام بتعديات بيئية فادحة،

بالإضافة إلى وصول حد البطالة داخل فلسطين إلى مستويات يتعذر معها المعيشة على حد الكفاف. فقد أشارت د.نادية العوضي في دراسة لها إلى نتائج العديد من الدراسات الصحية التي أجريت على الفلسطينيين وهي كالآتي:

- فحسب تقرير لبرنامج غزة للصحة النفسية حدث انخفاض ملحوظ في درجات التلاميذ بالمدارس مع انخفاض نسب الحضور إلى ٢٠% في كثير من الحالات. كما تزايدت حالات الاضطراب النفسي الناتج عن العنف، بالإضافة إلى عدد حالات التبول اللاإرادي الليلي ومص الإبهام والبكاء والالتصاق الزائد عن الحد بالوالدين والكوابيس واضطرابات النوم وفقدان القدرة على التركيز وزيادة حدة العنف تجاه الإخوة والوالدين.
- كما رصدت المجلة الطبية البريطانية تضاعف حالات سوء التغذية بين أطفال قطاع غزة خلال عام واحد فقط كنتيجة مباشرة للحصار الإسرائيلي على مدن وقرى القطاع، وحدوث تزايد حاد في عدد حالات فقر الدم والالتهابات والكثير من الأمراض. وبالرغم من سوء التغذية المتفشي بين أفراد الشعب الفلسطيني، فإن عدد حالات ارتفاع ضغط الدم في تزايد مستمر بسبب الضغوط النفسية الهائلة التي يعانون منها. وقد أدى الحصار الإسرائيلي أيضا إلى تعطيل حملات التطعيم ضد الأمراض المختلفة، بالإضافة إلى قطع

السلطات الإسرائيلية للكهرباء عن الكثير من المناطق بل والمستشفيات بصورة خاصة، وهو ما أدى إلى تخريب التطعيمات داخل الثلاجات، واستحالة تقديم الخدمات الصحية للحالات الحرجة.

- حسب بحث قام به فريق من الأطباء بمعهد طب المجتمع بجامعة بيرزيت، فإن ١٣% من الإصابات التي ألحقت بالفلسطينيين من بداية انتفاضة الأقصى ستؤدي إلى إعاقات مستديمة. وحسب تقديرات الهلال الأحمر الفلسطيني وصلت أعداد المصابين حتى منتصف ليل السابع والعشرين من مارس ٢٠٠٢م إلى ١٨٥٥٣ حالة، وذلك بالطبع قبل إعادة احتلال رام الله، وأهم أسباب الإعاقات المستديمة ترجع إلى استخدام الجيش الإسرائيلي لبنادق الـ"M-١٦" التي توفرها له الحكومة الأمريكية، والتي تتحول طلقاتها إلى شظايا داخل الجسم؛ فتقوم بتمزيق العضلات والأعصاب، وتتسبب في إصابات داخلية عديدة وخطيرة.
- في فبراير ٢٠٠١م وصل إلى مستشفى ناصر بخان يونس أكثر من ١٠٠ حالة تعاني من أعراض الغثيان وصعوبة في التنفس وآلام المعدة وحساسية الجلد ووجود تشنجات عضلية حادة. وقد قال الأطباء الفلسطينيون بأن هذه الأعراض تشبه كثيرا الأعراض الناجمة عن استخدام غاز الأعصاب المحظور والمعروف باسم السارين الذي

يوجد دلالات كثيرة تؤكد امتلاك وتصنيع الحكومة الإسرائيلية لمثل هذا السلاح الكيماوي، وقد استخدم أيضا الجيش الإسرائيلي ثلاثة أنواع من الغازات المسيلة للدموع تؤدي بعضها إلى الإصابة بالعمى والحساسية الجلدية وصعوبات التنفس بل وزيادة حالات الإجهاض بسبب التعرض المباشر للغاز. كما تشير بعض الدلائل إلى حدوث الطفرات الوراثية وزيادة حالات الإصابة بمرض السرطان على المدى الطويل بسبب التعرض لهذه الغازات. هذا بخلاف استخدام الجيش الإسرائيلي أثناء قصفه المستمر للمدن والقرى الفلسطينية الأسلحة المزودة باليورانيوم المنضب الذي بدأت آثاره السلبية على الصحة تنجلي للعلماء المختصين بعد رصد زيادة حدوث حالات السرطان والفشل الكلوي بين الجنود الأوروبيين المشاركين في حرب البوسنة وأطفال العراق.

- التعديات الإسرائيلية على البيئة الفلسطينية لا تكاد تحصى، وآثارها على صحة الشعب الفلسطيني من أسوأ ما يكون؛ فالسلطات الإسرائيلية والمستوطنون الإسرائيليون يقومون بتلويث مصادر مياه الشعب الفلسطيني بالمخلفات الصناعية وغيرها، كما منع الفلسطينيون من نقل نفاياتهم إلى مقالب النفايات الواقعة خارج المدن والقرى بسبب الحصار الواقع عليهم؛ مما يضطرهم إلى حرقها،

وأيضا نقل السلطات الإسرائيلية نفاياتهم الخطرة إلى الأراضي الفلسطينية.

وينتج عن استحالة نقل المخلفات إلى خارج المدن الآثار الآتية:

- تلوث الهواء بسبب تحلل النفايات أو بسبب حرقها، وهو ما له الأثر السلبي على الجهاز التنفسي من أمراض الحساسية وأمراض الصدر.
- تجمع الحيوانات والحشرات الضارة على المخلفات؛ وهو ما يؤدي إلى نقل الكثير من الأمراض، خاصة أن المستشفيات نفسها غير قادرة على نقل مخلفاتها التي بالضرورة تحتوي على مواد خطرة وأمراض معدية.
- تعرض الأطفال لخطر الإصابة بجروح أو أمراض بسبب فضولهم الطبيعي الذي قد يجرهم للبحث وسط المخلفات، خاصة الذين يبحثون عن الزجاج أو الألومنيوم أو ما شابه من أجل بيعه.
- تسربات تلك النفايات عبر التربة إلى المياه الجوفية تؤدي إلى تلويث المياه القليلة التي يتركها الإسرائيليون للاستخدام الفلسطيني.

(٢) انتهاكات بيئية على الأراضي الفلسطينية

أنواع التعديات البيئية التي تقوم بها إسرائيل داخل الأراضي الفلسطينية أكثر من أن تحصى، بل هي تحتاج إلى دراسات ودراسات، إلا أننا نقدمها هنا بإجمال، حسب تقرير د.نادية العوضي، لتوضيح الصورة وإظهار نوع الحياة التي يعيشها أهل فلسطين.

- **التلوث الناتج عن المستعمرات الإسرائيلية**

يذكر معهد الأبحاث التطبيقية في القدس في دراسة له أنه يعيش حاليا في الأراضي الفلسطينية ٤٠٠ألف مستوطن يستهلكون مصادرها الطبيعية بطريقة غير مرشدة بالمقارنة بالإمكانات المتاحة؛ فكما هو معروف فإن غالبية المستعمرات الإسرائيلية تقع على قمم التلال، وتقوم بتصريف مياهها العادمة إلى الأودية والمناطق الزراعية الفلسطينية. وحسب معدلات إنتاج المياه العادمة المتوفرة، فإننا نجد أن كمية المياه العادمة الناتجة من مجموع المستعمرات الإسرائيلية (حوالي٣٠ مليون متر مكعب في السنة)، أي ما يعادل تقريبا ما تنتجه التجمعات الفلسطينية في الضفة الغربية قاطبة (٣١ مليون متر مكعب في السنة).

وتؤدي المياه العادمة التي تصب في الأراضي الزراعية الفلسطينية إلى حدوث تلف في المزروعات، وكذلك فإن بعض المستعمرات تصرف مياهها العادمة بالقرب من مصادر المياه الفلسطينية معرضة إياها للتلوث. أما بخصوص ما تنتجه المستعمرات الإسرائيلية من مخلفات صلبة فإننا نجد أن ما تنتجه يصل

إلى حوالي ٦١٤ طنا من المخلفات الصلبة في اليوم، في حين أن ما ينتجه مجموع سكان الضفة الغربية قاطبة يصل إلى ١٣٧٠ طنا في اليوم. وللمقارنة كذلك، فينتج المستوطنون الذين يمثلون ما يعادل سدس سكان الضفة الغربية ما يعادل نصف ما ينتجه سكان الضفة الغربية من المخلفات الصلبة.

- **التلوث الناتج عن المناطق الصناعية الإسرائيلية**

هناك ما لا يقل عن سبع مناطق صناعية إسرائيلية تم إقامتها في أجزاء مختلفة من الأراضي الفلسطينية، ويتم إدارتها بالكامل من قبل المستعمرين الإسرائيليين، وفي غياب تام للسلطة الفلسطينية أو أي جهة مراقبة أخرى. ومن دراسة نوعية الصناعات في هذه المناطق نجد أنها تتضمن العديد من الصناعات المتباينة، فمنها مصانع الألومنيوم، ودبغ الجلود، والإلكترونيات، والغزل والنسيج، وصناعة البطاريات، والفيبرجلاس، والبلاستيك، والأسمدة، والدهان على الأسطح، وتشكيل المعادن، وإعادة تدوير الزيوت، بالإضافة إلى العديد من الصناعات التي لا يوجد مصدر لشرح هويتها أو أنها صناعات عسكرية حربية سرية لا تتوفر معلومات عنها. كذلك قامت إسرائيل بترحيل العديد من الصناعات ذات الأضرار البيئية من مناطقها إلى مناطق حدودية بين الضفة الغربية وغزة من جهة، وبين إسرائيل من الجهة الأخرى، وفي أغلب الأحيان كان الدافع وراء النقل هو شكوى السكان المحليين من أثر تلك الصناعات على حياتهم أو مساكنهم، فتم نقل معظمها للمناطق الحدودية. تنتج جميع هذه الوحدات الصناعية مخلفات، منها ما يكون على شكل سائل،

أو غاز، أو صلب. جميع هذه المخلفات بلا استثناء يتم تصريفها للبيئة الفلسطينية.

- **نقل المخلفات الخطرة إلى الأراضي الفلسطينية**

الدلائل تشير إلى أن السلطات الإسرائيلية أو على الأقل جهات معينة فيها تتبع أسلوبا مدمرا للبيئة الفلسطينية، وذلك بتسهيل تهريب مخلفات كيماوية وطبية أو غيرها سامة أو ضارة إلى المناطق الفلسطينية، وبمساعدة حفنة من ضعفاء النفوس الفلسطينيين. وهناك العديد من الحالات التي تم الكشف عنها في مناطق السلطة الوطنية، ناهيك عن الحالات التي لم يتم كشفها. فقد تم اكتشاف ٢٩ برميلا من النفايات الخطرة في منطقة خان يونس قام المستوطنون بإلقائها في مناطق السلطة الوطنية. وفي حادثة أخرى تم اكتشاف ٢٢٣ برميلا من النفايات الخطرة والسامة في منطقة جنين شمال الضفة الغربية. وعند التحقق من طبيعة النفايات وجدت أنها تحوي مخلفات الصناعات العسكرية، وبعض المواد المشعة والمواد المسرطنة.

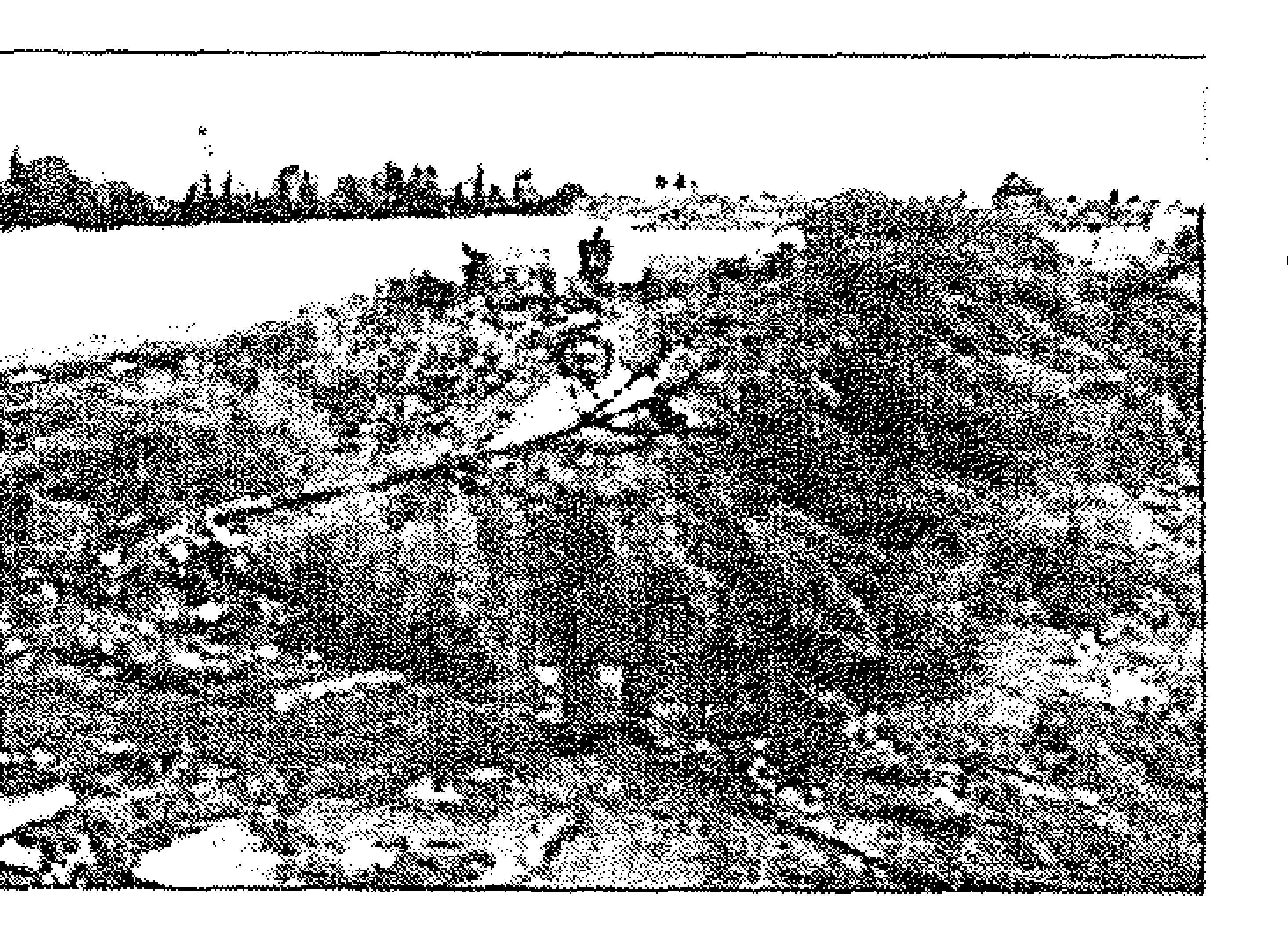
وترفض السلطات الإسرائيلية تطبيق ميثاق "بازل" الذي يحظر على الدول الأعضاء نقل أي مواد خطرة إلى أراضي دولة أخرى بحجة أن المناطق الفلسطينية لم يعترف بها كدولة بعد.

- **تدهور الغطاء النباتي والتنوع الحيوي**

أدى قطع أشجار الغابات بسبب الزحف العمراني على المناطق الخضراء لإنشاء المستعمرات الإسرائيلية إلى تدمير التنوع الحيوي في فلسطين. ومن

الواضح أن إسرائيل تستخدم اسم المحميات الطبيعية والمناطق الخضراء لمصادرة الأرض بهدف استغلالها في المستقبل لأغراض الاستيطان. فقد قامت إسرائيل - على سبيل المثال - بقطع وتجريف غابة وادي الملاقي بين قرى نعلين وبلعين؛ لإنشاء مستوطنات "بيتاتياهو" و"كريات سيفر" عليها. كما قامت بقطع غابات العيزرية حتى الخان الأحمر لإقامة مستوطنة معالية أدوميم والخان الأحمر، كما قامت بتجريف غابة جبل أبو غنيم بهدف إنشاء مستعمرة "هارحوما"، مع العلم أن تلك المنطقة كانت قد أعلنت من قبل السلطات الإسرائيلية "منطقة خضراء".

كما يقوم المستوطنون بشن حملات عدوانية مكثفة على الأراضي الزراعية الفلسطينية، ممثلة بإبادة مئات الأشجار عن طريق رشها بمواد كيماوية خطرة، كما حدث في قرية "الخضر" الواقعة إلى الجنوب من مدينة بيت لحم، وفي قرية



"ترمسعيا" في محافظة رام الله، بالإضافة إلى مساحات زراعية واسعة في محافظة الخليل. قام الجيش الإسرائيلي أيضا في الخامس من مايو ٢٠٠١م بضرب نيران على إحدى التلال المجاورة لمستوطنة إيرفات اليهودية، التي تقع بالقرب

من قرية أرتاس الفلسطينية، وهو ما أدى إلى إحراق ما يقرب من ٢٠ دونما من الأراضي، بما فيها من أشجار من أجل زيادة رقعة المستوطنة اليهودية.

وتقوم الحكومة الإسرائيلية باستغلال المناطق الفلسطينية سياحيا، وذلك باستتراف طبيعتها، مثل منطقة عين الفشخة، وشاطئ البحر الميت، وهو ما أضر بالبيئة الطبيعية والتنوع الحيوي في المنطقة، حيث قامت بإزالة الأشجار لبناء المرافق السياحية، فعلى سبيل المثال لم يبق في المنطقة سوى شجرة واحدة من "السيال" على شاطئ البحر الميت، ولم يتبق إلا مساحة ٣ دونمات من شجرة الأراك. كما قامت إسرائيل بتحويل المياه عن مجاريها الطبيعية لبرك السباحة، وهو ما أثر سلبا على البحر الميت، وأدى بالإضافة لعوامل أخرى إلى انخفاض مستواه بشكل ملحوظ.

- **مفاعل ديمونة الإسرائيلي والتلوث النووي**

مفاعل ديمونة الإسرائيلي الموجود بصحراء النقب منذ عام ١٩٦٥م مكون من تسعة مبان بما فيها مبنى المفاعل. وقد تخصص كل مبنى من تلك المباني التسع في إنتاج نوع معين من المواد التي تستعمل في إنتاج الأسلحة النووية، فمواد البلوتونيوم والليثيوم والبريليوم، التي تستخدم في صناعة القنبلة النووية تنتج هناك، هذا بالإضافة لإنتاج اليورانيوم المشبع والتريتيوم. ووفق التقارير الصادرة فإن هناك اعتقادا بأن المفاعل الإسرائيلي استهلك خلال الثلاثين عاما الأخيرة ١٤٠٠طن من اليورانيوم الخام. ولا يتم تحضير القنبلة النووية في ديمونة، بل يتم نقل المادة الجاهزة بسرية تامة إلى مركز تجميع

الرؤوس النووية في شمال حيفا. وتشير التقديرات إلى أن إسرائيل تنتج ما يقارب ٤٠ كجم من البلوتونيوم سنويا، وهو ما يدل على أن قوة تشغيل المفاعل قد تصل إلى ١٥٠ .MW.

وفي أواسط الستينيات فجرت إسرائيل قنبلة بقوة صغيرة جدا في نفق أرضي محاذ للحدود مع مصر. وقد أدى الانفجار إلى اهتزازات أرضية بالنقب وشبه جزيرة سيناء. وتشير بعض التقارير أن المفاعل أصبح قديما (٣٥ عاما) بحيث تآكلت جدرانه العازلة، وهو ما قد يؤدي إلى تسرب بعض الإشعاعات من المفاعل، وهو ما قد يحدث أضرارا بيئية وصحية جمة لسكان المنطقة بشكل عام. وحسب التقارير الداخلية التي صيغت في ديمونة، فإن المفاعل النووي يعاني من ضرر خطير ينبع من إشعاع نيتروني. ويحدث هذا الإشعاع أضرارا بالمبنى، فالنيترونات تنتج فقاعات غازية صغيرة داخل الدعامات الخرسانية للمبنى، وهو ما يجعله هشا وقابلا للتصدع. وبالرغم من استبدال بعض الأجزاء فإن هناك خلافا جديا يدور حول ما إذا كان من الأفضل وقف العمل في المفاعل بشكل تام قبل وقوع الكارثة.

وجدير بالذكر أن إنتاج البلوتونيوم يشكل إحدى أخطر العمليات في العالم؛ إذ حسب التقديرات فإن إنتاج كل كيلوجرام واحد من البلوتونيوم يصنع أيضا ١١ لترا من سائل سام ومشع لم يتمكن أحد حتى الآن من شل فاعليته. ومع ذلك ورغم مشاكل ديمونة، وقيام قسم من الفنيين برفع دعوى ضد الحكومة جراء أمراض لحقت بهم، فلم يتم تحسين الوضع في المفاعل.

فهناك خطر حقيقي على المنطقة بشكل عام ينتج من التجارب النووية التي تنفذ في مفاعل ديمونة الإسرائيلي. فإسرائيل -التي تنكر امتلاك الأسلحة النووية رسميا- عرفت بتنفيذ مثل هذه التجارب بتمويل وخبرات أمريكية. والأخطر من هذا هو التخلص من النفايات النووية، حيث لا توجد معلومات عن أماكن دفنها، ولا يستبعد أن تتخلص إسرائيل من تلك النفايات في الأراضي الفلسطينية أو في البحر، حيث كشفت عدة محاولات لها للتخلص من المواد الخطرة عن طريق دفنها في المناطق الفلسطينية.

- **الألغام الأرضية**

خطر حقيقي آخر يتهدد المنطقة وهو موضوع الألغام الأرضية التي زرعتها إسرائيل في المناطق المحتلة، فقد قامت بزرع الآلاف من الألغام عام ١٩٦٧م. ومن المتوقع أن هناك ٥١ حقل ألغام في المناطق الفلسطينية موزعة على الأغوار، وشمال وجنوب الضفة الغربية، وخاصة المناطق المحاذية للخط الأخضر. وتنفجر هذه الألغام بفعل ملامسة أي شخص لها، وهو ما أدى إلى وقوع المئات من ضحايا تلك الألغام والأجسام المشبوهة.

- **الهجمات الإسرائيلية على القطاع الزراعي الفلسطيني**

لقد تم منذ بداية انتفاضة الأقصى الكثير من الهجمات الوحشية على القطاع الزراعي الفلسطيني، نذكر على سبيل الذكر وليس الحصر: تدمير ٤٤ مزرعة للدواجن، قتل ٧٦٥ من الماعز والخرفان، قتل ٥٣ بقرة، تدمير ٢٢٢٠ خلية نحل، تدمير ١٣٠ بئرا، تدمير ٢٠٧ من منازل الفلاحين، قتل

٧٠٧٠٦ من الدواجن، جرف ٥٢٨٤ دونما من أنظمة الري، تدمير ١١١٩٨٠ مترا من مواسير المياه، تدمير ٤٣١,٤ دونما من الخضر المزروعة داخل البيوت الزجاجية، تدمير ٣٤١٠ دونمات من الأراضي المزروعة المكشوفة. (هذه التقديرات حتى نهاية يونيو ٢٠٠١م).

- **النفايات الصلبة**

بسبب سياسة الحصار الإسرائيلية على الطرق والقرى والمدن الفلسطينية لا يتسنى نقل النفايات الصلبة إلى مقالب النفايات المخصصة للتخلص منها. وبالتالي فإن القمامة تتراكم داخل التجمعات الفلسطينية، متسببة بذلك في تجمع الحشرات الضارة وصنع الروائح الكريهة، وهو ما يتسبب في انتشار الأمراض والأوبئة. ومن أجل التعامل مع مشكلة النفايات قام الفلسطينيون بحرق قمامتهم، وهو ما أدى دون وعي منهم إلى تلوث بيئي من نوع آخر.

بالإضافة إلى حرق النفايات كمصدر لتلوث الهواء، وما تنتجه المستعمرات والمناطق الصناعية الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية، فإن هناك مصادر أخرى لتلوث الهواء. فالهواء الغربي ينقل ملوثات من حركة المرور الكثيفة في وسط إسرائيل ومن المناطق الصناعية المختلفة في إسرائيل للمناطق المختلفة في الضفة الغربية. كما أن الإغلاق المتكرر وتدمير الشوارع الرئيسية أدى إلى لجوء المواطنين الفلسطينيين إلى البحث عن طرق بديلة، عادة ما تكون أطول بأضعاف من الطرق الرئيسية وأقل جودة، وهو ما يزيد من

معدل الملوثات الهوائية المنبثقة من وسائل النقل المختلفة والمتحركة على الطرق.

- **تغيير المعالم الجغرافية**

تقوم السلطات الإسرائيلية بتغيير المعالم الجغرافية في فلسطين من أجل إقامة المستوطنات والطرق الموصلة إليها، بالرغم من توقيع المعاهدات التي تمنع اتخاذ مثل تلك الإجراءات. ومثال على ذلك استقطاع جزء من أحد التلال المجاورة لمستوطنة أوتنيل بالخليل؛ من أجل عمل طريق يوصلها بإسرائيل.

(٣) محاربة القنبلة الديموجرافية الفلسطينية

أفادت دراسة إسرائيلية حول تقديرات ديموجرافية بأن اليهود لن يشكلوا غالبية في إسرائيل بعد ٢٠ عامًا- إلى قلق إسرائيلي بالغ على كافة المستويات. فتشير الدراسة حول الأوضاع السكانية للعرب والإسرائيليين بحلول عام ٢٠٢٠: إن حوالي ٥ ملايين يهودي يعيشون حاليا بين نهر الأردن والبحر المتوسط، مقابل حوالي ٤ ملايين عربي، وبحلول عام ٢٠٢٠ سيبلغ عدد المواطنين في المنطقة ذاتها -وفقًا للتقديرات- ١٥ مليون نسمة.. يُشكل اليهود منهم نسبة ٤٥% فقط.. وقد قدمت الدراسة عدة توصيات لمواجهة هذا الخطر القادم منها: محاربة الإرهاب الفلسطيني لإحداث تغيير في المواقف الفلسطينية على المدى البعيد يساعد على التوصل لحل سياسي مبني على قيام دولتين إسرائيلية وفلسطينية.

لذا تقوم إسرائيل بكل ما تستطيع من قتل وطرد وإبعاد للفلسطينيين لمجابهة هذه المشكلة السكانية. فعلى سبيل المثال، وبالإضافة لكل وسائل القتل المذكورة سابقا، فقد ازدادت نسبة الإجهاض والـولادة المبكـرة بسـبب الضغوطات النفسية السيئة نتيجة الممارسات التعسفية للقوات الإسـرائيلية على الحواجز، والتي تنعكس على الجنين بصورة مباشرة، حيث بلغت حالات الولادة على الحواجز أكثر من ٣٥ حالة ولادة في الضفة الغربية وقطاع غـزة إلى جانب وفاة ما يزيد على ١٥ جنينا.

ولكن ما أزعجهم أكثر هو إعلان مصادر طبية فلسطينية أن نسـبة المواليد الذكور في قطاع غزة قد ارتفعت بمعدل واضـح منـذ أن بـدأت انتفاضة الأقصى، حيث بلغ معدل المواليد الشهري ألف مولـود، مقارنـة بـ ٩٥٠ قبل الانتفاضة، كما أن هناك أيضا زيادة ملحوظة في عدد الذكـور مقارنة بالإناث، وكذلك هناك ظاهرة جديدة أيضا تمثلت في زيادة واضحـة في حالات إنجاب التوائم في غزة، كان آخرها إنجاب امرأة من غـزة ثلاثـة توائم بعد أن أنجبت توأمين وبذلك أصبح لها خمسة أطفال على دفعتين.

وما زاد من قلق الإسرائيليين أن هذه التقديرات تتوافق مع تقديـرات مماثلة قدمها البروفيسور "أرنون سوفير" في جامعة حيفا، وأكد فيها أنه يوجد ١,٢ مليون عربي إسرائيلي مقابل خمسة ملايين يهودي يعيشون في إسـرائيل اليوم، وهناك ١,٢ مليون عربي تكتظ بهم غزة، و١,٨ مليون عربي يعيشـون في الضفة، الأمر الذي يعني أن المعطيات باتت تقترب الآن من التسـاوي.

ويقول "سوفير" لصحيفة "يديعوت أحرونوت" الإسرائيلية : "إذا افترضنا وصول ٥٠ ألف مهاجر يهودي إلى البلاد سنويا، فإن عدد اليهود سيصل في عام ٢٠٢٠ - إضافة للزيادة الطبيعية - إلى ٦,٣ مليون نسمة تقريبا مقابل وصول عدد الفلسطينيين إلى أعلى نسبة للزيادة الطبيعية في العالم تقدر بـ ٣,٥ إلى ٤% سنويا، وهذا يعني أن عدد العرب داخل إسرائيل سيصل في عام ٢٠٢٠ إلى ٢,١ مليون نسمة، وفي غزة إلى ٢,٥ مليون نسمة، وفي الضفة إلى ٣,٣ ملايين نسمة. أي أن عدد العرب داخل إسرائيل والمناطق الفلسطينية سيصل إلى ٨ ملايين نسمة، مقابل ٦,٥ ملايين يهودي.

يأتي ذلك في الوقت الذي أكد فيه "سيرجيو دي لا بيرجولا" الخبير الإسرائيلي في العلوم الديموجرافية - أمام المجلس الصهيوني أن مؤشرات الهجرة اليهودية إلى إسرائيل سلبية للغاية، أي أن عدد المهاجرين من إسرائيل أكبر من القادمين إليها.. وكان آخرها رفض الطلاب اليهود في عدد من الدول الأوربية القيام برحلات التطوع السنوية التي تنظمها الوكالة، إضافة إلى هجرة أغنياء إسرائيل إلى الدول الأوروبية وأستراليا خوفا على حياقم بعد الأوضاع الأمنية السيئة، كما أن غالبية الإسرائيليين يفكرون أكثر من أي وقت مضى في مغادرة إسرائيل وخصوصا الإسرائيليين العلمانيين.

وأبدى الكاتب الإسرائيلي "إيتان هابير" في صحيفة "يديعوت أحرونوت" الإسرائيلية انزعاجه من هذه التقديرات قائلا: "هناك أوساط في الحركة الصهيونية تدعي أن هدف الصهيونية كله هو كسب الوقت يوما بعد

يوم وعاما بعد آخر، وخلال هذا الوقت نبني بيتا، ثم بيتا آخر، ونزرع شجرة، ونجلب مليون مهاجر روسي، وننتصر في حرب تعقبها أخرى، ثم نبني الدولة.. أما العرب فلشدة بلاهتهم لا يميزون أن الزمن يعمل لصالحنا، ومع ذلك ظهر الجنرال "عوزي ديان"، وكشف ما يعرفه العرب مسبقا، وهو أنه بعد فترة زمنية سيشكل العرب غالبية في إسرائيل.. أي أن الزمن يعمل لصالح العرب". يذكر أن إثارة الحديث عن القنبلة الديموجرافية يأتي في إطار المخاوف الإسرائيلية من عودة اللاجئين الفلسطينيين.



الباب الثاني

أدوات المقاومة الفلسطينية

من الحجارة إلى صورايخ القسام

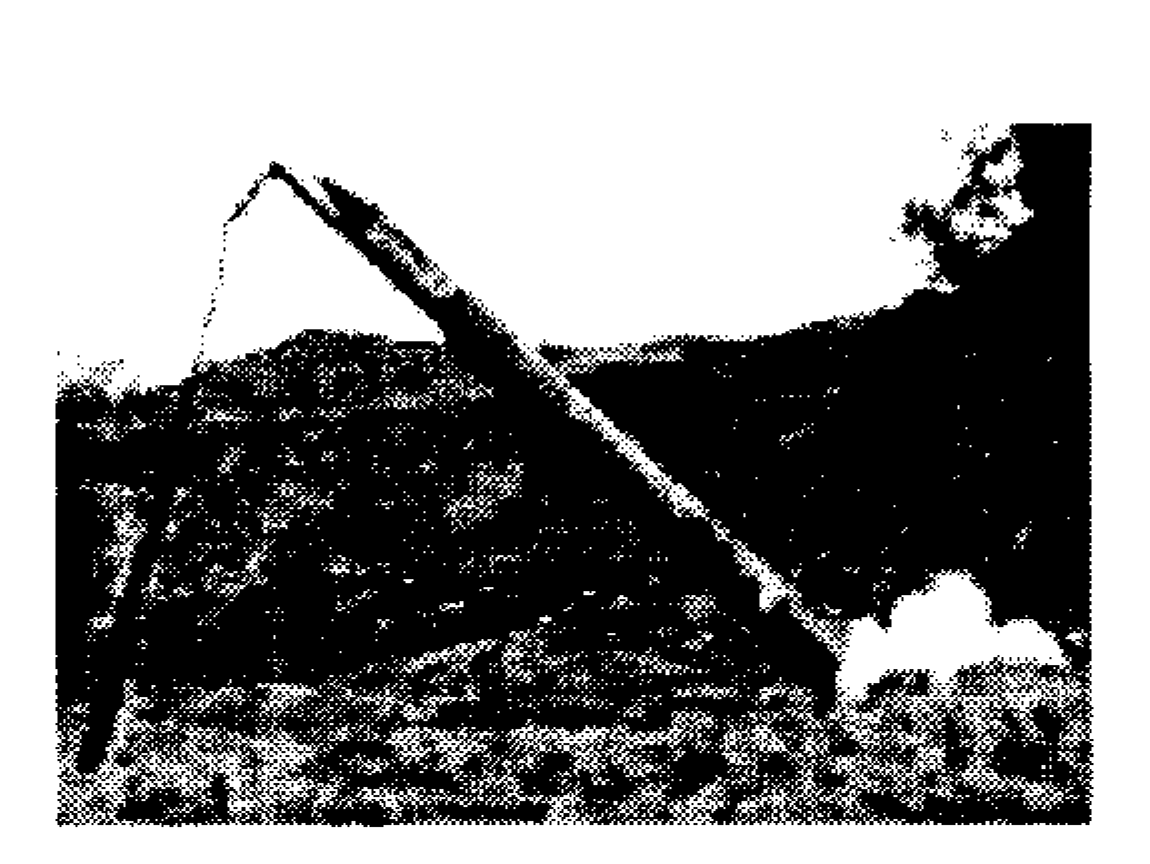
نقلة نوعية استراتيجية في أداء وتكتيكات المقاومة الفلسطينية فرضت نفسها على الساحتين العسكرية والإعلامية، فرغم البساطة التي تميز هذا التكتيك، ورغم ما تعاني منه القضية الفلسطينية من تأزم لم تشهده منذ عشرات السنين فإن للأمر صدى كبيرا لا يخفيه العدو في تصريحاته، وبعدما كنا نتحدث عن ميكانيكا النبلة وعن أنواع الحجارة بين مستو ومدبب وبعد ما كنا نحكي قصصا فدائية أبطالها الكلب والحمار والنبيطة.. فنحن الآن نتحدث عن إطلاق صاروخ "البنا" الذي أطلقته كتائب القسام - الجناح العسكري لحماس - الأحد ٧ - ٤ - ٢٠٠٢ لأول مرة في جنين، وصاروخ "القدس-١" الذي أعلنت عنه سرايا القدس الجناح العسكري لحركة الجهاد لأول مرة يوم السبت ٦-٤-٢٠٠٢، وتأتي بين الحين والآخر قذائف الهاون والآر بي جي لتصدم العدو وتصيبه بالذهول.

ولكن تواجه المقاومة الفلسطينية العديد من المعوقات من أهمها ندرة السلاح النوعي كالصواريخ المضادة للطائرات، والصواريخ بعيدة المدى مع ملاحقة بعض الأجهزة الأمنية الفلسطينية للمجاهدين ولورش تصنيع الأسلحة، وارتفاع أسعار السلاح من قبل تجار السلاح؛ حيث بلغ ثمن قطعة السلاح "إم ١٦" خمسة آلاف دولار، وثمن الرصاصة ١,٥دولار، أما سلاح الكلاشينكوف فثمنه ٢٠٠٠ دولار، وثمن الرصاصة الواحدة له ٤ دولارات. وكذلك منع الأنظمة العربية دخول السلاح إلى المجاهدين.

(١) بعض أسلحة المقاومة الفلسطينية

ومع كل المعوقات التي تعاني منها فصائل المقاومة، فقد تمكن المجاهدون الفلسطينيون من تصنيع أو الحصول على الأسلحة الآتية:

(أ) صواريخ القسام ٢



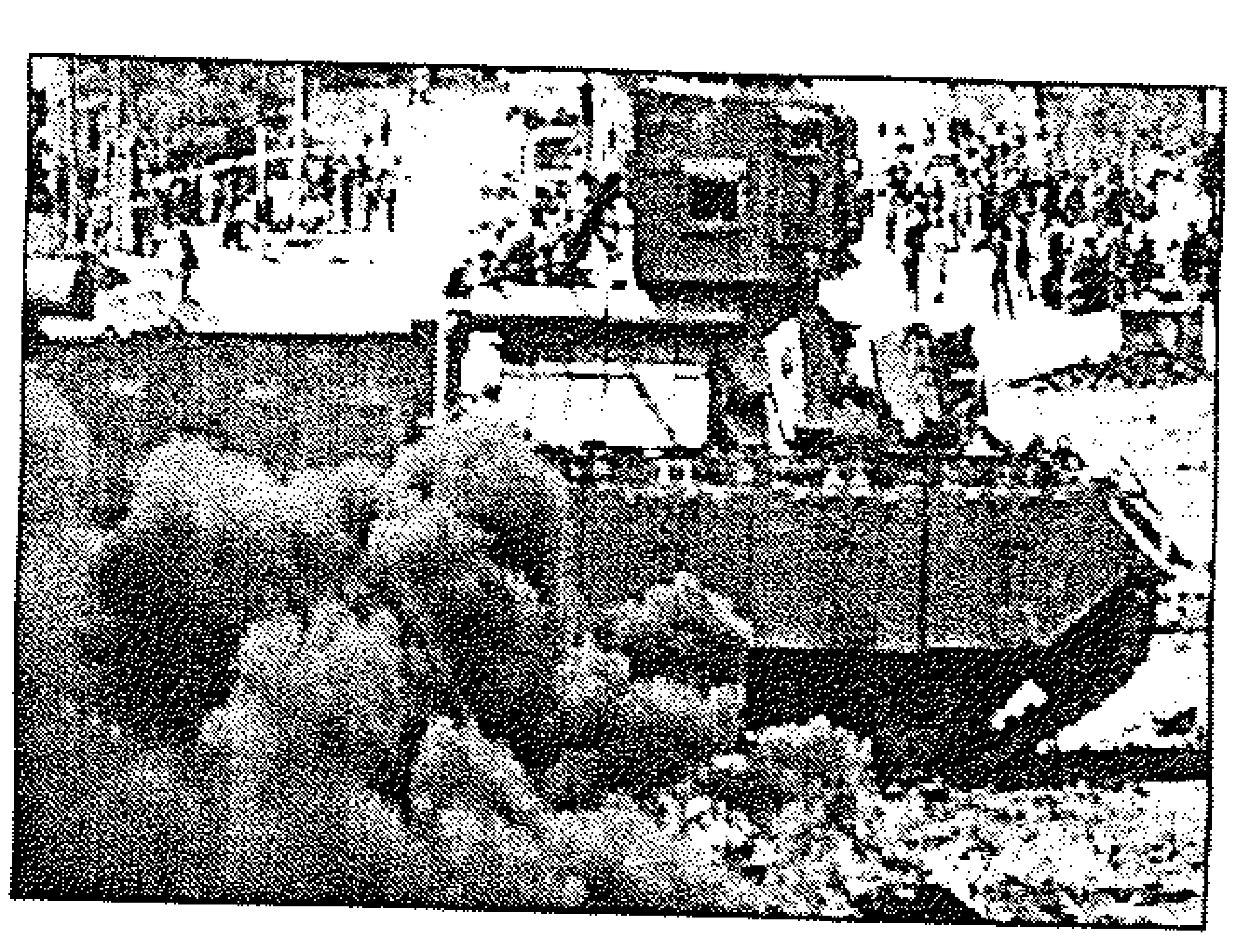
ورغم بدائية الصواريخ التي يصنعها أبطال الانتفاضة متزليا، فإن أثرها على العدو واضح وجلي، فصاروخ مثل القسام–٢ تصفه الـ times البريطانية بأنه: الصاروخ البدائي الذي قد يغير الشرق الأوسط. وتصفه الـ CNN الأمريكية بأنـ الورقة الشرسة في الشرق الأوسط. وتقول مراسلة الـCNN بأن الأمر "غير واضح" كيف يمكن لهذه الصواريخ البدائية أن تؤثر في التوازن العسكري الإسرائيلي – الفلسطيني، وتجعل هذه القوة العالية تقف عاجزة بلا حيلة. أما الـ BBC فتقول بأنه نقلة استراتيجية تنخر في القوة العسكرية الإسرائيلية الفائقة. أما بن إليعازر – وزير الدفاع الإسرائيلي – فيقول: إنه مستوى جديد من التهديد.

وصاروخ القسام هو صاروخ مدفعي بدائي مصنع يدويا في البيوت الفلسطينية يقدر مداه بـ ٨ – ١٢ كم، وهو عبارة عن قذيفة طولها ٦ أقدام (١٨٠ سم تقريبا)، مصنعة من مزيج من السكر، الزيت، الكحول

والأسمدة العضوية، وهو الخطوة الأكثر خطورة من القسام –١ الذي كـــان يتمتع بمدى أقصر، وكان يسهل اتباعه. ينطلق الصاروخ من أنبوبة حـــوالي متر في طولها و١٢٠ ملم في وسعها، ويستخدم من ٤ إلى ٦ كجم متفجرات لإطلاقه، ويتم ضبطه من بعد، وهو ما يحمي المقاتلين من رد فعل إســـرائيلي على موقع الانطلاق.

ويستطيع صاروخ القسام- ٢ أن يصل إلى قلـــب المســـتوطنات في ثوان، ويعتبره البعض أخطر من صواريخ سكود العراقية حيـــث لا ترصـــده الأقمار الصناعية، ولم تستطع قوات الاحتلال أن تقـــوم بأكثـــر من تركيب صفارات للإنذار المبكر على طول الخط الأخضر في قطاع غزة. وكمـــا في صاروخ القسام ١ فإن القسام ٢ لم يجر تطويرا أو تغيـــيرا علـــى طريقـــة الإطلاق، إلا ملاءمة القاذف ليكون مناسبا للحجم، ولا يمكن التحكم فيه أو في توجيهه بعد إطلاقه.

ولم يكتف المقاومون باستخدام تلك الصواريخ ضد العدو الغاشم بل صعدوا القتال بمحاولة تدمـــير أسطورة آلة الحرب الإســـرائيلية الحصن المصفح دبابة الميركافـــا، ففي مساء خميس أسود في غـــزة المرابطة تحطمت أول دبابة مـــن نوع ميركافا ٣ على أيـــدي



المقاومة الإسلامية حيث دمرت الدبابة بالكامل وقتل طاقمها المكون من ثلاثة جنود.. وكثرت التفسيرات العسكرية والسيناريوهات لكيفية حدوث هذا رغم كل ما يحصن تلك الدبابة من وسائل حماية، وكان أحد تلك السيناريوهات أنه قام بمجموعة من المقاومة بتصويب البنادق تجاه الدبابة، بعد أن زرع المقاومون في طريق الدبابة عبوة ناسفة، تقدر وزارة الدفاع الإسرائيلية كتلتها بـ ١٠٠ كجم من المتفجرات تكفلت باختراق المركبة، وقلبها على جنبها وتفجير برج الدبابة بالكامل، ورغم بساطة هذا السيناريو فإن أسطورية هذا الحصن هدمت تماما بعد تحطم ثاني دبابة على يد المقاومة.

والدبابة ميركافا ٣ أو M-٣ التي بدأت عملها في ١٩٩٠ هي أكثر دبابة حماية في العالم، وعدد المتوافر منها سواء من طراز M – ٢ أو M-٣ في الجيش الصهيوني يقدر بالألف دبابة. السلاح الرئيس للميركافا– ٣ هو مسدس ١٢٠ ملم مزود بغطاء حراري يزيد من حمايتها ضد الحرارة والصدمات، وهناك ٥٠ طلقة عيار ١٢٠ ملم في مخزن ذخيرة المسدس الرئيسي، وقد بدل برج الميركافا – ٣ تماما ببرج مغاير لميركافا ١ و٢ الذي كان لا يتمتع بحماية أكيدة وكان معرضا لأخطار الحرائق؛ فالجزء الأمامي من البرج زود بدروع إضافية لحماية أكبر من الصواريخ المضادة للدبابات والنصف السفلي يتحصن بسلاسل منيعة تتحطم عليها الصواريخ قبل دخولها إلى محيط الدبابة، كما أن هناك دروعا قوية رغم خفتها لحماية العجل ومسارات الدبابة، وتم تبديل النظام الهيدروليكي في ميركافا – ٣ بنظام

إليكتروني وكهربائي متكامل زيادة في الحماية والأمان، كما زودت الدبابـــة بنظام تحذير عالي الجودة يعمل بالليزر ويظهر أي خطر قادم للقائد في كبينتـــه وجهزت محطة ضابط المدفعية بقناة تليفزيونية ومتعقب للهدف أتومــــاتيكي يعمل ليلا ونهارا يستطيع أن يحدد قدرة المقاتل التي تواجهه، وباستخدام الليزر يظهر أمام الضابط مدى الرؤية.

ورغم فداحة كارثة تدمير هذا الصـــرح المحصـــن علـــى الجـــانب الإسرائيلي فإن الكارثة النفسية تعد أعمق وأكبر أثرا من الكارثة العســـكرية كما تقول الـــBBC التي وصفت العملية بأنها انفجـــار شـــديد في "رمـــز العسكرية الإسرائيلية".

وقد قام سائد حسين عواد بتصميم صواريخ القسام ٢ المتطورة عـــن صواريخ قسام ١ التي أرقت الكيان الصهيوني، وأقضت مضاجعه في غزة وفي مدن الضفة لتصل بمداها إلى قلب الكيان المنبوذ، وهو ما جعلـــهم يـــهددون بالعمل على إيجاد حزام أمني على طول حدود الأراضي الفلســـطينية، بـــل التهديد بالرد بقسوة في حال إطلاق أي من هذه الصواريخ. وكان يعلم سائد يقينا أنه ولا بد ملاحق من قبل قوات الاحتلال في كل مكان، فعليه أن يكون أسرع منهم إلى نشر هذه التقنية لدى أكبر عدد ممكن لئلا تنتهي باستشـــهاده أو موته، فلجأ إلى طريقة مبتدعة، حيث كان ينتقي عناصره الفعالة في كـــل مدن الضفة ويعلمهم كيفية التصنيع والإطلاق مبتدئا بمخيم بلاطة في نـــابلس، ومن ثم إلى جنين القسام، ومن ثم إلى طولكرم، ومنها إلى طوباس وغيرهـــا

من المدن والقرى، حيث أودع سر القسام ٢ عند كثير ممن علمهم، الأمـــــر الذي أكدته بيانات كتائب القسام فيما بعد.

وفي صبيحة يوم الجمعة، الخامس من أبريل ٢٠٠٢م، وتحديـــــدا في بيت الشهيد البطل "أشرف دراغمة" في طوباس حاصرهم القوات الصهيونيـة الخاصة فأبوا الاستسلام، واشتبكوا مع تلك القوة التي عـــزززت بالدبابــات والطائرات ومئات الجنود لأكثر من "٥ ساعات"؛ لتغرب شمس ذلك اليــوم على ستة أشلاء مزقتها صواريخ الطائرات الأمريكية الصنع، بعد أن ســطروا أروع ملاحم البطولة، لينتقل مهندس القسام "سائد حسين عواد" إلى جــوار ربه بصحبة الشهيد قيس عدوان (أبو جبل)، والشهيد مجدي محمـــد سمــير، والشهيد محمد أحمد كميل، والشهيد أشرف حمدي دراغمة، والشهيد منقـــذ محمد صوافطة. ذهب سائد، لكنه ترك ما يذكرنا به، وما يذكـــر الصهاينـــة بيأسه، ذهب سائد لكنه ترك القسام "٢".

(ب) قذائف الهاون والآر، بي، جيه RBJ

أما عن قذائف الهاون التي تلقى على المستوطنات بين الحين والآخر، فقد سقطت على إسرائيل ما يقرب من ١٦٠ قذيفة هـــاون منــذ بدايــة الانتفاضة عام ٢٠٠١ وسقط ١٣ قتيلا بسببها.. ويحاول العدو البحث بجدية عن أماكن هذه القذائف، ويدعي كل فترة وأخرى بأنه وجد مكانا جديــدا لتصنيعها، كما ذكرت CNN حينما أطلق الجيش الإسرائيلي قذائف علـــى مصنع شمال غزة ادعى تصنيعه لقذائف الهاون، وقذيفة الهاون هي أقرب مـــا

تكون لقنبلة ثقيلة وهي عبارة عن عبوة عالية الانفجار مصممة للوصـــول إلى أماكن يصعب الوصول إليها من قبل القوات الأرضية.

أما الآر بي جي فهو صاروخ موجه بموجات الراديـــو.. يســـتطيع الانطلاق بزاوية منحدرة (من ٣٠ إلى ٤٠ درجة)، ويتم التحكـــم بنظـــام الراديو في اتجاه الطيران وانحداره وعملية الدفع.

(ج) بنادق

كما طالعتنا الصحف اليهودية أنه تم الاستيلاء على أنواع عديدة من البنادق في هجومها على مبنى الأمن الوقائي الفلسطيني أثناء اجتياحها لـــرام الله (٤٠ بندقية هجومية من نوع M١٦، وخمس مـــن البنـــادق الصغـــيرة المسماة بـــ Carbines M١٦ القربينية، و٢١ بندقية صيـــد، و٣ مدافـــع رشاشة، و٩٣ كلاشنكوفا، و٢ بندقية آلية، و٣ قطع من نوع العقرب، و٥٨ مسدسا يدويا)، ورغم حزننا على كل سلاح يقع في يد العدو، وبرغم عـــدم دقة المصدر ونقائه، فإن ما يسعدنا أن هذه الأنواع هـــي الآن علـــى أرض فلسطين بشكل أو بآخر.

(٤) طائرات دلتا وصواريخ "ستريلا"

ادعت إسرائيل أن الفلسطينيين حصلوا على طائرات " دلتا " الـــتي تحلق بدون محركات، وأنهم يستعدون لاستخدامها في شن هجمات جديـــدة. وقالت الإذاعة الإسرائيلية إن الطيران الحربي الإسرائيلي يجـــري اســـتعدادات تحسبا لقيام الفلسطينيين باستخدام هذه الطائرات في عمليات (استشهادية) أو

قصف أهداف مدنية بالصواريخ. كما زعمت الإذاعة الإسرائيلية من بين مزاعم أخرى كثيرة أن الفلسطينيين قد يكونوا حصلوا أيضا على صواريخ طراز "ستريلا" أرض – جو، ربما استخدموها لاحقا في ضرب طائرات مدنية. وزعمت الإذاعة أن الفلسطينيين قد يشنون هجمات بهذه الطائرات انطلاقا من الأراضي اللبنانية أو من قطاع غزة. وأعلنت الإذاعة أن الشرطة وفرق الإغاثة تقوم بتمارين في غيفاتايم، إحدى ضواحي تل أبيب استعدادا لمواجهة احتمال اصطدام طائرة مخطوفة بأحد أبراج تل أبيب ولهجوم بمواد كيميائية أو جرثومية في موقف للسيارات تحت الأرض.

(٢) هل العمليات الفلسطينية النوعية المفصلية قادمة؟

بعد هجمة السور الواقي الشرسة على الفلسطينيين، أصبح الهوس يأكل الشارع السرائيلي حول عمليات اصطدام طائرات بمبان عالية، أو تفجير مراكز حيوية عبر وضع شاحنة مفخخة إسفلها أو تفجير محطة قطارات، أو محطة تكرير وقود أو غاز أو ما إلى ذلك مما يمكن أن يتخيله الإنسان إذا ما أطلق لخياله العنان، وقد يقول البعض من المحللين ومن أشباه المحللين في فلسطين أن هذه الإنذارات ليست ذات أهمية ولا تبنى على حقائق بل هي تحذيرات اتخذتها إسرائيل ذريعة بعد أحداث الولايات المتحدة ليس أكثر، وأن كان في الأمر بعض الصحة، فإن المراقب للواقع يلحظ أن الأمر لم يكن جديا بعد أحداث ١١من سبتمبر بقدر ما هو جدي، وأقرب للتنفيذ بعد عملية السور الواقي في نظر الصهاينة، وإن كان مما لا شك فيه أن أحداث

١١سبتمبر قد تشكل نموذجا مطبقا واقعيا لمن يريد أن ينفذ عملا يغير بموجبه معالم المنطقة، إلا أن الحقيقة الدامغة تقول إنه يوجد هناك تخوفات حقيقية داخل الكيان الصهيوني بعد عملية السور الواقي حول نية المقاومة الفلسطينية القيام بهجمات نوعية وضخمة تصيب الكيان في قلبه المتهتك أصلا.

وعند الإجابة عن سؤال هل تمتلك المقاومة الفلسطينية الأساليب والامكانات الكافية لتنفيذ عمليات ضخمة تكون مفصلية في المنطقة؟ فإن الجواب بكل وضوح "نعم" مدوية كما أوضحها تقرير لمركز الإعلام الفلسطيني للأسباب التالية:

- التصاعد البياني في نمط العمليات الاستشهادية على مدى ٢٠ شهرا هو عمر الانتفاضة إلى الآن، حيث خطت المقاومة الفلسطينية وبالأخص حركة حماس عدة خطوات مهمة نقلت العمل الاستشهادي من مرحلة إلى أخرى عبر قفزات نوعية ملفتة للنظر، فمع بداية العمل الاستشهادي في هذه الانتفاضة في الضفة الغربية بتاريخ ٢٠٠٠/١٢/٢٢ بعملية ميحولا الاستشهادية التي نفذها الاستشهادي هاشم النجار من الخليل كان واضحا أن تركيب العبوات وطبيعتها ليس لها ذلك التأثير الكبير على صعيد عدد القتلى والجرحى في صفوف الصهاينة، أذ شنت سلسلة من العمليات كانت نتائجها قتيل أو قتيلين ليس أكثر، وسبب ذلك حينها كان واضحا جدا، وهو غياب الكفاءات القسامية ذات التقنية العالية في

سجون السلطة الفلسطينية، إلا أننا شهدنا في فترة قياسية نقلة نوعية تمثلت في تركيب مادة "قسام ١٩ " شديدة الانفجار، والتي استخدمت لأول مرة في عمليتي نتانيا التي نفذها الاستشهادي محمود مرمش وتل أبيب "الدولفناريوم " التي نفذها سعيد الحوتري "٢١ قتيلا صهيونيا " و١١٠ جرحى، واستمر تطوير العبوات إلى أن وصلنا إلى عملية نتانيا الأخيرة التي قتل خلالها ٣٠ صهيونيا وجرح ١٥٠ آخرون ونفذها القسامي عبد الباسط عودة من طولكرم، و لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، والأهم في هذا الإطلو أن هذه العملية نفذت بحزام ناسف واحد زنته عشرة كلغرامات فقط من المواد شديدة الانفجار، فكيف لو كانت سيارة مفخخة وضع بداخلها عشرات أو مئات الكيلغرامات من هذه المادة ؟ وبسؤال ماذا بعد وإذا ما اتبعنا التسلسل البياني لتطور هذه العمليات فمن الواضح أنه مع مرور الأيام فإن نتائج هذه العمليات تزداد، وعليه فإننا مقبلون حقيقة على عمليات نوعية مفصلية.

- تطور تفكير فصائل المقاومة الفلسطينية بشكل لافت للنظر، وسنسوق عدة أمثلة دامغة على ذلك لها مدلولاتها الواضحة على طبيعة العمل المقاوم في المرحلة المقبلة، فبالعودة من حيث انتهينا في النقطة السابقة بالحديث عن عملية نتانيا الاستشهادية التي قتل خلالها ٣٠ صهيونيًا، فإن اللافت للنظر في هذه العملية، ورغم أنها

أكبر العمليات الاستشهادية على الإطلاق إلا أنها لم تنفذ حقيقة بالشكل الذي خططت له كتائب القسام حسب اعترافات بعض معتقلي كتائب القسام في الشهرين الأخيرين ممن خططوا لهذه العملية، فقد ذكروا خلال التحقيق معهم أنه كان من المقرر أن يستخدم في هذه العملية مادة "السيانيد " الكيماوية السامة، إلا أن خللا فنيا طرأ علىَ العملية في إحدى مراحلها أدى إلى عدم التنفيذ، وقد أحدث ذلك صعقة قوية لدى المؤسسة الأمنية الصهيونية، إذ يعني استخدام هذه المادة بالشكل الصحيح وقوع مذبحة في صفوف الصهاينة بكل ما تحويه هذه الكلمة من معنى، إذ إن كل شخص سيصاب بشظية في هذه العملية سيلقى حتفه على الفور نتيجة تغلغل المادة السامة إلى دمه، علما بأن فكرة استخدام مواد كيماوية مع شظايا العبوات ليست فكرة جديدة على العمليات الاستشهادية إلا أن جميع تلك المحاولات كانت تصطدم بأمرين، أولاهما أن هذه المواد الكيماوية عادة ما تتبخر عن الشظايا وتفقد مفعولها نتيجة درجة الحرارة العالية عند الانفجار، وثانيها استخدام مواد كيماوية بدائية، ولكن بالوصول إلى استخدام مثل هذه المادة فإن بابا جديدا سيتم فتحه أمام تطوير العمل الاستشهادي المقاوم في المرحلة المقبلة بإذن الله.

- أما النموذج الآخر الذي يجب الوقوف عنده مليا، والتأمل فيه فكان للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وجناحها العسكري كتائب الشهيد أبو على مصطفى، فقد اقتحمت الدبابات الصهيونية مدينة قلقيلية بشكل مفاجئ وقتلت أحد مسئولي الجناح العسكري للجبهة الشهيد رائد نزال، والمدهش هو الاستيلاء على شاحنة مفخخة بداخلها طن من المواد شديدة الانفجار، العملية التي كان من المقرر تنفيذها كانت عملية ضخمة جدا ولو حدثت لكان لها ما بعدها، إذ كان من المقرر أن يتم وضع الشاحنة في جراج السيارات في عمارة التوأمين في تل أبيب وهي أكبر بناية في الشرق الأوسط تتكون من برجين كبيرين كما برجي مركز التجارة العالمي، ومن ثم يتم تفجيرها عن بعد، وكان طن من المواد المتفجرة كفيلا بنسف البنايتين بشكل كامل ومقتل الآلاف من الصهاينة في ذلك الهجوم، والمهم هو ليس قيام الصهاينة بإحباط هذا الهجوم، إذ إن ذلك لا يعني شيئا في المفهوم الأمني لمن يعي الواقع الفلسطيني، فليس من الصعب من الآن فصاعدا تجهيز شاحنة مفخخة ووضعها تحت إحدى البنايات طالما أن الفكرة قد طبقت في بعض مراحلها.
- أما التطور الثالث فكان عملية مجدو التي تبنتها حركة الجهاد الإسلامي، وهي عملية ضخمة في نتائجها مقارنة مع العمليات السابقة لسرايا القدس، مما يوحي أنها أحدثت تطورا مفصليا في

طبيعة تركيب عبواتها، والأهم في هذه العملية أنه استخدم فيها ١٠٠ كلغ من مادة تي ان تي النقية شديدة الانفجار، وكان ذلك باديا بشكل جلي على ما آلت اليه الحافلة التي احترقت بشكل كامل، ولمن يفهمون في عمل المقاومة فإنهم يعون جيدا ماذا يعني استخدام ١٠٠ كلغ نقية من مادة تي ان تي في عملية واحدة.

- اما النموذج الرابع فهو وإن كان متواضعا في تطبيقه إلا أنه كان مهما في فكرته، وهو العملية التي حاولت كتائب شهداء الأقصى تنفيذها في مركز للمحروقات في حيفا قبل شهر، حيث كان من المقرر تفجير صهريج وقود مفخخ داخل المركز، مما كان سيعني وقوع مئات القتلى من الصهاينة، إلا أن العبوة لم تكن قوية إضافة إلى اكتشافها مبكرا مع خطأ مهم وهو وضعها في صهريج "سولار" وهي مادة بطيئة الاشتعال، في حين كان من الواجب أن تكون في صهريج "بترين سريع الاشتعال".

- المخزون الهائل جدا من الاستشهاديين وممن يرغبون في صفوف المقاومة، والذي لا يمكن تصور حجمه داخل الضفة والقطاع وحتى داخل فلسطيني عام ١٩٤٨، إذ يكفي الإشارة إلى أن الفصائل الفلسطينية باتت عاجزة عن استيعاب هذا الكم الهائل من الراغبين في الاستشهاد والانخراط في صفوف المقاومة، ومن مختلف الأعمار، والأهم فيهم هو ذاك الجيل الناشئ الذي تقوم الانتفاضة الآن على

عاتقه ممن هم في سن العشرين عاما أو حتى دونه، والحديث هنا يشمل الجنسين الرجال والنساء، وأن من أكثر الأمور التي تربك الصهاينة في هذا الأمر:

- سرعة ترميم الخلايا العسكرية رغم كثرة الاغتيالات والاعتقالات في زمن قياسي، بحيث لم يعد هدف الاغتيالات لدى الصهاينة كما كان في السابق القضاء على بنية المجموعات المقاتلة، بل أصبح هدفها يقتصر على تأخير عمليات المقاومة، وهو هدف متواضع يدل على تراجع كبير في طموح الأجهزة الأمنية الصهيونية.
- دخول جيل جديد من المقاتلين ممن ليس لهم ملفات أمنية لدى العدو، وهذا يربك الصهاينة بشكل كبير، بمعنى أنه في فترات سابقة كانت أعداد المنخرطين في العمل العسكري محصورة، ويتعرض أصحابها للاعتقال أكثر من مرة، أما في الوقت الراهن فإن من ينفذون العمليات العسكرية أناس يمرون على الحواجز العسكرية الإسرائيلية دون أن يشك فيهم الشاباك أو يعتقلهم فهم في مقتبل العمر، ولا يوجد في تاريخهم السابق ما يشير إلى انتماءات تنظيمية أو اعتقالات سابقة أو ماشابه.

- الوعي المتنامي لدى فلسطينيو عام ١٩٤٨ بقضيتهم وتعميق انتمائهم لهـــا ومشاركتهم حتى في العمل العسكري في بعض الأحيان، وقد دقت المؤسســة الأمنية الصهيونية ناقوس الخطر هذا، إذ حسب المصادر الصهيونية فقد سـجل منذ بداية العام الجاري ٢٩ مشاركة لفلسطينيين من الداخل في عمليات ضـد إسرائيل عبر تقديم مساعدات لاستشهاديين أو أسلحة أو ما شابه، وعليه فإن ما يقارب ١١٩ حالة قد سجلت منذ بداية العام الماضي، منهم استشـــهادي واحد هو محمد شاكر حبيشي من كتائب القسام من قرية أبو سنان في الجليل

هذه النماذج وغيرها دقت ناقوس الخطر لدى الصهاينة الذين بـدءوا يعون حقيقة ما جرته عليهم عملية السور الواقي من تحديات تلزم المقاومـــة الفلسطينية برد يتلاءم مع فداحة الجريمة.

خـــاتـــمة

وهكذا ستستمر الانتفاضة معلنة كل يوم عــن تطــور جديــد في صفوفها.. هذه الانتفاضة المباركة التي حظيت بأسماء عديده يطلقها العــدو بنفسه.. فهي المسماة بـ "مصيدة الموت" و"رقصــة المــوت" و"حــرب الاستتزاف"، بل استشهد من ٣ إلى ٤ فلسطينيين مقابل ١ قتيل إســرائيلي في هذه الانتفاضة، وبعملية حسابية بسيطة تدخل عامل القوة العسكرية نجــد أن التفوق الفلسطيني كان أقوى.

ولم يكن شارون ليعلم حين قرر أن يدنس ساحة المسجد الأقصــى أن مصائد الموت قد نصبت له بأشكال متنوعة تزداد كــل يــوم روعــة في أدائها.. ورغم الحصار.. ورغم المآسي التي تدمي القلب.. ورغم المحن القاسية يخرج بصيص من نور وأمل يربت على القلوب الحزينة، ويعلن لكل ذي لب أن المحنة تزيدنا ثقة بأن النصر حليفا لفتيان الحجارة.. الكبار.. بإذن مــن الله تعالى.

الباب الثالث

العمليات الاستشهادية
السلاح الاستراتيجي الفلسطيني

الفصل الأول

ظاهرة الاستشهاديين
منشأ وتطور وإنجازات

(١) منشأ ظاهرة الاستشهاديين

يمكن القول إن المحاولة الأولى على هذا الصعيد كانت عـام ١٩٨٦ من خلال ما كان يعرف بـ"سرايا الجهاد الإسلامي" وكان من المقـرر أن تقود السيارة المفخخة المجاهدة عطاف عليان، غير أن العملية كشفت قبـل التنفيذ. في ١٧ من ديسمبر/كانون الأول ١٩٩٢ أبعدت السلطات الإسرائيلية (٤١٥) من القيادات الإسلامية في فلسطين (٢٥) من الجهاد، والباقي من حماس) إلى مرج الزهور في لبنان، وهنا قررت كتائب القسام القيام بعملية استشهادية تهدى إلى المبعدين في مرج الزهور بمناسبة قيامهم بمسيرة نحو حدود الوطن أسموها مسيرة الأكفان. وقد جرى ترتيب أكثر من محاولة لم تنجح إلى أن كانت البداية الناجحة حيث قام الشهيد يحيى عياش الذي يعد رائد هذا النوع من العمليات بتجهيز سيارة مفخخة قادها الشهيد ساهر حمد الله التمام، وفجرها بين حافلتين عسكريتين في مستوطنة ميحولا على بعد ١٥ كم من نهر الأردن، وكان ذلك في ١٦ من أبريل/نيسان ١٩٩٣. وقد أدى الانفجار إلى قتل وجرح عشرات الجنود الإسرائيليين.

من الممكن القول إن السبب الجوهري خلف هذا التحول في نمط العمليات من إطلاق الرصاص كما كان عليه الحال في قطاع غزة أعوام ١٩٩١ و١٩٩٢ و١٩٩٣ هو إيقاع مزيد من الخسائر في صفوف الاحتلال لجعله مكلفًا إلى أبعد مدى، إذ كانت حصيلة القتلى في صفوف الجيش من خلال عمليات إطلاق الرصاص محدودة رغم كلفتها، نظرًا للترتيبات الأمنية العالية عند الحواجز. ثم إن منطق الاستشهاد حاصل في كل الأحوال، إذ إنه أمر طبيعي مع كل من حمل السلاح ضد الاحتلال ما دام موجودًا داخل الأراضي المحتلة، مع أن الملاحقة قد تشمله في الخارج في بعض الأحيان.

بعد عملية "التمام" بستة أشهر وتحديدًا في ٤ من أكتوبر/تشرين الأول ١٩٩٣ أصر أحد الشيوخ في الضفة الغربية الذي طلب إليه انتقاء أحد تلاميذه لقيادة سيارة مفخخة أعدها المهندس يحيى عياش.. أصر على قيادتها بنفسه، وكان سليمان زيدان في السادسة والأربعين من العمر، وأبًا لستة أطفال. وقد توجه الشهيد بالسيارة نحو حافلة عسكرية، وفجرها فيها موقعًا قتيلين وعشرات الجرحى.

(٢) تطور ظاهرة الاستشهاديين

بعد ذلك توالت العمليات الاستشهادية بيد أن أهمها جاء ردًا على اغتيال الشهيد يحيى عياش في ٥ من يناير/كانون الثاني ١٩٩٦، وذلك من خلال أربع عمليات كبيرة في القدس (مرتان) وعسقلان وتل أبيب كانت حصيلتها ٦٤ قتيلاً وحوالي ٣٠٠ جريح. وعلى أثر الرد عقدت قمة في شرم

الشيخ بحضور زعماء دول العالم أجمع في مهرجان لإدانة هذا النوع من العمليات التي اعترف رئيس جهاز "الشاباك" السابق يعقوب بيري في كتابه "القادم لقتلك" بأنها كانت أول "تهديد وجودي" تواجهه الدولة العبرية منذ نشأتها حتى ذلك التاريخ.

في هذه الأثناء كان اتفاق أوسلو يتمدد نحو الضفة الغربية التي كانت موئلا لتلك العمليات أكثر من قطاع غزة، وكان التعاون الأمني جزءا من استحقاقات الاتفاق، وقد أدى ذلك التعاون إلى ضرب معظم الخلايا العاملة في هذا الإطار، مما سبب غيابها على نحو شبه كامل طيلة عامي ١٩٩٨ و١٩٩٩ وحتى اندلاع انتفاضة الأقصى في نهاية سبتمبر/أيلول ٢٠٠٠. التي شهدت ازدهارا لظاهرة العمليات الاستشهادية على نحو لم يسبق له مثيل.

(٣) ظاهرة الاستشهاديين.. أرقام ودلالات

تضمنت دراسة لنعومي بدهتسور من مركز دراسات الأمن القومي في جامعة حيفا أنه منذ انطلاق العمليات الاستشهادية مع عملية ساهر التملم عام ١٩٩٣وحتى ما قبل اندلاع انتفاضة الأقصى، سجلت ٣٠ محاولة تم تنفيذ ٢٤ منها. أما الفترة من سبتمبر/أيلول ٢٠٠٠ وحتى نهاية عام ٢٠٠١ فقد سجلت ٤٨ عملية، في حين تضاعف الرقم خلال الأشهر الأربعة الأولى من عام ٢٠٠٢م، حيث سجلت ١٥٣ محاولة حتى الأول من أبريل/نيسان ٢٠٠٢ نفذ منها ١٠٢ وتم ضبط ٥١ قبل التنفيذ.

أما بالنسبة لتأثير العمليات وقوتها، فتشير دراسة بدهتسور إلى أن متوسط عدد المصابين في العملية الاستشهادية هو ١٧,٦، في حين أنه لم يتجاوز في العملية غير الاستشهادية ٢,٤، أي ثمانية أضعاف تقريبا، ولا تشمل هذه الأرقام العمليات التي يكون الاستشهاد فيها مرجحا وليس محتوما، أي عمليات إطلاق الرصاص الاستشهادية داخل المستوطنات أو على الحواجز.

وحسب الدراسة فإنه وحتى نهاية ديسمبر/كانون الأول ٢٠٠١ كان جميع الاستشهاديين رجالا، وفي عام ٢٠٠٢م كانت هناك أربع استشهاديات. وحتى نهاية ٢٠٠١ كانوا جميعا من حركتي حماس والجهاد، لكن العام ٢٠٠٢ شهد انضمام نشطاء من فتح والجبهة الشعبية لقائمة منفذي هذا النوع من الهجمات، إلا أن المتدينين ظلوا في الصدارة. ويبدو عدد القادمين من الضفة أكبر، إذ من بين ١٥٣ استشهاديا قدم ٩٢ من الضفة الغربية و٥٤ من غزة ومن شرق القدس واثنان من فلسطينيي الأردن وواحد من العرب في إسرائيل. ومن بين الاستشهاديين ٥٣ استشهاديا ذوي دراسة عليا، و٥٨ تعليمهم ثانوي، وفقط ٤٢ غير متعلمين. و١٠٣ استشهاديين ممن شملتهم الدراسة هم من الفئة العمرية ١٧-٢٣ سنة، وثلاثة من ٣٠-٤٨. ومن بين الاستشهاديين ١٣٤ كانوا غير متزوجين، في حين كان ١٣ فقط متزوجين.

(٤) إنجازات العمليات الاستشهادية من منظور صهيوني

تعتبر العمليات الاستشهادية هي السلاح الاستراتيجي الرادع الأهم المتوفر الآن بأيدي المقاومين الفلسطينيين وفق إمكانياتهم المتاحة، ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ (الأنفال: ٦٠)، ونزع هذا السلاح من أيديهم يعد أكبر خدمة للاحتلال الذي يعيش كابوسا مزعجا جراء هذه العمليات، ويعني أيضا ترك الشعب الفلسطيني في العراء بلا سلاح يحميه ليكون لقمة سائغة وسهلة للمجرم شارون وحكومته.

هذه العمليات جعلت كبار قادة العدو يتساءلون عن مدى قدرة (دولة "إسرائيل") على البقاء، واعتبروا أن حرب (الاستقلال) لم تنته بعد، وقالوا إنه ليس بالإمكان منع وقوع العمليات الاستشهادية في اعتراف واضح بالعجز، من جانب آخر فقد أثرت هذه العمليات على كل نواحي الحياة في الكيان الغاصب، فالرعب يزلزل قلوبهم ولا يستطيعون التجول في الميادين العامة أو ركوب الحافلات أو الذهاب للمطاعم والملاهي والنوادي، وارتفعت نسبة الهجرة العكسية من الكيان الصهيوني طلبا للأمن والاستقرار، وضربت السياحة كما تأثر الوضع الاقتصادي وتراجع بشكل كبير واضطرت الكثير من الشركات الكبرى والبنوك لإغلاق أبوابها، وقراءة للانتكاسات الاقتصادية المتتابعة لدولة العدو منذ بدء الانتفاضة يعطي صورة واضحة للإنجاز الفلسطيني في ضرب مقدرات الاحتلال: ﴿ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن

تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مـــا لا يرجـــون وكان الله عليما حكيما﴾ (النساء:١٠٤).

فقد ذكرت صحيفة يديعوت أحرنوت الإسرائيلية الصادرة بتـــاريخ ٢٣-٥-٢٠٠٢ أن أحد كبار مسؤولي الأمن في إسرائيل قال معقبا على مـــا أنجزه جيش الاحتلال في عملية السور الواقي "إن القاعدة التي ترتكز عليـــها المقاومة في المناطق الفلسطينية تضم كل الرجال الذين تتراوح أعمارهم بـــين ١٧ عاما حتى ٥٠ عاما، وقد اعتقلنا منهم ٠,٥%". وأضافت الصحيفة أنـــه قد بدأ النشطاء الفلسطينيون الذين نجحوا في التزول إلى العمل السري خـــلال "السور الواقي"- كالذين اختبأوا في الكهوف المحيطة بالمدن، والذين نجحوا في الاختباء في البيوت وفي القرى- برفع رؤوسهم مجددا محـــاولين العـــودة إلى مزاولة أعمالهم في مجال مقاومة الاحتلال. ويقول ضباط الجيش الإسرائيلي في المناطق الفلسطينية أنه قد بدأت تزداد تدريجيا التحذيرات حـــول محـــاولات التسلل بين المدن الفلســـــطينية، وكذلـــك محـــاولات نقـــل العبـــوات أو الاستشهاديين. وقال ضابط رفيع المستوى يخدم في منطقة نابلس لصحيفـــــة يديعوت" المقاومون الفلسطينيون يعملون كل ما باستطاعتهم: يتنكرون بلباس نساء، بزي متسولين، مرضى الفشل الكلوي، مسافرون في سيارات الإسعاف والعربات".

كما تكمن أهمية العمليات الاستشهادية في أنها حققت أكبر عـــدد من القتلى في صفوف العدو حيث زادوا على ٤٠٠ قتيـــل، مقـــابل ١٦٠٠

شهيد تقريبا هم عدد الشهداء من الفلسطينيين خلال انتفاضة الأقصى الحالية، لتصبح نسبة قتلاهم إلى الشهداء الفلسطينيين ١ إلى ٤ وهي أكبر نسبة في تاريخ الصراع مع العدو، وهذه نسبة مخيفة بالنسبة لقادة العدو الذين باتوا يخوضون حرب استنزاف حقيقية، وهم لا يستطيعون الصبر على هذا الوضع طويلا، وهذا يعني أن وعود شارون لناخبيه بتحقيق الأمن ذهبت أدراج الرياح، وفشل حملة السور الواقي في تحقيق أهدافها. وهي (أي العمليات الاستشهادية) استطاعت أن تضرب في العمق الأمني للكيان المحتل، في القدس وحيفا ويافا وتل أبيب وناتانيا وغيرها، الأمر الذي جعل كل أماكن الوجود الصهيوني مهددة وغير آمنة وعرضة لعملية استشهادية في أية لحظة، واستطاعت أن تحرم الصهاينة من الأمن طالما أن الفلسطينيين محرومون منه. لذا فلا عجب إذا أن تأخذ العمليات الاستشهادية اهتماما كبيرا من قادة الكيان الصهيوني، وأن تستخدم الإدارة الأمريكية كل نفوذها وضغوطها على السلطة الفلسطينية والدول العربية من أجل وقفها. وترى الأوساط الأمنية الصهيونية أن العمليات الاستشهادية، ينفذها فلسطينيون ناضجون ومثقفون، وأن متوسط أعمار الاستشهاديين يتراوح بين ١٧ عاما و٢٨ عاما، وترجع المصادر الصهيونية دوافع منفذي العمليات الاستشهادية إلى الرغبة في التضحية لدوافع دينية وقومية، وليس هناك لدى غالبية منفذي تلك العمليات دوافع شخصية كالانتقام لاستشهاد قريب برصاص الجيش، كما لم تكن الأسباب الاقتصادية دافعا رئيسا لدى منفذي العمليات الاستشهادية، رغم أن قسما

منهم تربوا ضمن أسر فقيرة، وخاصة من أسر اللاجئين في مخيمات الضفة الغربية وقطاع غزة. وحاول أحد كتاب صحيفة هآرتس الصهيونية التعبير عن المنظور الصهيوني لظاهرة الاستشهاديين بالقول: إنه في أوساط جهات في الضفة والقطاع كانت الأزمة الاقتصادية وخاصة مظهرها الرئيس البطالة كانا عنصرين محفزين لقرار كثير من الفلسطينيين، لكن تبين بأن الدافع الأساس لدى منفذي العمليات الاستشهادية كان دافعا وطنيا-دينيا. وعرض عاموس هرئيل في صحيفة هآرتس بعض حالات لمنفذي العمليات الاستشهادية هي التالية:

- **في آيار - مايو ٢٠٠١** فجر حسين أبو النصر شاحنة مفخخة عند مفترق نتساريم، وهو من حركة حماس من مخيم جباليا عمره ٢٣ عاما، وكان معتقلا سابقا في سجن السلطة الفلسطينية، وعائلته من مستوى مادي معقول، واعتاد شراء صور الاستشهاديين.
- **في ٢٩ آيار - مايو ٢٠٠٢** نفذ عبد المعطي العصار وإسماعيل عاشور عملية استشهادية عند حاجز التفاح على حدود مستوطنة غوش قطيف، وكانا في عمر التاسعة عشر وكلاهما متدين، وكان دافعهما الرئيس لتنفيذ العملية حبهما للوطن والدين.
- إسماعيل المعصوابي البالغ من العمر ٢٣ عاما من مخيم الشاطئ الذي نفذ عملية عند شاطئ مستوطنة دوغيت في ٢٠٠١/٦/٢٣ كان طالبا، ويمدح الشهداء دائما ودافعه دينيا.

- مهند سويدان أيضا كان طالبا متفوقا في الجامعة الإسلامية وعضوا في الوحدة ١٠٣ التابعة لكتائب الشهيد عز الدين القسام كانت أيضا دوافعه دينية.

(٥) قائمة بأبرز العمليات الفدائية الفلسطينية

فيما يلي أبرز العمليات الفدائية الفلسطينية التي استهدفت إسرائيليين منذ ٦ من أبريل/نيسان ١٩٩٤ حتى ٢٣ من مايو/آيار ٢٠٠٢. وقد بلغ عدد العمليات حتى الآن حوالي ٨٩ بحصيلة ٤١١ قتيلا إسرائيليا وجرح أكثر من ٤٠٠٠ آخرين حسب القائمة المدرجة.

(أ) العمليات الفدائية خلال عام ٢٠٠٢

- **٢٣ من مايو/آيار:** مصرع إسرائيليين وجرح أكثر من ٣٠ آخرين في عملية فدائية نفذتها كتائب شهداء الأقصى، استهدفت منطقة تجارية في ريشون لتسيون جنوب تل أبيب، واستشهد منفذ العملية.
- **١٩من مايو/آيار:** قتل إسرائيليان وأصيب أكثر من عشرين آخرين بجروح في عملية فدائية نفذها فدائي فلسطيني من حماس.
- **٨ من مايو/ آيار:** أدى انفجار عنيف نفذه فدائي فلسطيني من كتائب عز الدين القسام التابعة لحركة حماس الإسلامية في أحد نوادي القمار في ريشون ليتسيون جنوبي تل أبيب إلى مقتل ١٦ إسرائيليا وجرح ٥٤ آخرين، وصفت حالة ١٢ منهم بأنها خطيرة.

- **١٢من أبريل/نيسان**: فجرت فدائية فلسطينية نفسها داخل موقف مركزي للحافلات وسط مدينة القدس على مقربة من أكبر سوق تجاري في المدينة مما أدى إلى مقتل ٦ إسرائيليين، وجرح حوالي ٩٠آخرين. وقد أعلنت كتائب شهداء الأقصى مسؤوليتها عن العملية.
- **١٠من أبريل/نيسان**: تبنت كتائب عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) مسؤوليتها عن انفجار حافلة في مدينة حيفا شمالي إسرائيل صباح اليوم أسفر عن مقتل عشرة إسرائيليين على الأقل، وإصابة عشرين آخرين بجروح معظمهم من الجنود.
- **٩ من إبريل/نيسان**: نصب رجال المقاومة المحاصرون في مخيم جنين كمينا للقوات الإسرائيلية أسفر عن مقتل ١٣ إسرائيليا وقتل اثنان آخران في اشتباكات في نابلس؛ وبذلك تصبح حصيلة القتلى الإسرائيليين ١٥ خلال القتال الدائر في جنين ونابلس.
- **٣١ من مارس/آذار**: فجر فدائي فلسطيني نفسه بالقرب من مطعم ومركز تجاري في مدينة حيفا أدى إلى مقتل ١٦ إسرائيليا وجرح ٤٥ آخرين. وقد أعلنت كتائب عز الدين القسام مسؤوليتها، وقالت إن منفذ العملية يدعى شادي زكريا طوباسي ٢٣ عاما من جنين.

- **29 من مارس/آذار:** أدى انفجار كبير في أحد المراكز التجارية في القدس الغربية إلى مقتل ثلاثة إسرائيليين، وجرح 20 آخرين، وقد أعلنت كتائب الأقصى مسؤوليتها عن العملية، وقالت إن منفذها هي آيات محمد الأخرس 16 عاما من مخيم الدهيشة قرب بيت لحم.
- **27 من مارس/آذار:** فجر فدائي فلسطيني نفسه في فندق إسرائيلي بمدينة نتانيا شمال إسرائيل، مما أسفر عن قتل 19 إسرائيليا وجرح أكثر من 120 آخرين. وأعلنت كتائب عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) مسؤوليتها عن العملية، وقالت إن منفذها يدعى عبد الباسط عودة الذي كان يتخفى بزي يهودي، وكانت طائرات الأباتشي الإسرائيلية تبحث عنه بهدف قتله بعد أن وصفته صحف عبرية بأنه مشروع تفجير.
- **20 من مارس/آذار:** أعلنت حركة الجهاد الإسلامي مسؤوليتها عن تفجير حافلة للركاب قرب مدينة أم الفحم داخل الخط الأخضر صباح اليوم الأربعاء، وأدت إلى مقتل سبعة إسرائيليين بينهم أربعة جنود، فضلا عن إصابة ثلاثين آخرين بجروح. من ناحيتها تبنت سرايا القدس - الجناح العسكري للجهاد الإسلامي العملية - وقالت في بيان لها إن منفذ العملية هو الشهيد رأفت سليم أبو دياك (20 عاما) من مدينة جنين شمالي الضفة الغربية.

- **١٩ من مارس/آذار**: استشهد فدائيان فلسطينيان بعد قتل جندي إسرائيلي وإصابة ثلاثة آخرين أثناء اقتحام معسكر تياسير الإسرائيلي قرب بلدة طوباس القريبة شمال الضفة الغربية. وقد تبنت كتائب الشهيد عز الدين القسام التابعة لحركة حماس العملية التي نفذها الشهيدين أحمد على عتيق من بلدة برقين والشهيد صالح محمد كميل من بلدة قباطية.
- **١٧ من مارس/آذار**: قتلت إسرائيلية وأصيب ١٦آخرون بجروح جراح اثنين منهم خطيرة عندما فتح فلسطيني النار على حشد بالقرب من محطة وقود في بلدة كفار سابا المجاورة لتل أبيب، وقد استشهد منفذ الهجوم برصاص الشرطة الإسرائيلية. وأعلنت سرايا القدس - الجناح العسكري لحركة الجهاد - في بيان لها أن منفذ العملية من عناصرها إلا أنها لم تذكر اسمه لاعتبارات أمنية.
- **١٧ من مارس/آذار**: فجر فلسطيني نفسه فجر اليوم في الحي الاستيطاني اليهودي المعروف باسم "التلة الفرنسية" في القدس الشرقية، وأصاب ٢٢ إسرائيليا بجروح متفاوتة. وقد أعلنت حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين مسؤوليتها عن الهجوم.
- **١٤ من مارس/آذار**: قتل ثلاثة إسرائيليين، وأصيب اثنان صباح اليوم في انفجار عبوة لدى مرور قافلة قرب مستوطنة نتساريم جنوبي قطاع غزة. وقال مصدر إسرائيلي إن القافلة التي استهدفها انفجار غـزة

كانت تضم سيارات عسكرية تواكب سيارات لمستوطنين يهود. وأضاف المصدر أن الانفجار دمر مدرعة ضمن القافلة. وقد أعلنت ألوية صلاح الدين التابعة للجان المقاومة، وكتائب شهداء الأقصى التابعة لفتح المسؤولية المشتركة عن العملية.

- **١٢ من مارس/آذار**: لقي سبعة إسرائيليين مصرعهم وجرح آخرون في هجوم مسلح استهدف حافلة ركاب وسيارات إسرائيلية قرب الحدود اللبنانية، قبل أن يستشهد منفذو العملية الثلاثة برصاص القوات الإسرائيلية. وأعلنت كتائب شهداء الأقصى مسؤوليتها عن الهجوم الذي وقع قرب مستعمرة شلومي في منطقة وادي عارة في الجليل الغربي.
- **٩ من مارس/آذار**: استشهد فدائي فلسطيني عندما فجر نفسه في مطعم بالقدس الغربية يقع على بعد حوالي خمسين مترا من مترل رئيس الحكومة الإسرائيلية أرييل شارون، وأسفر الانفجار عن مقتل ١١إسرائيليا وجرح ما لا يقل عن أربعين آخرين، واستشهاد منفذ العملية. وقد أعلنت كتائب عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة حماس مسؤوليتها. وقالت في بيان لها إن منفذ العملية هو الشهيد إسماعيل الحوراني من مخيم العروبة في الخليل.
- **٩ من مارس/آذار**: استشهد فلسطينيان هاجما بالأسلحة الرشاشة المارة أمام أحد الفنادق في منطقة مزدحمة في نتانيا شمال تل أبيب مما أدى

إلى مصرع ٣ إسرائيليين وإصابة نحو ٥٠ شخصا واستشهاد منفذي العملية. وقد أعلنت كتائب شهداء الأقصى التابعة لحركة فتح أن اثنين من كوادرها هما الشهيدان سعيد البطا وشادي النجمة نفذا العملية.

- **٨ من مارس/آذار**: أعلنت حركة المقاومة الإسلامية الفلسطينية حماس مسؤوليتها عن الهجوم الذي أدى إلى مصرع خمسة إسرائيليين وجرح ١٢ آخرين في مستوطنة عتصمونا، من مجمع مستوطنات غوش قطيف جنوبي قطاع غزة. وقد استشهد منفذ الهجوم إثر اشتباك مع قوات الاحتلال. ويأتي الهجوم على مستوطنة غوش قطيف بعد ساعات من عملية فدائية أخرى فجر فيها فلسطيني نفسه عند مدخل مستوطنة أرييل جنوبي مدينة نابلس في الضفة الغربية، ما أدى إلى استشهاده وإصابة عشرة إسرائيليين بجروح ووصفت جروح البعض بأنها خطيرة للغاية. وقد أعلنت كتائب أبو على مصطفى الجناح العسكري للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مسؤوليتها عن العملية التي قالت إن منفذها هو الشهيد شادي محمد نصار (٢٤ عاما) وهو من قرية مادما جنوبي نابلس. وفي حادث آخر أصيب إسرائيلي بجروح خطيرة مساء الخميس برصاص مسلحين فلسطينيين في هجوم وقع قرب بلدة حوارة في قطاع نابلس.
- **٥ من مارس/آذار**: استشهد فلسطيني عندما فجر نفسه داخل حافلة في مدينة العفولة شمال إسرائيل مما أدى إلى مقتل إسرائيلي على الأقل،

وإصابة عدد غير محدد بجروح. ويأتي هذا الهجوم بعد ساعات من هجوم بالأسلحة النارية نفذه فدائي فلسطيني آخر وسط تل أبيب؛ مما أدى إلى مصرع ٣ إسرائيليين وجرح ٤٠ آخرين. وقد أعلنت كتائب شهداء الأقصى مسؤوليتها عن عملية تل أبيب وقالت إن منفذ العملية يدعى إبراهيم حسونة من سكان مخيم البريج القريب من مدينة غزة.

- **٣ من مارس/آذار**: قتل ٩ إسرائيليين، وأصيب ١٤ آخرون في هجوم فلسطيني على حاجز عسكري قرب مستوطنة عفرا شرقي رام الله، كما قتل جندي إسرائيلي وجرح ٣ آخرون في هجوم مشابه على حاجز إسرائيلي قرب مستوطنة عفرا بين قطاع غزة وإسرائيل. وقد تبنت كتائب شهداء الأقصى وحركة الجهاد الإسلامي العمليتين.
- **٢ من مارس/آذار**: استشهد فلسطيني عندما فجر نفسه بالقرب من مدرسة للمتشددين اليهود في حي بيت إسرائيل بالقدس مما تسبب في مقتل ١٠ إسرائيليين وجرح ٤٠ آخرين على الأقل. وتبنت كتائب شهداء الأقصى الهجوم، وقالت إن منفذه هو محمد ضراغمة الشوعاني، وهو من مخيم الدهيشة للاجئين القريب من بيت لحم.
- **٢٧ من فبراير/شباط**: قتل إسرائيلي صباح اليوم في هجوم بالرصاص في القدس الشرقية. ووقع الحادث في منطقة عطروت الصناعية في شمال القدس الشرقية. وذكر راديو الجيش الإسرائيلي أن منفذ الهجوم كان فلسطينيا وأنه لاذ بالفرار بعد الحادث. يأتي ذلك بعد أيام من مقتل

إسرائيلي في منطقة عطروت الصناعية برصاص فلسطينيين فيما كان يتنقل بسيارته بالقرب من هذه المنطقة.

- **١٠ من فبراير/شباط**: استشهد فلسطينيان عندما هاجما قاعدة عسكرية إسرائيلية قرب مدينة بئر السبع مما أسفر عن مصرع جنديين، وإصابة أربعة آخرين جراح ثلاثة منهم خطيرة. وقد أعلنت كتائب عز الدين القسام - الجناح العسكري لحركة حماس - مسؤوليتها عن الهجوم.
- **٣٠ من يناير/كانون الثاني**: استشهد عميل فلسطيني مزدوج وأصيب ضابطان في الاستخبارات الإسرائيلية بجراح بالغة الخطورة عندما فجر الشهيد نفسه داخل سيارة كان يستقلها مع الضابطين. ووقع الانفجار في الطيبة على بعد ٣٠ كيلو مترا شمال تل أبيب بين إسرائيل ومدينة طولكرم. منفذ العملية يدعى مراد أبو العسل (٢٢ عاما) وهو من بلدة عنبتا شمال شرق طولكرم، وينتمي إلى حركة الجهاد الإسلامي.
- **٢٨ من يناير/كانون الثاني**: استشهد فلسطيني برصاص قوات الاحتلال بعد أن أطلق النار على حاجز إسرائيلي في شارع بضاحية في تل أبيب. و لم تعلن أي جهة مسؤوليتها عن العملية.
- **٢٧ من يناير/كانون الثاني**: قتل إسرائيليان، وأصيب أكثر من ١٤٠ آخرين بجروح - بينهم جنود - في عملية فدائية وسط مدينة القدس الغربية، إذ قام فلسطيني بتفجير نفسه في شارع يافا بقلب القدس. و لم تعلن أي جهة مسؤوليتها عن العملية. كذلك استشهدت فلسطينية

عندما فجرت سيارتها أمام حاجز عسكري إسرائيلي بالقرب من مستوطنة مكابيم بالضفة الغربية. وقال مسؤولون طبيون ومصادر أمنية إسرائيلية إن الانفجار الذي وقع على الحدود مع الخط الأخضر أصاب ثلاثة جنود إسرائيليين على الأقل بجروح في حصيلة أولية عن الحادث.

- **٢٥ من يناير/كانون الثاني**: أصيب ٢٥ إسرائيليا ثلاثة منهم في حالة خطيرة بعد أن اقتحم صفوت خليل (١٧ عاما من قرية بيت وزن قرب نابلس) محطة قديمة للحافلات بمنطقة النبي شعنان في تل أبيب، وهو يحمل على دراجته النارية شحنة من المتفجرات. وينتمي الفدائي إلى سرايا القدس الذراع العسكري لحركة الجهاد الإسلامي.
- **٢٢ من يناير/كانون الثاني**: أصيب حوالي ٣٠ إسرائيليا بعدما أطلق فدائي فلسطيني النار عليهم في وسط القدس الغربية، وقد استشهد الفدائي برصاص الشرطة الإسرائيلية. ويدعى منفذ الهجوم سعيد رمضان (٢٤ عاما) وهو من قرية تل قرب نابلس بالضفة الغربية. وقد أعلنت كتائب شهداء الأقصى التابعة لحركة فتح مسؤوليتها عن العملية.
- **١٧ من يناير/كانون الثاني**: تمكن فدائي فلسطيني من اقتحام قاعة للاحتفالات في مدينة الخضيرة، وأطلق النار على الحاضرين مما أسفر عن قتل ستة إسرائيليين وجرح ٣٠ آخرين. وقد أعلنت كتائب شهداء الأقصى التابعة لحركة فتح مسؤوليتها عن هذا الهجوم ردا على

اغتيال رائد الكرمي أحد قياداتها البارزين يوم الإثنين الماضي. ويدعى الفدائي الذي استشهد في تبادل لإطلاق النار مع الشرطة الإسرائيلية عبد السلام حسونة، وهو من مدينة نابلس.

(ب) العمليات الفدائية خلال عام ٢٠٠١

- **الأول من يناير/كانون الثاني**: انفجار عبوة مفخخة في نتانيا، يسفر عن إصابة ٤٠ إسرائيليا بجروح.
- **٨ من فبراير/شباط**: انفجار في حي لليهود المتدينين في القدس الغربية، لم يسفر عن ضحايا أو جرحى.
- **١٤من فبراير/شباط**: مقتل ثمانية إسرائيليين، بينهم سبعة جنود، وأصيب ٢١ آخرون بجروح إثر هجوم بباص كان يقوده فلسطيني على مجموعة من المدنيين والجنود قرب تل أبيب.
- **الأول من مارس/آذار**: قتل إسرائيلي وأصيب تسعة آخرون بجروح عندما فجر فلسطيني قنبلة كان يحملها في سيارة أجرة بالقرب من أم الفحم.
- **٤ من مارس/آذار**: تفجير عبوة ناسفة في نتانيا يسفر عن مقتل إسرائيليين واستشهاد منفذ الهجوم إضافة إلى جرح ٤٥ إسرائيليا.
- **٢١ من مارس/آذار**: انفجار سيارة مفخخة في هرتسليا الساحلية دون أن يسفر الهجوم عن سقوط جرحى.

-٢٧ **من مارس/آذار**: إصابة ثلاثة أشخاص في انفجار قنبلة في حافلة في القدس، وفي انفجار لاحق أصيب ٢٢ شخصا في انفجار حافلة في التلة الفرنسية في القدس.

-٢٨ **من مارس/آذار**: قتل شابان إسرائيليان، وأصيب أربعة آخرون بجروح في عملية فدائية بالقرب من نيفي يامين شمالي شرقي تل أبيب.

- ٢ **من أبريل/نيسان**: انفجار سيارة مفخخة بالقرب من مستوطنة قادوميم في جنوبي غربي نابلس بالضفة الغربية لم يسفر عن سقوط ضحايا.

- ١٤ **من أبريل/نيسان**: انفجاران في كفار سابا يسفران عن سقوط جريح واحد.

- ٢٢ **من أبريل/نيسان**: هجوم في كفار سابا أسفر عن مقتل إسرائيلي، واستشهاد منفذ العملية، وإصابة ٤١ آخرين بجروح.

- ٢٣ **من أبريل/نيسان**: جرح سبعة إسرائيليين لدى انفجار سيارة مفخخة يعتقد أنها لفلسطيني بالقرب من مطار تل أبيب.

- ١٠ **من مايو/آيار**: قتل عاملان رومانيان وأصيب ثالث بجروح في انفجار قنبلة عند الخط الفاصل بين قطاع غزة وإسرائيل.

- ١٨ **من مايو/آيار**: مقتل ستة إسرائيليين وأصيب أكثر من مائة بجروح في عملية فدائية استشهد فيها منفذها وقعت في مركز للتسوق في مدينة نتانيا الساحلية قرب تل أبيب، وقد أعلنت كتائب عز الدين

القسام - الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية - حماس - مسؤوليتها عن الانفجار.

- **٢٨ من مايو/آيار**: انفجار حافلة ملغومة بالقرب من مقر الشرطة الرئيس في القدس الغربية أسفر عن إصابة ١٤ إسرائيليا. وحزب الله الفلسطيني يعلن مسؤوليته عن العملية في اتصال هاتفي بقناة الجزيرة.
- **٣٠ من مايو/آيار**: انفجار سيارة مفخخة في سيارة في مدينة نتانيا أسفر عن إصابة اثنين بجروح وستة بصدمات نفسية.
- **١ من يونيو/حزيران**: انفجار قوي عند مدخل أحد النوادي الليلية الساحلية في مدينة تل أبيب أسفر عن مقتل ١٨إسرائيليا وجرح أكثر من ١٠٠ آخرين وذلك وفق التقديرات الرسمية. العملية نفذها استشهادي فلسطيني. و لم تعلن أي جهة مسؤوليتها عن الانفجار حتى الآن.
- **٢ من يوليو/تموز**: هز انفجار سيارتين بلدة يهودا الإسرائيلية قرب تل أبيب أسفر عن أضرار مادية. وأعلنت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مسؤوليتها عن الانفجارين اللذين جاءا بعد ساعات من اغتيال إسرائيل ثلاثة فلسطينيين من حركة الجهاد الإسلامي.
- **٩ من يوليو/تموز**: انفجار سيارة مفخخة قرب نقطة تفتيش حدودية إسرائيلية في قطاع غزة. وقد أعلنت مصادر عسكرية إسرائيلية أنه تم العثور على جثة الفدائي الفلسطيني عقب الانفجار. كما أعلنت

كتائب عز الدين القسام التابعة لحركة حماس مسؤوليتها عن العملية. وأسفر انفجار ثان قرب مدينة الخليل بالضفة الغربية عن مقتل جندي إسرائيلي وجرح آخر.

- **١٦ من يوليو/تموز**: هز انفجار محطة قطارات جنوب حيفا، وأدى لسقوط قتيلين وعدة جرحى حسبما جاء في بيان للإذاعة الإسرائيلية. وميدانيا أعلنت حركة فتح والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مسؤوليتهما عن انفجار القدس فجر اليوم الذي أسفر عن استشهاد فلسطينيين أثناء إعدادهما قنبلة، وقالتا إن العملية عمل مشترك بينهما.
- **١٧من يوليو/تموز**: أعلنت سرايا القدس - الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين - مسؤوليتها عن العملية الفدائية في محطة قطارات إسرائيلية شمالي تل أبيب، والتي أدت لسقوط قتيلتين وعدة جرحى. ومنفذ العملية شاب فلسطيني في العشرين من عمره اسمه نضال شادوف، وقد أعلنت الشرطة الإسرائيلية مقتل ثلاثة هم منفذ العملية وامرأتان إسرائيليتان، كما أصيب ثمانية في الهجوم الذي وقع ببلدة بنيامينا.
- **٥ من أغسطس/آب**: فتح فلسطيني النار على جنود إسرائيليين في مجمع لوزارة الدفاع الإسرائيلية في تل أبيب، وقالت مصادر إسرائيلية: إن عشرة جنود على الأقل ومدنيا إسرائيليا أصيبوا في الهجوم. واستشهد منفذ العملية على الجولاني متأثرا بجروحه التي أصيب بها في الهجوم.

- **٩ من أغسطس/آب**: قتل ١٥ إسرائيليا على الأقل وجرح حوالي مائة آخرين في انفجار قوي في أحد مطاعم القدس الغربية. واستشهد منفذ الانفجار ويدعى عزالدين الشيخ أحمد المصري (٢٣عاما) وهو عضو كتائب عزالدين القسام التي أعلنت مسؤوليتها عن العملية.
- **٢٧ من نوفمبر/تشرين الثاني**: فتح مسلحون النار على محطة للحافلات وسط مدينة العفولة شمال إسرائيل، وحسب الشرطة ومصادر طبية إسرائيلية فإن اثنين قتلا وأصيب تسعة في الهجوم. ويأتي هذا الهجوم بعد أيام من قيام القوات الإسرائيلية باغتيال المسؤول في حركة المقاومة الإسلامية حماس محمود أبو هنود، وقد تعهدت الحركة برد مؤلم على اغتياله.
- **٢٩ من نوفمبر/تشرين الثاني**: مقتل ثلاثة إسرائيلين وجرح ستة آخرين إثر انفجار عنيف وقع في حافلة كانت في طريقها بين الخضيرة والعفولة شمال الخط الأخضر. واستشهد منفذ العملية في الهجوم. وقد أعلنت كتائب الأقصى التابعة لحركة فتح في وقت لاحق مسؤوليتها عن الهجوم.
- **٢ من ديسمبر/كانون الأول**: قتل ١٠ مستوطنين على الأقل وجرح أكثر من ١٨٠ آخرين بينهم ٤٠ في حالة خطرة في ثلاثة انفجارات عنيفة هزت القدس الغربية المحتلة عند منتصف ليلة أمس. واستشهد منفذا العملية في الانفجارين اللذين وقعا بفارق دقائق معدودة،

وتبعهما انفجار ثالث لسيارة مفخخة بعد حوالي عشرين دقيقة من الانفجار الثاني. وتبنت كتائب عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة حماس العملية.

- **٢ من ديسمبر/كانون الأول:** وقع انفجاران قرب حافلتين في مدينة حيفا، شمال إسرائيل أسفر عن مقتل ٧ وجرح أكثر من ١١ آخرين. ويأتي هذان الانفجاران بعد ١٢ساعة فقط من الانفجارات الثلاثة التي هزت القدس الغربية المحتلة. وقد استشهد منفذ العملية، ويدعى ماهر محيي الدين حبيشة من كتائب القسام التابعة لحركة حماس الجهادية.
- **٩ من ديسمبر/كانون الأول:** فجر فدائي فلسطيني نفسه في محطة للحافلات يستخدمها أفراد جيش الاحتلال في حيفا شمالي إسرائيل، مما أسفر عن إصابة ١٧شخصا، واستشهد الفدائي برصاص الشرطة الإسرائيلية بعيد التفجير الذي وقع بعد ساعات من مقتل أربعة من رجال الشرطة الفلسطينيين في بلدة عنبتا قرب طولكرم بالضفة الغربية. وأعلنت سرايا القدس التابعة للجهاد الإسلامي مسؤوليتها عن العملية.

(ج) العمليات الفدائية خلال عام ٢٠٠٠

- **٢٦ من أكتوبر/تشرين الأول:** استشهاد فلسطيني هاجم بدراجته الهوائية المحملة بالمتفجرات موقعا عسكريا في قطاع غزة، وإصابة جندي إسرائيلي بجروح.

- **٢ من نوفمبر/تشرين الثاني:** مقتل إسرائيليين فى انفجار سيارة مفخخة أوقع أيضا عشرة جرحى فى القدس الغربية.
- **٢٠ من نوفمبر/تشرين الثاني:** مقتل اثنين من المستوطنين الإسرائيليين فى هجوم على حافلة فى جنوبي قطاع غزة، وإصابة تسعة آخرين.
- **٢٢ من نوفمبر/تشرين الثاني:** مقتل إسرائيليين وجرح ٦٢ آخرين فى انفجار سيارة مفخخة فى مدينة الخضيرة العربية شمال إسرائيل.
- **٨ من ديسمبر/كانون الأول:** مقتل اثنين من المستوطنين الإسرائيليين فى جنوبي الضفة الغربية.
- **٢٨ من ديسمبر/كانون الأول:** مقتل جنديين إسرائيليين في هجوم على دورية عسكرية في جنوبي قطاع غزة.
- **٢٨ من ديسمبر/كانون الأول:** انفجار داخل حافلة في شمالي تل أبيب يوقع ١٣جريحا.
- **٣١ من ديسمبر/كانون الأول:** مقتل بنيامين زئيف كاهانا نجل مؤسس حركة كاخ العنصرية وزوجته قرب مستوطنة عوفرا وإصابة خمسة من أفراد عائلته في هجوم على سيارته.

(د) العمليات الفدائية خلال عام ١٩٩٩

- **٥ من سبتمبر/أيلول:** سيارتان مفخختان تنفجران فى وقت واحد تقريبا فى حيفا وطبرية شمال إسرائيل ومقتل ركابهما الثلاثة من عرب الخط الأخضر، ويعتقد أنهم من أنصار حركة حماس.

(ه) العمليات الفدائية خلال عام ١٩٩٨

- **٦ من نوفمبر/تشرين الثاني**: عملية مزدوجة بالمتفجرات تسفر عن استشهاد منفذيها، وهما عضوان في حركة الجهاد الإسلامي، وإصابة ٢٤ إسرائيليا بجروح في القدس.

(و) العمليات الفدائية خلال عام ١٩٩٧

- **٢١ من مارس/آذار**: مقتل ثلاثة إسرائيليين وجرح ٤٦ آخرين في عملية فدائية على مقهى في تل أبيب.
- **٣٠ من يوليو/ تموز**: فلسطينيان ينفذان عملية فدائية مزدوجة في القدس الغربية أسفرت عن مقتل ١٨ شخصا.
- **٤ من سبتمبر/أيلول**: حماس تنفذ ثلاث عمليات فدائية في القدس الغربية، تسفر عن مقتل ثمانية إسرائيليين وسقوط أكثر من ١٧٠ جريحا.

(ع) العمليات الفدائية خلال عام ١٩٩٦

- **٢٥ من فبراير/شباط**: استشهاد اثنين من كتائب عز الدين القسام بعد تفجيرهما قنبلتين، إحداهما في القدس في حافلة، والأخرى في عسقلان، لتبلغ حصيلة الانفجارين ٢٦ قتيلا إسرائيليا.
- **٤ من مارس/آذار**: مقتل ١٩إسرائيليا في انفجار قنبلة في حافلة في القدس أعلنت حماس مسؤوليتها عنه.

- **٤ من مارس/آذار**: في اليوم نفسه لقي ١٣ إسرائيليا مصرعهم في انفجار وقع في تل أبيب، وأعلنت حركة الجهاد الإسلامي مسؤوليتها عن هذه العملية.

(ل) العمليات الفدائية خلال عام ١٩٩٥

- **٢٢ من يناير/كانون الثاني**: مقتل ٢٢ جنديا إسرائيليا وإصابة ٦٤ آخرين بجروح في انفجار موقف للحافلات في اللد شمالي تل أبيب، في عملية فدائية أعلنت حركة الجهاد الإسلامي مسؤوليتها عنها.
- **٩ من أبريل/نيسان**: عضو في الجهاد الإسلامي يفجر قنبلة وسط حافلة عسكرية إسرائيلية قرب مستوطنة كفار داروم في قطاع غزة، مما أسفر عن مقتل سبعة جنود وسائح أميركي.
- **٢٤ من يوليو/تموز**: مقتل ستة إسرائيليين في انفجار قنبلة في حافلة للركاب في رمات غان قرب تل أبيب، في هجوم وقفت وراءه حركة حماس.
- **٢١ من أغسطس/آب**: انفجار قنبلة في حافلة في القدس يسفر عن مقتل خمسة إسرائيليين، وإصابة ٨٩ آخرين في هجوم أعلنت حماس مسؤوليتها عنه.

(س) العمليات الفدائية خلال عام ١٩٩٤

- **٦ من أبريل/نيسان**: فلسطيني يصدم بسيارة ملغومة حافلة في العفولة داخل الخط الأخضر، فيقتل ثمانية إسرائيليين، ويجرح ٤٤آخرين.

وأعلنت حماس مسؤوليتها عن الحادث الذي قالت إنه انتقام للمذبحة التي ارتكبها المستوطن اليهودي باروخ غولدشتاين في فبراير/ شباط من العام نفسه في الحرم الإبراهيمي في الخليل، وذهب ضحيتها ٢٩ فلسطينيا.

- **١٣ من أبريل/نيسان:** مقتل خمسة إسرائيليين وإصابة ثلاثين آخرين بجروح في انفجار وقع بالخضيرة شمالي تل أبيب في ثاني عملية تفجير تنفذها حماس في غضون أسبوع واحد.
- **١٩ من أكتوبر/تشرين الأول:** انفجار حافلة في تل أبيب، يسفر عن مقتل ٢١ إسرائيليا وجرح ٤٧ آخرين في عملية أعلنت حماس مسؤوليتها عنها.
- **١١ من نوفمبر/تشرين الثاني:** ناشط من الجهاد الإسلامي في فلسطين يفجر قنبلة قرب موقع عسكري في مستوطنة نتساريم اليهودية في قطاع غزة مما أسفر عن مقتل ثلاثة جنود إسرائيليين.

(و) أبرز العمليات العسكرية النسائية الفلسطينية

لم تكن عملية القدس الاستشهادية التي نفذتها وفاء إدريس هي العملية الأولى من نوعها التي تنفذها فتاة فلسطينية، بل سبقتها إلى ذلك فلسطينيات أخريات لكنهن لم ينجحن بذلك. ويمكن القول أن رائدة العمل الاستشهادي في فلسطين كانت عطاف عليان عضو حركة الجهاد الإسلامي التي فشلت في اللحظة الأخيرة في تنفيذ عملية استشهادية عام ١٩٨٦.

ووقعت محاولة أخرى من قبل إيمان الغزاوي في أغسطس ٢٠٠١ خلال انتفاضة الأقصى، التي ضبطت في المحطة المركزية في تل أبيب حاملة عبوة ناسفة بوزن ٥ كيلوغرامات أخفيت داخل مسحوق غسيل.

وتشير عطاف عليان (مشروع الاستشهادية الفلسطينية الأولى) "لقد كنت عضوا في حركة الجهاد الإسلامي وعمري ١٧ عاما، ومنذ سنة ١٩٨٤ بدأت أطالب قيادة الجهاد بتنفيذ عمليات استشهادية، وتطوعت لتنفيذ العملية الأولى، بعد نجاح التجربة اللبنانية في هذا النمط من العمليات ضد العدو الصهيوني، وتمت الموافقة، وقمت بالاستعداد لمهاجمة مباني الحكومة الإسرائيلية في القدس بسيارة ملغومة بالمتفجرات، لكنني اعتقلت وصدرت ضدي أحكام بالسجن مجموعها ١٥سنة، منها ٥سنوات بتهمة التخطيط لتنفيذ عملية استشهادية، ثم تبعتها ١٠سنوات بتهمة محاولتي خنق سجانة يهودية داخل السجن حتى تم الإفراج عني في عام ١٩٩٧.

وتقول عطاف عليان: إن الضرورات تبيح المحظورات، وهناك حديث شريف للرسول (صلى الله عليه وسلم)، حيث قال (إذا دخل العدو عقر دار الإسلام خرجت الزوجة دون إذن زوجها والعبد دون إذن سيده)، وفي التاريخ الإسلامي نجد أن خولة بنت الأزور خرجت للجهاد لتحرير شقيقها بدون محرم، واعتقد أن الاستعداد العالي للنساء للمشاركة في عمليات استشهادية يعود إلى أنهن الأكثر مشاهدة للتلفزيون ولمشاهد الجرائم

الإسرائيلية، وبسبب مشاعر الحزن العميقة على فقدان الأشقاء والأبنـــــاء في المواجهات مع العدو الإسرائيلي.

وبالإضافة إلى أربع عمليات استشهادية قامت بها نساء فلسطينيات حتى الآن، فهناك عمليات فدائية أخرى قامت بها المرأة الفلسطينية، وهي كالآتي:

- **فاطمة برناوي:** في أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٧ حاولت تفجـــير سينما عتصيون في القدس بحقيبة متفجرات وضعتها في قاعة الســينما المكتظة. ألقي القبض عليها وأفرج عنها بعد عشر سنوات ســـجن، وأبعدت من إسرائيل.
- **أيلول: ١٩٧٠ ليلى خالد** قامت بثماني عمليات اختطاف طـائرات في إطار الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وحظيت بلقـــب خاطفـــة الطائرات.
- **لمياء معروف وزهرة سعيد حسن:** نوفمبر (تشرين الثـــاني) ١٩٨٤ قامتا مع رجلين آخرين باختطاف وقتل جندي الاحتياط الإسـرائيلي دافيد مانوس أثناء محاولته ركوب سيارة، وحكم على زهرة حســـن بالسجن لمدة ١٢ سنة.
- **عطاف عليان:** حاولت في يوليو (تمــــوز) ١٩٨٦ تنفيــذ عمليـــة إستشهادية بسيارة ملغومة في القدس، وصدرت ضدهـــــا أحكـــام مجموعها ١٥ عاما قضت منها ١٠ سنوات في السجن الإسرائيلي.

- **إيمان غزاوي**: ضبطت في ظهيرة أغسطس (آب) ٢٠٠١ في المحطة المركزية في تل أبيب حاملة عبوة ناسفة زنة ٥ كيلوغرامات مخفية داخل مسحوق غسيل، وحين وضعت العبوة على الأرض انتبه إليها أحد الحراس واعتقلها.
- **آمنة**:حكم عليها بالسجن مدى الحياة بتهمة استدراج في يناير (كانون الثاني) ٢٠٠١ شابا يهوديا اسمه عوفي راحوم بواسطة الإنترنت إلى رام الله حيث قتل بيد نشطاء تنظيم حركة فتح.

الفصل الثاني

كتائب الاستشهاديين
أساليب وأسرار وطرق

تشير المقاومة الفلسطينية إلى أن إقبال الشباب على نيل الشهادة دليل على صحة ووعي المجتمع الفلسطيني وليس خطأ أو هروبا من حالة يأس أو إحباط، فالأفراد الذين يقبلون على الجهاد كثيرون جدا، ولديهم استعداد لتقديم أرواحهم في سبيل الله، وهو أغلى ما يملك الإنسان. وشتان بين من يقدم المال والقربان، ومن يقدم روحه في سبيل الله تعالى مقابل سعادة الأمة ليرفع عنها البؤس والشقاء. وبالرغم من أن هذا شيء يدفع للتفاؤل، فلا يمكن توفير عملية استشهادية لكل شخص لكي يقوم بها؛ لأن الأهداف محدودة، وأماكن العدو المرغوب الوصول لها محصنة جدا. إن قضية إقبال الأطفال على الشهادة قد يساء استغلالها، بالرغم من أنها ظاهرة صحية فإنها تحتاج إلى ترشيد عن طريق توعية الأشبال وتجنيدهم في الجهاز العسكري في قسم خاص حتى يتم تربيتهم تربية جهادية عسكرية، ومن خلالها يستطيع الشبل التمييز بين الصواب والخطأ، ومتى يجب أن ينفذ عملية استشهادية، ومتى يطلق النار.

فما هي معايير اختيار الاستشهادي الفلسطيني؟ وكيف يتم رصد الأهداف والمواقع التي تستهدفها العمليات الاستشهادية؟ وكيف يتمكن الفدائيون من الوصول إلى تلك الأهداف بالرغم من الإجراءات الأمنية الإسرائيلية المشددة؟ وما المدة التي يستغرقها الإعداد لكل عملية استشهادية؟ وكم تتكلف هذه العملية؟ وكيف تتم مراقبة الأماكن التي يستهدفها الاستشهاديون؟ هذا ما سنتعرف عليه في هذا الفصل من خلال بعض اللقاءات التي تمت مع بعض قادة الجناح العسكري "كتائب عز الدين القسام" التابعة لحركة المقاومة الإسلامية "حماس".

(١) معايير اختيار الاستشهاديين

يتم اختيار الاستشهادي الفلسطيني وفقا لأربعة معايير هم كالآتي:

أولا: الالتزام الديني ورضا الوالدين.

ثانيا: ألا يكون ربا لأسرته، وأن يكون له إخوة آخرون وليس وحيد أبويه.

ثالثا: القدرة على تنفيذ المهمة التي توكل إليه، واستيعاب خطورتها وأهميتها.

رابعا: أن يكون استشهاده دعوة وحافزا للآخرين لأن يحذوا حذوه وتشجيعا للجهاد في نفوس الناس.

الجدير بالذكر أن هذه المعايير ليست قوالب جامدة، وليست مفصولة عن بعضها، وإنما يرتبط كل واحد منها بالآخر، مع تفضيل غير المتزوجين دائما. ومن فضل الله أن اليهود من أقوام شتى، ومن بيئات مختلفة وألوانهم مختلفة؛ فذاك يمكن أن يكون أثيوبيا، وهذا يمني... وهكذا، مما يسهل

كثيرا في اختيار منفذي العمليات الاستشهادية. ويتم ترشيح الاستشهادي عبر قيادة المنطقة في الجهاز العسكري للحركة التي تقوم بدورهـا بترشيحه إلى القيادة ثم يتخذ القرار بشأن الموافقة عليه.

(٢) إعداد الاستشهاديين

يتم إعداد الاستشهادي من خلال المراحل الآتية:

- **المرحلة الأولى: التدريب البدني**

تختلف مرحلة التدريب من شخص لآخر؛ فإذا كان المجاهد لم يسبق له الانخراط في العمل العسكري فإنه يحتاج إلى مرحلة طويلة من التدريب، على عكس من يجيدون استخدام السلاح. ويمر الاستشهادي بتدريبات مكثفة؛ منها: اللياقة البدنية والجري، ويتطلب الأمر أحيانا عمل نظام تخسيس (ريجيم) قاس.

- **المرحلة الثانية: الإعداد الروحي**

تتكون مرحلة الإعداد الروحي من صيام وقيام وعبادات وتقرب إلى الله، وهذه المرحلة لا تحتاج إلى أموال؛ لأنها مجهود ذاتي.

- **المرحلة الثالثة: الإعداد العسكري**

يبدأ الاستشهادي التدريب على إطلاق النار والتصويب لمدة ساعتين في كل مرة. وقد يخرج أكثر من مرة في اليوم الواحد حتى يتقن فن إطلاق النار

والتصويب. وهذه المرحلة تتكلف ما يتراوح بين ٤٠٠ و٥٠٠ دولار، وهو ثمن الطلقات النارية والقنابل اليدوية التي يتم تدريبه على استخدامها.

(٣) معايير اختيار أهداف العمليات الاستشهادية

يتم اختيار الأهداف طبقا لمبادئ إسلامية جهادية. فلا تتم مقاتلة اليهود؛ لأنهم يهود فلا قتل لمعتقدات، وإنما لأنهم محتلون ومغتصبون للأرض الفلسطينية. ولا يتم استهداف الأطفال أو الشيوخ أو المعابد، بالرغم من أن هذه المعابد تحرض على قتل المسلمين، ولا تستهدف المدارس والمستشفيات بالرغم من سهولتها، ومن يسقط من الأطفال فذلك خارج الإرادة.

(٤) رصد وتخطيط

توجد مجموعات رصد (مخابرات عسكرية) داخل كتائب عز الدين القسام مهمتها ملاحقة الدوريات العسكرية الإسرائيلية، والمستوطنين وملاحظة تحركاتهم على الحدود، لتحديد أي ثغرة أمنية، وبعدها يتم تحديد الهدف، وكيفية الانقضاض عليه، سواء كان مستوطنة أو موقعا عسكريا أو سيارة عسكرية وغيرها. ويتم تصوير الهدف عبر كاميرات الفيديو، ويعرض الشريط على لجنة قبل أن تتخذ هيئة أركان العمل العسكري قرارا حول اتمام العملية، وبعد إقرارها يتم تدريب الاستشهادي على تنفيذها.

ويعتمد نجاح العملية بنسبة ٩٠% على عملية الرصد التي قد تستغرق أسبوعا أو أسبوعين أو شهرا، وأحيانا أخرى أربعة أو خمسة أشهر. فبعض العمليات احتاج إلى عمليات رصد استمرت حوالي أربعة أشهر حتى

عرف الاستشهادي كل شيء عن المكان والهدف والأشخاص الذين ستستهدفهم العملية، ومن أين يدخل؟ وأين يقف أثناء التنفيذ؟ وأين يبيت ؟ ومتى يبدأ إطلاق النار؟ ومتى يتواجد الأشخاص المستهدفون في المكان، وموعد طعامهم، وموعد مغادرتهم، وموعد نومهم؟ وقد تتكلف عملية الرصد حوالي ٥ آلاف دولار.

الجدير بالذكر أن نجاح العملية لا يقيم بعدد القتلى في صفوف العدو، وإنما بإمكانية وصول المجاهدين إلى الهدف، وآلية التنفيذ، والتخطيط الجيد للعملية.

(٥) اختراق أمن إسرائيل

يتم إدخال كافة المعدات القتالية اللازمة لإتمام العمليات الفدائية من رشاشات وأمشاط الذخائر وكافة احتياجات العملية عبر أضخم وأدق وأصعب الحواجز العسكرية التي لا يستطيع الإنسان العادي أن يدخل هاتفه الجوال من خلالها، وذلك من خلال طرق سرية منها شراء ذمم اليهود.

(٦) التكلفة المادية للعمليات الاستشهادية

يتوقف على نوع العملية؛ فعملية هجوم بالسلاح الأوتوماتيكي تكلفتها: ثمن السلاح والذخيرة (٢٥٠ طلقة ونحو عشر قنابل يدوية)، ولكن بعض العمليات تحتاج إلى تكاليف أكبر حيث يتم دفع الأموال لشراء السيارات مثلا والتجهيزات الأخرى وشراء ذمم اليهود، ومثل هذه العمليات قد تصل تكلفتها إلى ٥٠ ألف دولار أمريكي.

وقد تزيد التكلفة في بعض العمليات عندما تسدد الكتائب ديون بعض الاستشهاديين قبل تنفيذ العملية حتى يلقى الله نظيفا. كما يقوم بعض الاستشهاديين الذين من أسر ثرية بتحمل التكلفة على نفقتهم الخاصة، ويبيع بعض المجاهدين منازلهم أو حلي زوجاتهم للإنفاق على العمليات الاستشهادية.

(٧) الفلسطينيون يصنعون الحياة عبر بوابة الاستشهاد

"إن حب الجهاد والاستشهاد قد ملك علي حياتي ونفسي ومشاعري وقلبي وأحاسيسي ... وإنه من الصعب بمكان على النفس التي تذوقت حلاوة الجهاد واستعذبت المعاناة على طريقه، وسعدت بتجرع الغصص على جادته أن تستريح إلا في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر" هذه الكلمات التي خطها الاستشهادي الفلسطيني من كتائب القسام إسماعيل المعصوابي في وصيته التي تفيض صدقا وإيمانا ليعكس توجهات جيل انتصر على نفسه، وهانت عليه الدنيا فجعل من جسده ودمائه جسرا للحرية والخلاص حتى أصبح الاندفاع نحو الاستشهاد من قبل الأشبال والشباب الفلسطينيين سواء من خلال انخراطهم في المواجهات أم من خلال تسابق الشبان للانضمام لقوافل الاستشهاديين ظاهرة من الظواهر التي برزت خلال انتفاضة الأقصى، وأصبحت مثارا لاهتمام وسائل الإعلام والباحثين.

وتظهر الكلمات الأخيرة للشهداء خصوصا الأطفال ووصايا الاستشهاديين التي سجلتها وسائل الإعلام مقدار هوان الحياة بالنسبة

للفلسطيني من جانب، وإقدامه على الموت ليصنع حياة لأمة بأسرها من جانب آخر، الأمر الذي يستحق قراءة متعمقة بحثا عن أسرار هذا الاندفاع نحو الاستشهاد، وهو ما حاول مركز الإعلام الفلسطيني استكشافه عبر هذا التقرير.

- **الشهادة أقصى أمنياتي**

فالشهيد رائد الأغا - استشهد في هجوم على مستوطنة إسرائيلية في خان يونس بتاريخ٢٤/٤/٢٠٠٢م- ترك وصية مؤثرة بخط يده خاطب فيها والدته "يا حبيبتي ومهجتي كفكفي دموعك، أماه لا تحزني فو الله لقد نلت أقصى ما كنت أتمنى، ولقد أكرمني بلقائه وبصحبة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) وبرفقة كل الشهداء ودعاها إلى عدم الحزن " أمي الحنونة مالي أراك حزينة أتحزنين يوم زفافي إلى الحور العين، يا أمي فلتفرحي ولا تحزني والله إنها بعد الموت جنة الرحمن".

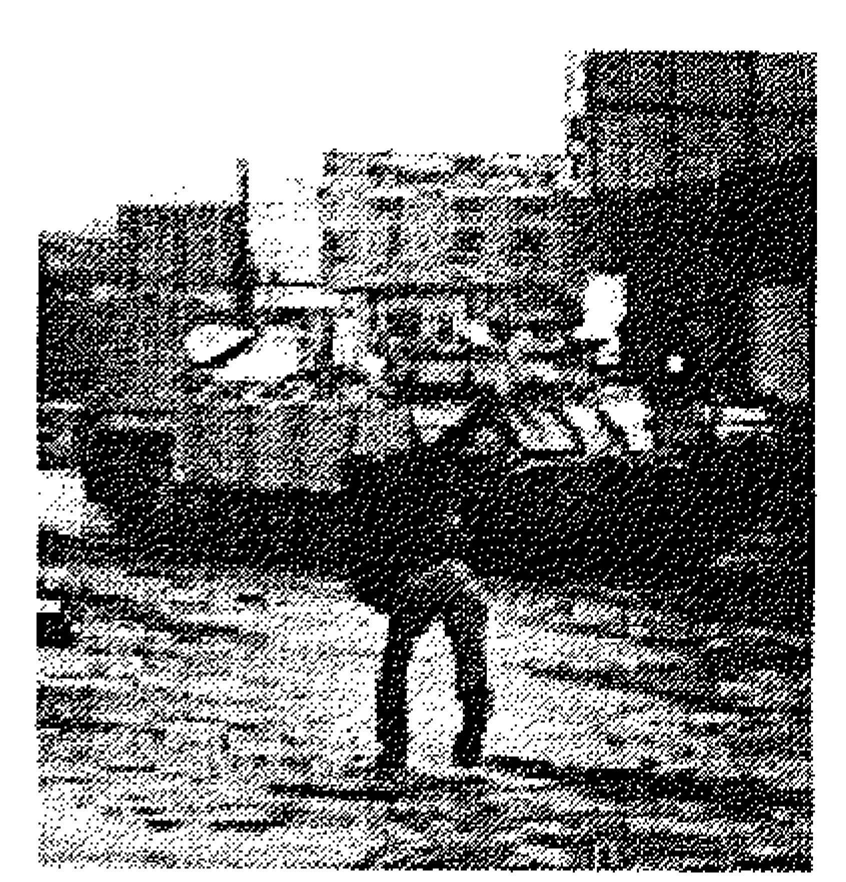
- **أصيب أربع مرات ويتمنى الشهادة**

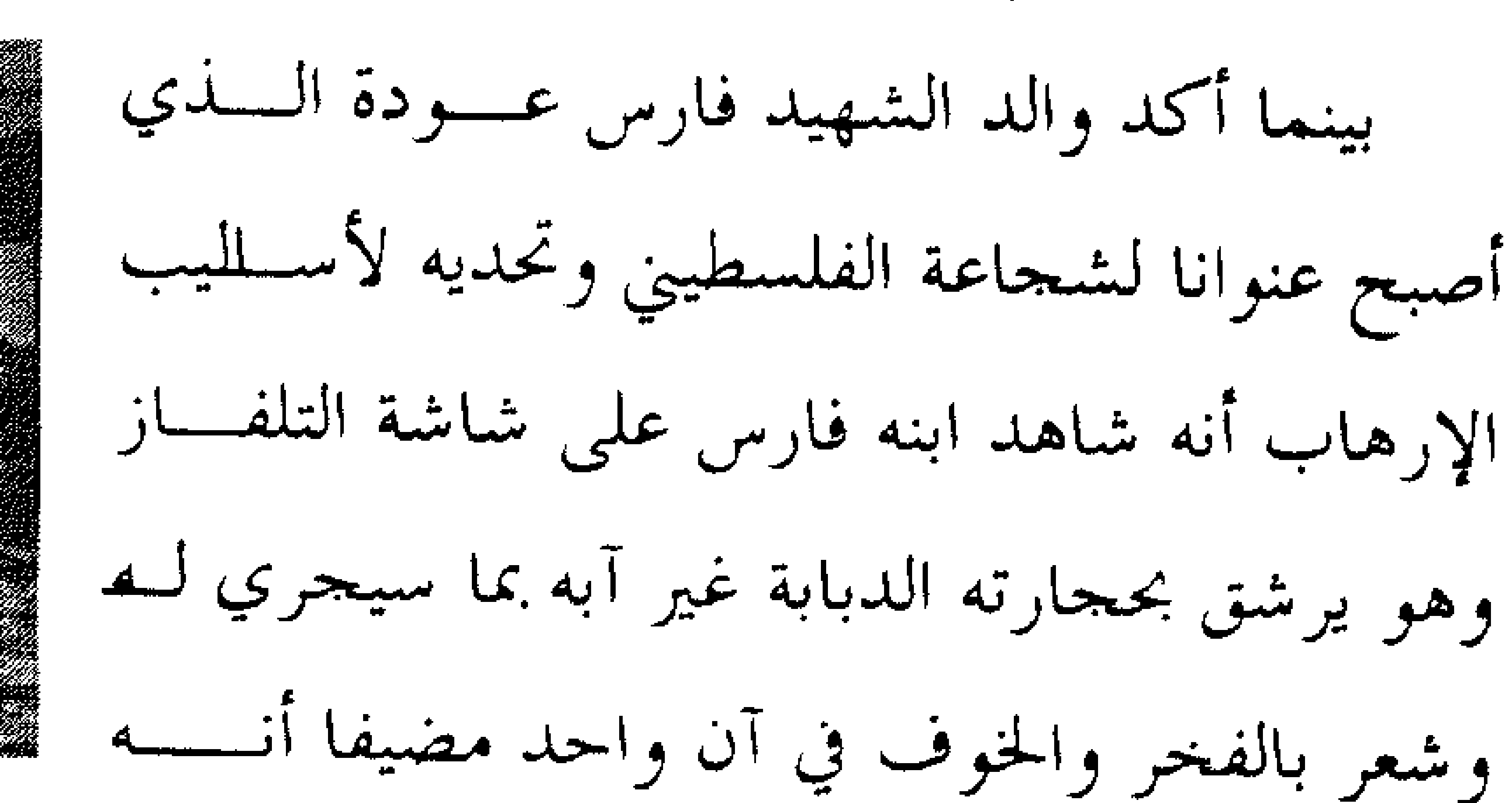
أما الفتى أكرم سامي صافي ١٦عاما الذي أصيب لرابع مرة برصاص جنود الاحتلال الإسرائيلي خلال انتفاضة الأقصى في مواجهات عقب تشييع اثنين من الشهداء في خان يونس بقطاع غزة أنه لا يهاب الرصاص وأنه كان يتقدم من مواقع الاحتلال بحيث لا تبعد عنه سوى أمتار قليلة مشيرا أنه يضع في حسبانه نيل الشهادة في كل مواجهة إلا إن الله كان يكتب له النجاة. وتحدث بلهجة حازمة وواثقة إذا لم ندافع نحن عن وطننا، فمن سيدافع عنه،

مؤكدا أن الخوف انتزع من قلبه بعد مشاهد الدمار والموت الـتي زرعـها الصهاينة في كل مكان خاصة في جنين ونابلس.

وقال بلغة ولهجة من هم أكبر سنا: إذا كان موتنا كائنا فلماذا لا نختـار نحن الميتة المشرفة التي تؤلم العدو! فيما أوضح والده الذي كان يجلس قربـه في مستشفى ناصر أنه لم يعد يعرف ماذا يعمل مع ابنه فهو لا يترك مسـيرة إلا ويشارك فيها، ويقول لوالدته أريد أن استشهد فتقول له اسـكت وتبكـي وعلمت منه أنه أصيب على بعد عشرة أمتار فقط من موقـع الاحتـلال في مستوطنة نفيه دقاليم.

• الحجر في وجه الدبابة





بينما أكد والد الشهيد فارس عـودة الـذي أصبح عنوانا لشجاعة الفلسطيني وتحديه لأسـاليب الإرهاب أنه شاهد ابنه فارس على شاشة التلفـاز وهو يرشق بحجارته الدبابة غير آبه بما سيجري لـه وشعر بالفخر والخوف في آن واحد مضيفا أنـه سأل ابنه عن الفائدة من التصدي للدبابة بالشكل الذي رآه الجميـع فقـال "ليس المهم ماذا سيفعل الحجر المهم أن نتصدى ونحاول طردهم عن أرضنـا حتى ولو قتلنا" وقال انه حرم ابنه من المصروف لكي لا يتمكن من الوصـول لمكان المواجهات في منطقة المنطار إلا أنه أصر على الذهاب ليلقى ربه شـهيدا وليبقى خالدا في ذاكرة التاريخ.

• دخول الفتيات على خط الاستشهاد

وجاء دخول الفتيات الفلسطينيات على خط تنفيذ العمليات الاستشهادية بعد أن فتحت وفاء إدريس من خلال عمليتها النوعية وسط مدينة القدس المحتلة المجال أمام عاشقات الشهادة لتلبي النداء دارين أبو عيشة تليها آيات الأخرس وعندليب خليل لتطرح المزيد من التساؤلات على حجم الإيمان والتضحية التي يمكن أن يبذلها الإنسان من أجل الآخرين.

فقد أظهر استطلاع للرأي في جامعة النجاح بفلسطين المحتلة حول "دور المرأة الفلسطينية في انتفاضة الأقصى" أن ٥٧,٥ % يؤيدون استمرار الفلسطينيات القيام بعمليات استشهادية و٤٢,٥ % لايؤيدونها.

وردا على سؤال "هل المرأة الفلسطينية لها دور في تعبئة الحالة النفسية لأطفالها لإعداد جيل قادر على النضال ؟" أجاب ٦٧,٢% بالموافقة بشدة و٢٨,٥% وافقوا و٣,٢% عارضوا و١,١% لا رأي لهم. وحول سؤال "هل توافق أنه كلما زاد تعليم المرأة الفلسطينية تضاعفت مشاركتها في العمل النضالي ؟" فأجاب ٤٥% بالموافقة و٢٩,٦% عارضوا بشدة و٥,٤% لا رأي لهم. وردا على سؤال "هل توافق على أن المنظمات النسوية لم تلعب دورا مؤثرا بعد قضية المقاومة ؟"، كان الجواب أن ٨,٦% وافقوا بشدة و٣٣,٩% وافقوا و١٩,٩% لا رأي لهم و٢٩,٦% عارضوا بشدة. وحول سؤال "هل توافق على أن دور المرأة الفلسطينية في انتفاضة الأقصى مختلف

عن دورها في الانتفاضة الأولى ؟" كان: ٢٩% وافقوا بشدة و٥٠% وافقوا و٧,٦% لا رأي لهم و١٠,٧% عارضوا و٢,٧%عارضوا بشدة.

وحول سؤال "هل العمليات الاستشهادية النسائية منافية للعادات والتقاليد ؟" فكان ١٨,٣% وافقوا بشدة و١١,٤وافقوا و١٧,٧% لا رأي لهم و٢٦,٣% عارضوا و٢٦,٣% عارضوا بشدة.. وحول سؤال "هل قيام الفلسطينيات بعمليات استشهادية يسهم في تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة؟" فكان ١١,٨% وافقوا بشدة و٢٢,٦% وافقوا و٢١,٥% لا رأي لهم و٢٧,٤% عارضوا و١٦,٧ عارضوا بشدة. وحول سؤال "هل تعتقد أن الاستشهاديات الفلسطينيات ينتمين إلى الطبقة الاجتماعية الفقيرة ؟" فكان ١٠,٢ % وافقوا بشدة و١٦,٢% وافقوا و١٤% لا رأي لهم و٢٤,٩% عارضوا و٢٤,٧% عارضوا بشدة. وحول سؤال "هل المرأة الفلسطينية لها دور في دفع أبنائها إلى الاستشهاد؟" فكان ٣٠,٦% وافقوا بشدة و٤٧,٨% وافقوا و٩,٧% لا رأي لهم و١٠,٣% عارضوا و١,٦% عارضوا بشدة.

وحول سؤال "هل المرأة الفلسطينية لها دور كبير في مقاطعة البضائع الصهيونية كونها ربة مترل ؟" فالذين وافقوا بشدة ٥٧,٥% والذين وافقوا ٣٦,٢ % والذين لا رأي لهم ٢,١% والذين عارضوا ١,٢%؟ وفي سؤال "هل توافق على أن دائرة الاستهداف باتت تشمل المرأة كما الرجل من قبل جيش الاحتلال بفعل عملها النضالي في انتفاضة الأقصى؟" فكان ٢٩,٦%

وافقوا بشدة و٥٧% وافقوا و٤,٣% لا رأي لهم و٥٧% عــارضوا و٢,١% عارضوا بشدة.

- **التنشئة تلعب دورا**

هذه القضية حازت على اهتمام الدكتور إحسان الأغا - عميد البحـث العلمي في الجامعة الإسلامية - فأعد ورقة عمل حول سر اندفاع الأطفال نحو الاستشهاد مشيرا فيها إلى أن إقدام الأطفال والشبان واندفاعهم للاشتباك مـع جنود الاحتلال بالحجارة والإمكانات الضئيلة ظـــاهرة تســتحق التفســير فالمحتلون لا يتوقفون عن القتل، والأطفال لا يتوقفون عن الاندفاع نحوهـــم رغم أنهم يشاهدون أصدقاءهم يستشهدون ويصـــابون فيتقدمــون طلبــا للشهادة، وبعضهم يقوم بتصوير نفسه صورا تصلح بعد استشهاده لتوزيعــها كملصقات وبعضهم كان يكتب على يده الشهيد فلان لكي يعــرف بعــد استشهاده.

- **عنف الاحتلال يولد حماسة**

ويقول إنه من الصعب تقبل فكرة أن الأطفال لديهم الرغبة في المــوت حيث إن الإنسان في مقتبل عمره ونشاط نموه يرغب في الحياة، ونفسه تحـب الاستمرار في البقاء غير أن الواقع الفلسطيني تبدو الأمور فيه مختلفة إلى حد ما حيث يلعب العنف الاحتلالي دورا في إثارة الحماسة يعزز ذلك أنماط التربيــة والتنشئة الاجتماعية التي تستند إلى حد بعيد على الفكر الإسلامي منوهــا إلى أن ذلك يتجسد من خلال التعبئة المجتمعية في الأسرة والمســجد والمدرســة

فتتكون قناعات راسخة لدى الفلسطيني بأن اليهودي جبان حريص على الحياة على عكس الفلسطيني والمسلم الذي لا يهاب الموت.

- **دراسة: لا علاقة بين الوضع النفسي والاستشهاد**

وأظهرت دراسة أعدها الدكتور فضل أبو هين - مدير مركز التدريب المجتمعي وإدارة الأزمات بغزة - عن الاستشهاديين الفلسطينيين باشتراك الدكتور سلمان البدور من جامعة بن غورون في بئر السبع والدكتور الأمريكي رونالد فيلد أنه لا علاقة بين الضغط النفسي أو الحالة النفسية السيئة أو تردي الأوضاع الاقتصادية والاستشهاد. وقال الدكتور أبو هين إنه ثبت من خلال هذه الدراسة التي أجريت على تسعة من الاستشهاديين أنهم كانوا الأكثر ذكاء بين أفراد عائلاتهم والأكثر طموحا وحبا في الحياة، وكانوا أكثر التزاما بالمبادئ والمثل والقيم.

- **قيمة الموت**

وأكد أبو هين أنه كلما زاد العنف والقهر الذي يتعرض له المجتمع الفلسطيني فإن ذلك سيؤدي إلى ارتفاع قيمة الموت المؤثر في الآخر مدللا على ذلك



بالنظرية الواضحة في علم النفس، والتي تقول إنه كلما انخفضت قيمة الحياة عند الإنسان كلما ارتفعت قيمة الموت والسعي وراءه.

• يستشهدون ليصنعوا الحياة لغيرهم

فيما يبين الدكتور يونس الأسطل المحاضر في قسم الشريعة بالجامعة الإسلامية بغزة أن اندفاع الشبان نحو الموت يعود إلى مفهوم الشهادة في الإسلام الذي يقوم على انتقال الإنسان من حياة أدنى إلى حياة أسمى؛ حيث إن الدنيا حياة شقاء بالإضافة لكونها سجن المؤمن، أما الشهداء فهم أحياء عند ربهم، ولهم من الكرامات والفضل الكثير. ويوضح أن الشباب وهم يرون مظاهر الاحتفاء الكبير بالشهداء فإنهم يتطلعون لنيل هذا الشرف مؤكدا أن مفهوم الشهادة بأبعاده الدينية نزع الخوف من الموت من قلوب الشباب، وجعل عدوهم أمامهم جبانا قابلا للهزيمة، ومن هنا أصبح الشباب والأشبال منهم خاصة يستهينون بالموت، ويعشقون الشهادة سيما وأن عاقبة الموت علمتهم أن الآجال لا تتقدم ولا تتأخر وأن الموت له سبب مكتوب على كل فرد سيراه سواء كان شجاعا أم جبانا، فلم لا يختار الحرية والاستقلال والتحرير.

• الذاكرة ووجع الماضي

وإجمالا لكي نقترب من سر اندفاع الشباب للشهادة يجب ألا نغفل حقيقة أن الفلسطينيين يهيئون مساحة فسيحة لرسوخ الذاكرة فحين يصبح الأطفال في السنة الخامسة يأخذهم الآباء والأمهات ليقفوا أمام مشاهد الدمار

التي يزرعها في كل مكان، ويشيرون إلى أطلال كانت بيوتهم هناك يعلمونهم من جديد أسماء الشوارع والهضاب، ويحكون لهم عن أمسيات البيادر وأحلام الليالي المقمرة التي كانت بلا غزاة فلا ينسى الأطفال (الذين يعايشون هذا الواقع المرير القائم على القصف والاغتيال والاجتياح) حين يصبحون رجالا وتغدو فلسطين في وجدانهم راسخة كأشجار الزيتون وطليقة مثل طائر الفجر فتبقى الحكايات عن التراب المعمد بوجع القهر والمعاناة فيكون الاندفاع والتسابق لنيل الشهادة ويردد كل منهم :

لا تحزنوا يا إخوتي .. إني شهيد المحنة
آجالنا محدودة .. ولقاؤنا في الجنة

(٨) أسرار بعض العمليات الاستشهادية

عملية تل أبيب الاستشهادية



ما أن تناقلت وسائل الإعلام عملية تل أبيب الاستشهادية كخبر عاجل مساء يوم الجمعة الموافق الأول من حزيران عام ٢٠٠١ لم يكن في حسبان أي أحد أن الشهيد سعيد الحوتري سيكون منفذ هذه العملية التي غيرت قوانين اللعبة السائدة وقلبت قوانين التوازن بين الضحية والقاتل، فأصبح القاتل يوولول من وقع الصدمة، مع أنه يملك من الأسلحة الفتاكة ما يملك، وتصنيف جيشه خامس جيش في العالم

من حيث القوة والتدريب، لكنه كما عهدناه هشا أمام ضربات العمليات الاستشهادية.

التنفيذ بمساعدة جاسوس!

أما قصة وصول سعيد إلى تل أبيب فهي أشبه بالقصص البوليسية، فلقد قام بتوصيل سعيد عميل يتعاون مع المخابرات الإسرائيلية يعمل على تاكسي أجرة، حيث اتصل به أحد الأشخاص مدعيا أنه يريد الذهاب إلى تل أبيب، وفعلا جاء العميل الذي يملك سيارة تحمل لوحة صفراء إسرائيلية تستطيع التحرك داخل إسرائيل دون مشاكل، وجاء العميل إلى قلقيلية، وركب مع سعيد شخصان آخران، نزل الأول من السيارة عند المدخل الشرقي لقلقيلية، واستمر الاثنان في رحلتهما إلى تل أبيب، ولم يلاحظ السائق أو الجاسوس أي شيء غريب، وعندما وصلوا إلى ملهى الدولفين في تل أبيب نزل سعيد، وظل الشخص الآخر مع العميل، وطلب أن يرجعه إلى قلقيلية وهنا بدأ العميل يشك.

وفي نصف الطريق طلب من الشاب الذي معه أن يتوقف في محطة بترين لتموين سيارته، وفعلا توقف وذهب إلى هاتف عمومي وقام بالاتصال بأخيه، وهو عميل أيضا وبدرجة عالية عند الشاباك الإسرائيلي، وقال له بأن يبقى في مكانه حتى يتصل بالشاباك. ورجع العميل إلى السيارة، ولكن الشاب الذي انتبه إلى أن مؤشر البترين يشير إلى أن السيارة لا تخلو من البترين، فأسرع بالهروب من المكان، ولم يتم القبض عليه، ورجع بمفرده إلى قلقيلية، وعندما

قام سعيد بالعملية الاستشهادية وسمع بها العميل الإسرائيلي جن جنونه؛ لأنه أصبح بنظر الشاباك الإسرائيلي متعاون مع كتائب القسام، وتم تقديم العميل إلى المحاكمة بتهمة مساعدة مخرب.

وصية الشهيد سعيد

ترك الشهيد سعيد وصية وهي كما هي بالنص الحرفي كالآتي:

﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين﴾

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على المحتلين الغزاة الغاصبين، والصلاة والسلام على قائد جند المجاهدين وعلى آله وأصحابه الغر الميامين.

إخواني أحبائي يا كل شعبي الفلسطيني المجاهد ...أيها الأحرار المسلمون في كل العالم .. تحية من قلب تعلق بحبل الله المبين، تحية من نفس تواقة للقاء الأحبة محمد وصحبه، تحية من شهيد مؤمن حي ينظر إلى من سبقوا من الشهداء وعلى رأسهم أستاذي الكبير يحيى عياش فأنا العبد الفقير إلى الله سعيد حسن حسين حوتري من مدينة قلقيلية ٢٢عاما قادم إليكم .. نعم ... قادم لأجتمع معك يا رسول الله على الحوض قادم إليك يا قائد الاستشهاديين أيها المهندس يا أبا البراء لطالما شفيت يا أبا البراء غليل أمتك المحرومه وثأرت لشعبك وأقصاك ونبشرك أننا على دربك لسائرون.

لقد علمتنا يا أبا البراء يا بطل الأبطال أن الأبطال الحقيقيين هم الذين يخطون بدمائهم تاريخ أمتهم، ويبنون بأجسادهم أمجاد عزتها الشامخة

ويشيدون بجماجمهم حصونها المنيعة، وأقول للعالم الذي يعادي شعبنا ويدعم الصهاينة بالمال والسلاح ما سطره الشهيد من قبلي عبد الله عزام إن كان الإعداد إرهابا فنحن إرهابيون وإن كان الدفاع عن الأعراض تطرفا فنحن متطرفون وإن كان الجهاد ضد الأعداء أصولية فنحن أصوليون.

أيها الأسرى... أيها الجرحى... أيها الشهداء... أيتها الأرامل... باسمكم جميعا أقدم روحي في سبيل الله (عز وجل) وأنتقم لآهاتكم وأناتكم وجراحاتكم سأجعل من جسدي شظايا وقنابل تطارد بني صهيون وتنسفهم وتحرق بقاياهم " ويشف صدور قوم مؤمنين".

وأريد أن لا أنسى أهلي أمي وأبي وإخوتي فأوصيكم بتقوى الله عز وجلا وأن تصبروا ولا تبكوا علي فأنا ما جئت من الأردن إلى فلسطين إلا لألقى ربي على أحسن وجه وما هو أعظم من الاستشهاد على أرض فلسطين في سبيل الله تعالى! فزغردي يا أماه، ووزع الحلوى يا أبي ويا إخوتي، فابنكم ينتظر عرسا وحورا في عليين في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

الشهيد الحي سعيد حسن حسين حوتري

كتائب عز الدين القسام حركة المقاومة الإسلامية حماس

الجمعة الموافق ٢٠٠١/٦/١

الفصل الثالث

الاستشهاديون

من الألعاب الإلكترونية العربية إلى نوادي القمار الإسرائيلية

لقد اختلفت صورة الاستشهادي الفلسطيني في عيون الفلسطينيين العرب والمسلمين عنها في عيون الغرب. وقد تمثل ذلك في التقدير والحب العربي والكره والاشمئزاز الغربي، وظهر ذلك جليا في كيفية التعامل معه. وفيما يلي بعض الأشكال التي ترجمت موقف كل فريق من الاستشهادي الفلسطيني:

(١) صور الاستشهاديين تزين الهواتف الجوالة



دفع التنامي المتزايد في تقدير الشهداء والاستشهاديين بين أبناء الشعب الفلسطيني إلى التفنن في أشكال حفظ أسماء وصور وسيرة هؤلاء الأبطال لتبقى ماثلة في الأذهان والذاكرة الفلسطينية. فبعد لصق صور الشهداء في مختلف الشوارع والطرقات وعلى السيارات والمركبات.. بدأت تظهر في صفوف الشبان الفلسطينيين أشكال جديدة لتخليد شهدائهم، كان آخرها تزيين هواتفهم الجوالة بصور هؤلاء الشهداء، بل وحفر هذه الصور بالليزر

على ميداليات المفاتيح، ووضعها في براويز تعرض في المحلات التجارية وداخل المكاتب المختلفة.

ففي مدينة جنين على سبيل المثال.. بدأت صور الشهيد "محمود طوالبة" - قائد معركة جنين - تزين أجهزة الهواتف الجوالة للشبان، وأصبح الشباب يتفننون في ابتكار أساليب للتعبير عن حبهم وتقديرهم واعتزازهم ببطولة الشهيد، وما يشكله من أسطورة جهادية وقدوة نضالية. بالإضافة إلى لصق صور طوالبة على واجهات المنازل، وفي كراسات الطلبة، وصورته على شاشة الهواتف الجوالة.

وفي مدن أخرى.. تنتشر صور شهداء آخرين؛ ففي مدينة نابلس لا تزال صور الشهيد الصحفي "محمد البيشاوي" الذي استشهد في شهر يوليو ٢٠٠١ تزين ميداليات الصحفيين، ومطبوعة على كراسات الملاحظات التي يدونون عليها أخبارهم. ولا يخلو مكتب صحفي في مدينة نابلس أيضا من وضع براويز فضية حفرت بالليزر لصورة الشهيد البيشاوي، وقد انتشرت في الآونة الأخيرة ظاهرة فتح محلات مخصصة لصنع براويز، وأوسمة وميداليات وهدايا مختلفة توضع صور الشهداء عليها.

ولا يقل اهتمام الأطفال عن اهتمام الكبار بتخليد الشهداء؛ فقد تمكن الأطفال من نسج سلاسل خاصة تعلق في صدورهم وعليها صور الشهداء. وهي بمثابة رسالة لشارون بأن الشهداء أحياء لا يموتون، وإن استشهدوا فهم يعيشون في وجدان الفلسطينيين في كل لحظة ومكان وزمان.

(٢) الألعاب الإلكترونية الاستشهادية .... من الكابوم الأمريكي إلى تحت الرماد العربي

نشرت صحيفة " الديلي تلغراف" تقريرا بعنوان: "غضب يهودي من لعبة الهجمات الانتحارية (الاستشهادية) على شبكة الإنترنت". تشير فيه إلى أن لعبة إلكترونية اسمها "كابوم" يتم نسخها على آلاف أجهزة الكمبيوتر في بريطانيا، وهي في متناول يد الجميع على شبكة الإنترنت.

ويقوم اللاعب بتوجيه الانتحاري (الاستشهادي) عبر شوارع ضيقة للاقتراب قدر الإمكان من أكبر عدد ممكن من المارة.

عندئذ وبنقرة على الفأرة يفتح الانتحاري (الاستشهادي) معطفه ليكشف عن قنابل تنفجر فيقتل في الحال رجالا ونساء وأطفال، وتتناثر أشلاء الجثث في كل مكان. ويقوم اللاعبون بوضع العلامات التي سجلوها مع ملاحظاتهم في موقع الإنترنت. فهناك على سبيل المثال من كتب "سبعة قتلى بانفجار واحد، هذا أفضل ما استطعت عمله"، وآخر كتب" دعنا نكون منطقيين، أحضروا قوات من الشرطة وعددا من الباصات المحملة بالمسافرين، دعنا نقتل المزيد من الناس".

وقد نقلت الصحيفة عن لورد جانر - نائب رئيس المؤتمر اليهودي العالمي - قوله: "هذه لعبة قذرة وغير مقبولة وليس لها أي علاقة بالحضارة، هذه اللعبة تمجد الإرهاب والقتل العمد، ويجب أن تمنع بأسرع وقت". ويرد مصمم اللعبة والذي لم يرد الإفصاح عن اسمه، وعمره ٢٣ سنة من مدينة هيوستون الأميركية، قائلا "إن الهدف من اللعبة هو السخرية من الانتحاريين (الاستشهاديين) وليس تمجيدهم." ويقول مصمم اللعبة: "أنا لست يهوديا، ولست عربيا، ولست إرهابيا، واللعبة تقول إن من يفجر نفسه ليقتل آخرين هو شخص غبي. هذا كل ما يتعلق باللعبة." وأضاف "إن كانت اللعبة ضد أحد فهي ضد الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات." وأخيرا قال مصمم اللعبة "أنا أخطط لإصدار نسخة أكثر تطورا وإثارة، حيث ستبدأ مهمتك الانتحارية (الاستشهادية) في إسرائيل وتتقدم في طريقك عبر أوروبا حتى الوصول لأميركا، وسيتم تحديد مهام معينة في كل دولة".

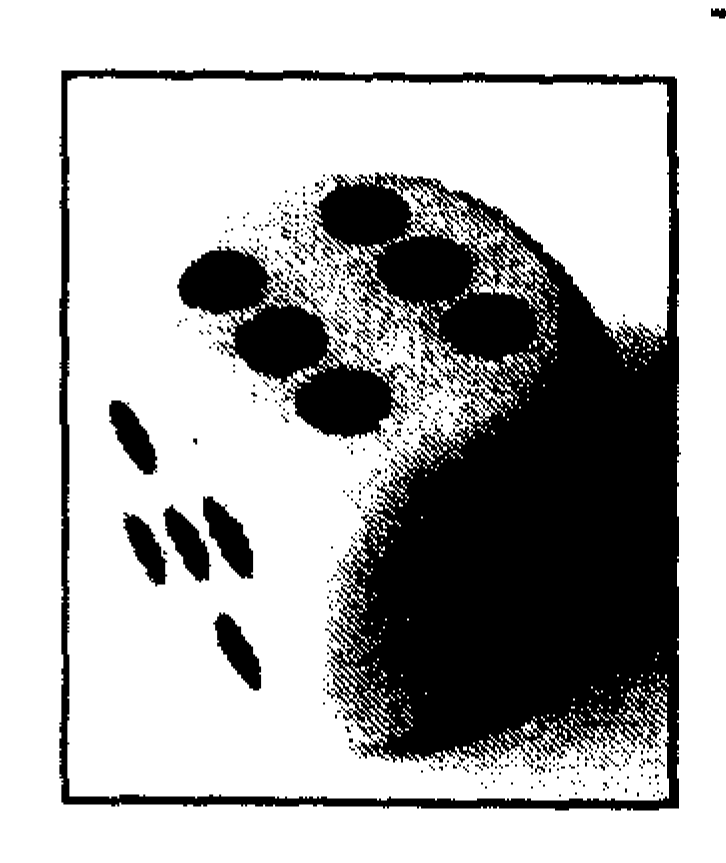
ومما يجدر ذكره أيضا فإن لعبة كمبيوتر عربية تعرف باسم "تحت الرماد " أنتجتها "دار الفكر" السورية أثارت أيضا حفيظة اليهود والإسرائيليين الذين انتقدوها بشدة وصبوا جام غضبهم على مصممها الشاب السوري. وتصور اللعبة شابا فلسطينيا اسمه أحمد يقوم بإلقاء الحجارة على الجنود الإسرائيليين قبل أن يلتحق بصفوف حزب الله في جنوب لبنان، ويشارك في هجوم على موقع إسرائيلي يدمر فيه رادارا ويقتل جنودا إسرائيليين. وأوضح المدير التنفيذي للمشروع حسان سالم "نريد أن نقدم

بديلا للأفكار السامية التي تطرح لأطفالنا عبر الألعاب الأميركية". وأضاف "هذا السلاح القادم للجيل الجديد له هدف تربوي نرغب في أن يتعرف الجيل الصاعد الذي لا يستمع للأخبار على القضية الفلسطينية".

وتباع اللعبة السورية على أحد مواقع شبكة الإنترنت لكن "إسرائيليين دخلوا مرات عدة على الموقع ودمروه". وتتألف اللعبة من عدة مراحل أولها الوصول إلى المسجد الأقصى مع تجنب نيران المستوطنين، ورشق الجنود الإسرائيليين بالحجارة. ثم تبدأ المرحلة الثانية بالوصول إلى حرم المسجد حيث يتوجب على اللاعب مساعدة المصابين للخروج منه، ثم الحصول على سلاح أحد الإسرائيليين وتطهير الحرم من القوات الإسرائيلية.

وبالرغم من وجود العديد من الألعاب الإلكترونية التي تصور العرب كإرهابيين مسلحين بأسلحة ثقيلة، وبلحى طويلة، يتكلمون بكلمات بذيئة طوال الوقت، فإن كل شيء لا يعجب اليهود ويثير حفيظتهم يتهمون المسؤولين عنه باللاسامية.

(٣) مراهنات يهودية على الهجمات الاستشهادية



فتحت الشرطة الإسرائيلية تحقيقا حول ما يتردد عن وجود حلقة قمار غير قانونية، يتراهن فيها الإسرائيليون على موقع الهجوم الاستشهادي الفلسطيني المقبل. فقد ذكرت صحيفة معاريف العبرية أن القائمين على تلك المراهنات في بلدة

كريات ملاشي يوزعون بطاقات رهان تحمل قائمة بمواقع الهجوم الانتحاري (الاستشهادي) المقبل المتوقعة كي يختار المقامرون من بينها. وتعتمد قيمة المكاسب على الموقع المختار، إذ تقل عند الرهان على موقع شهد هجمات متكررة كمدينة القدس. وتنص قواعد المراهنة المطبوعة على البطاقات على أن الحد الأدنى للعب هو عشرة شيكلات، أي نحو دولارين. كما كتب على البطاقات: "لا تحتسب سوى الهجمات التي يشنها العرب على اليهود وليس العكس".

وبالرغم من أن القوانين الإسرائيلية تحظر ألعاب القمار، لكن الكثير من الإسرائيليين مولعون بالمراهنة، ويوجد بإسرائيل الكثير من نوادي القمار غير القانونية. وقد أقبلت أعداد ضخمة من الإسرائيليين على نادي القمار الذي افتتحه الفلسطينيون بمدينة أريحا في الضفة الغربية عقب انتقالها للسلطة الوطنية الفلسطينية. لكن تصاعد وتيرة أعمال العنف المتبادلة مع اندلاع الانتفاضة الفلسطينية في سبتمبر/ أيلول من عام ألفين أدى لإغلاق النادي الذي أطلق عليه اسم "الواحة".

الجدير بالذكر أن المقاومة الفلسطينية تمكنت من القيام بعملية استشهادية في السابع من مايو/آيار ٢٠٠٢ داخل ناد للمراهنات غير القانونية في مدينة ريشون لتسيون، وأسفر الهجوم عن مصرع ١٥ إسرائيليا.

الباب الرابع

سلاح الاستشهاد

آراء إسلامية وقضايا سياسية

الفصل الأول

العمليات الاستشهادية

في الميزان الشرعي



تساءل الكثيرون بعد التفجيرات التي تمت في القدس وتل أبيب وغيرها في أرض فلسطين المحتلة، وقتل فيها من قتل من الصهاينة، نتيجة العمليات الاستشهادية التي قام بها شباب فلسطين .. تساءلوا عن حكم هذه العمليات التي يسموها (انتحارية) هل تعد جهادًا في سبيل الله أو إرهابًا؟ وهل هؤلاء الشباب الذين يضحون بأنفسهم في هذه العمليات يعتبرون شهداء أو يعتبرون منتحرين؛ لأنهم قتلوا أنفسهم بأيديهم؟ وهل يعتبر عمل هؤلاء من باب الإلقاء باليد في التهلكة الذي نهى عنه القرآن في قوله تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ (البقرة: ١٩٥).

فقد أشار الدكتور يوسف القرضاوي أن هذه العمليات تعد من أعظم أنواع الجهاد في سبيل الله وهي من الإرهاب المشروع الذي أشار إليه القرآن في قوله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل

ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾(الأنفال:٦٠). وتسمية هذه العمليات (انتحارية) تسمية خاطئة ومضللة، فهي عمليات فدائية بطولية استشهادية، وهي أبعد ما تكون عن الانتحار، ومن يقوم بها أبعد ما يكون عن نفسية المنتحر. إن المنتحر يقتل نفسه من أجل نفسه فقط، وهذا يقدم نفسه ضحية من أجل دينه وأمته، والمنتحر إنسان يائس من نفسه ومن روح الله، وهذا المجاهد إنسان كله أمل في روح الله تعالى ورحمته، المنتحر يتخلص من نفسه ومن همومه بقتل نفسه، والمجاهد يقاتل عدو الله وعدوه بهذا السلاح الجديد، الذي وضعه القدر في يد المستضعفين ليقاوموا به جبروت الأقوياء المستكبرين: أن يصبح المجاهد (قنبلة بشرية) تنفجر في مكان معين وزمان معين في أعداء الله والوطن، الذين يقفون عاجزين أمام هذا البطل الشهيد، الذي باع نفسه لله، ووضع رأسه على كفه مبتغيا الشهادة في سبيل الله. فهؤلاء الشباب الذين يدافعون عن أرضهم - وهي أرض الإسلام - وعن دينهم وعرضهم وأمتهم ليسوا منتحرين، بل أبعد ما يكونون عن الانتحار، وإنما هم شهداء حقا، بذلوا أرواحهم - وهم راضون - في سبيل الله، ما دامت نياتهم لله، وما داموا مضطرين لهذا الطريق لإرعاب أعداء الله، المصرين على عدوانهم، المغرورين بقوتهم، وبمساندة القوى الكبرى لهم والأمر كما قال الشاعر قديما:

إذا لم يكن إلا الأسنة مركب فما حيلة المضطر إلا ركوبها

وليسوا بمنتحرين، وليسوا بإرهابيين، فهم يقاومون — مقاومة شرعية من احتل أرضهم وشردهم وشرد أهلهم، واغتصب حقهم، وصادر

مستقبلهم، وما زال يمارس عدوانه عليهم، ودينهم يفرض عليهم الدفاع عن أنفسهم، ولا يجيز لهم التنازل باختيارهم عن ديارهم، التي هي جزء من دار الإسلام. ولا يعد عمل هؤلاء الأبطال من الإلقاء باليد إلى التهلكة، كما يتصور بعض البسطاء من الناس، بل هو عمل من أعمال المخاطرة المشروعة والمحمودة في الجهاد يقصد به النكاية في العدو، وقتل بعض أفراده، وقذف الرعب في قلوب الآخرين، وتجرئة المسلمين عليهم. والمجتمع الصهيوني مجتمع عسكري، رجاله ونساؤه جنود في الجيش، يمكن استدعاؤهم في أي لحظة. وإذا قتل طفل أو شيخ في هذه العمليات، فهو لم يقصد بالقتل، بل عن طريق الخطأ، وبحكم الضرورات الحربية، والضرورات تبيح المحظورات.

أما حول مشاركة النساء في العمليات الاستشهادية، فقد قال فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي: "إن العمليات الاستشهادية من أعظم أنواع الجهاد في سبيل الله، يقوم بها شخص يضحي بروحه رخيصة في سبيل الله، وينطبق عليه قول الله تعالى: "ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله".. والمنتحر يائس من الحياة بسبب فشل ما، ويريد أن يتخلص من حياته، أما الاستشهاد فهو عمل من أعمال البطولة.. ومعظم علماء المسلمين يعتبرونه من أعظم أنواع الجهاد. وعندما يكون الجهاد فرض عين كأن يدخل العدو بلدًا من البلدان، تطالب المرأة بالجهاد مع الرجل جنبا إلى جنب، وقال الفقهاء: إذا دخل العدو بلدا وجب على أهله النفير العام، وتخرج المرأة بغير إذن زوجها، والولد بغير إذن أبيه، والعبد بغير إذن سيده، والمرؤوس بغير إذن رئيسه؛ لأنه

لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. ولأن العام يتقدم على الخاص فإنه إذا تعارض حق الأفراد وحق الجماعة يتقدم حق الجماعة لأنه لتحقيق مصلحة الأمة، لذلك أنا أرى أن المرأة تستطيع أن تقوم بدورها في هذا الجهاد بما تقدر عليه، وقد يستطيع المنظمون لهذه العملية الجهادية أن يوظفوا بعض النساء المؤمنات في هذه القضية، وقد تستطيع المرأة أن تصل إلى ما لا يصل إليه الرجال. أما قضية المحرم، فنحن نقول إن المرأة تسافر إلى الحج مع نساء ثقات وبدون محرم، ما دام الطريق آمنا.. فلم تعد المرأة تسافر في البراري والصحاري بحيث إنه يخشى عليها .. فهي تسافر في القطار أو الطائرة. أما قضية الحجاب فإنها تستطيع أن ترتدي قبعة بحيث تغطي شعرها.. حتى عند اللزوم لو افترض أن تحتاج في اللحظات الحرجة أن تنزع الحجاب لتنفذ العملية، فهي ذاهبة لتموت في سبيل الله، وليست ذاهبة لتتبرج وتعرض نفسها، فهل نخاف عليها من السفور ونزع الحجاب؟ فالقضية محلولة وليس فيها أي مشكلة. وأنا أرى أن من حق الأخوات الملتزمات أن يكون لهن حظ ودور في الجهاد، ولهن أن يساهمن في حظ الشهادة".

كما أكد شيخ الأزهر الشريف وعدد من علماء مجمع البحوث الإسلامية في مصر أن العمليات الاستشهادية تعد أسمى أنواع الجهاد، وليست أعمالا انتحارية. فقد أشار د.محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر "إن تفجير المسلم نفسه في الأعداء المقاتلين هو دفاع عن النفس ونوع من الشهادة؛ لأن

جزاء سيئة سيئة مثلها، وما تقوم به إسرائيل داخل الأراضي الفلسطينية يدفع أي مسلم للانتقام والدفاع عن النفس".

وكذلك بعد البحث العلمي المجرد والعميق في فهم الأدلة من الكتاب والسنة والنظر في أقوال العلماء من السلف والخلف في تحديد معنى الانتحار الذي حرمته الشريعة، وإبراز معنى الجهاد الذي ندب الإسلام إليه ورغب فيه، وإلقاء الضوء على الشهادة وتكييفها، فقد توصل الأستاذ نواف هايل التكروري في كتابه "العمليات الاستشهادية في الميزان الفقهي" إلى النتائج التالية:

- العمليات الاستشهادية ليست أمرا محدثا في عصرنا هذا بل أقدم عليها المجاهدون منذ فجر الإسلام الأول على مرأى ومشهد من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي مدح فعلهم وشجعهم عليها، وعلى مرأى الصحابة فلم ينكر منهم منكر، بل أنكروا على من أنكر ذلك واستعظمه.
- اتفق العلماء على أن الاقتحام على الأعداء اقتحاما لا ترجى معه نجاة مشروع ومندوب إذا كان فيه نكاية بالأعداء أو نفع للمسلمين.
- إن عامة العلماء قديما وحديثا اتفقوا على أن هذه العمليات ليست من الانتحار في شيء؛ لأن الانتحار قتل النفس جزعا أو يأسا من

أجل أمر دنيوي، أما العمليات الاستشهادية فتختلف كل الاختلاف عن الانتحار، حيث هي نوع من أنواع الشهادة في سبيل الله تعالى.

- ذهب عامة العلماء المعاصرين إلى إباحة العمليات الاستشهادية، وما وقع بينهم من خلاف فهو حول شروط الإقدام على مثل هذه العمليات، وهل هي منوطة بالضرورة أم لا، وبالتالي فإنه يزول هذا الخلاف عندما تستهدف هذه العمليات أعداء كاليهود اغتصبوا البلاد والمقدسات الإسلامية، وأصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم ضد اليهود، ولعل هذه العمليات هي الحل الأمثل والاختيار الأفضل لمحاربة اليهود في عصر تقاعس المسلمون فيه دولا وشعوبا عن الجهاد.

- أما فيما يتعلق بحكم قتل المدنيين من اليهود في العمليات الاستشهادية، فالأصل في الإسلام أن من لا يقدر على القتال لمانع مادي أو معنوي يعتبر مدنيا لا يجوز قصده بالقتل، وذلك يشمل الأطفال والنساء والشيخ الفاني، ورجل الدين المنقطع للعبادة، والمزارع في أرضه المشغول بلقمة عيشه... إلخ، وكل هؤلاء لا يقصدون بالقتل إلا في حالتين:

  - إذا شاركوا بالقتال فعلا سواء كان ذلك بحمل السلاح، أم بالإعانة كتقديم الرأي والمال والتشجيع والتحريض وما شابه ذلك.

- إذا اختلطوا بالمحاربين و لم يتمكن المجاهد من ضرب المحاربين إلا بضربهم وهو ما يعرف عند الفقهاء بتترس الأعداء بمن لا يقتل منهم، وكذلك حال الإغارة على العدو وتبييته، فهنا يجوز رمي المقاتلين من الأعداء دون المدنيين، ولا ضير فيمن قتل منهم بغير قصد.

وبعرض هذه الأصناف من المدنيين اليهود – بناء على من الأصل فيهم أنهم مدنيون – على هذين الشرطين يتبين لنا:

- أن النساء من اليهود لم يعدن مدنيات فهن يتدربن على حمل السلاح ويقاتلن كالرجال وكذلك الأمر بالنسبة للشيوخ ورجال الدين.. و لم يبق من اليهود على أرض فلسطين إلا الطفل الذي لا يباشر القتال فلا يجوز قصده بالقتل وهو الأمر الذي لم يفعله المجاهدون في فلسطين حتى الآن، ولن يفعلوه قاصدين.
- العمليات الاستشهادية جائزة مشروعة، بل قد تكون واجبة إذا تعينت وسيلة لمواجهة العدو، وإرغامه على الخروج من بلاد المسلمين أو على الأقل إضعافه، وإدخال الرعب في قلوب مجنديه ومستوطنيه، حتى لا يشعروا بالأمن والاستقرار في بلادنا المغتصبة، والقول بخلاف ذلك قول يتيم الحجة والبرهان فضلا عن أنه أجمل هدية نقدمها لليهود على طبق من ذهب حيث يعيشون مطمئنين لا

يعكر صفو حياقم معكر، ولا ينازعهم على حقوقنا منازع بعد أن شيعنا كل شيء اسمه جهاد.

الجدير بالذكر أن أزمة جديدة اندلعت بين السفير الأميركي بالقاهرة ديفيد وولش والدكتور أحمد الطيب - مفتي مصر - بسبب فتواه المؤيدة للعمليات الاستشهادية، حيث قام وولش بزيارة لدار الافتاء مشيرا إلى أنها مجرد زيارة بروتوكولية، إلا أن الطيب أعلن عن فحوى الزيارة التي تضمنت طلب السفير الأميركي له بضرورة تحريم العمليات الاستشهادية وهو ما رفضه المفتي بكل قوة مؤكدا له أنه لا يحق له أو لغيره أن يتدخل في أمور الدين الإسلامي. وأكد الطيب أن العمليات الاستشهادية تنتج من صحيح عقيدتنا مشيرا إلى عدم إمكانية تحريم مثل هذه العمليات؛ لأن الشعب الفلسطيني شعب أعزل، ولا يملك وسائل القوة التي يدافع بها عن نفسه تجاه آلة الحرب الصهيونية، ولهذا فإن وسيلته الوحيدة للدفاع عن نفسه هي تلك العمليات الاستشهادية.



الفصل الثاني

العمليات الاستشهادية
بين مؤيد ومعارض



أمام جبروت ووحشية آلة الحرب الإسرائيلية التي تتمتع بأحدث ما وصلت إليه التكنولوجيا الأمريكية في الدمار وإبادة الشعوب، وفي الوقت الذي لا يملك الشعب الفلسطيني غير روحه وجسده وبعض المتفجرات التي يصنعها من مواد الحياة اليومية مثل طلاء أظافر السيدات، وأنابيب معجون الأسنان، استطاعت العمليات الاستشهادية الفلسطينية، التي تعتبر السلاح الأخير والملاذ النهائي، أن تحطم نظرية الأمن الإسرائيلية، وأن تسجل للتاريخ أنه وإن كان الشعب الفلسطيني أعزل أمام جيوش الاحتلال المدججة بالسلاح، إلا إنه مع ذلك يرفض الاستسلام، وذلك في الوقت الذي لم يعرف العالم العربي من العجز والهوان ما يعرفه الآن إزاء إسرائيل وعربدتها التي فاقت كل الحدود، وإزاء التأييد السافر والدعم المستمر من الولايات المتحدة. ولكن بدأت بعض

الأصوات تتحفظ على هذا السلاح الإستراتيجي الرادع وظهر العديد من المؤيدين والمعارضين. في هذا الفصل نتعرض لوجهات نظر الفريقين ونفتح دائرة المناقشة في إطار المراجعة النقدية الضرورية لأشكال العمل الفلسطيني.

(١) العمليات الاستشهادية.. السلاح الإستراتيجي لتحرير فلسطين

استطاعت المقاومة الفلسطينية أن تحافظ على إستراتجيتها العسكرية في ضرب العدو الصهيوني في العمق من خلال العمليات الاستشهادية - السلاح الأول للمقاومة - بعد الفشل الذريع لعملية السور الواقي التي انهارت دون أن تحقق أهدافها الخبيثة وأثبتت عمليات المقاومة وخصوصا بعد عملية السور الواقي أن رهان العدو الصهيوني فشل في إطالة عمر حالة الهدوء المؤقت التي عاشها الكيان الصهيوني خلال الحملة العسكرية البشعة لجيش الاحتلال الإسرائيلي، والتي استهدفت كافة مدن وقرى ومحافظات الضفة الغربية.

ثم تحول الرهان للعدو الصهيوني ومن ورائه الولايات المتحدة على اختراق حالة الالتفاف الشعبي في البعد المحلي والعربي والإسلامي حول العمليات الاستشهادية من خلال أدواته، في السلطة الفلسطينية، وبعض الأنظمة العربية، وتركز الضغط في حملة عالمية على العمليات الاستشهادية. وتحولت هذه العمليات في يوم وليلة (إلى وسيلة تضر بالمصلحة الوطنية والفلسطينية) على حد زعم وتعبير قيادة السلطة التي تمادت إلى حد استنكارها ووصفها (بالعمليات الإرهابية) وفي معسكر الأعداء تم تجنيد حملة

(سياسة إعلامية) ضاغطة لوصف العمليات الاستشهادية بأنها السبب الأول للإرهاب في العالم.

وأمام هذه الحالة التآمرية يشير المركز الإعلامي الفلسطيني في تقرير له إلى أسباب الحملة على العمليات الاستشهادية - السلاح الاستراتيجي - للمقاومة الفلسطينية، وهي على النحو التالي.



- عملية السور الواقي كانت أقوى ما ذهب إليه العدو الصهيوني في الجانب العسكري لمواجهة العمليات الاستشهادية بهدف تحجيمها من جانب وإعادة الثقة ورفع الروح المعنوية للجيش والمجتمع الإسرائيلي الذي عاش أسوأ حالاته منذ قيام الكيان الصهيوني حيث تكللت حالة الانهيار الصهيوني بعملية نتانيا الاستشهادية التي نفذها الشهيد البطل عبد الباسط عودة، والتي أسفرت عن سقوط ٢٩قتيلا وأكثر من ١٠٠جريح عشية عملية السور الواقي.
- العدو الصهيوني يعلم علم اليقين أن استئناف العمليات الاستشهادية بعد عملية السور الواقي سوف تكون لها نتائج كارثية على مجتمعهم

وهو ما حذر منه قادة جيش الكيان الصهيوني وهو يعيش اليوم هذه الحالة؛ لذا كان لابد من القيام بجهد كبير تقوده الولايات المتحدة لوقف العمليات الاستشهادية التي سوف تؤدي إلى حالة انهيار في المجتمع أكبر مما كانت علية قبل عملية "السور الواقي".

لذا كانت الاستجابة من بعض الأنظمة العربية التي سارعت إلى نعت المقاومة الفلسطينية بأوصاف سيئة إلى جانب قيادة السلطة ممثلة بالرئيس عرفات التي بدأت تمارس دورها الانهزامي في هذا الإطار بحيث لم تتوان في إطلاق تصريحات الشجب والاستنكار وإصدار القرارات والبيانات التي تحارب إجماع الشارع الفلسطيني في المقاومة.

وفي هذا السياق يعترف المعلق العسكري في صحيفة "يديعوت" إيلكس فيشمان أنه بعد مرور أربعة أسابيع على نهاية حملة "السور الواقي"، نجحت التنظيمات الفلسطينية في الأسبوع الخامس في إخراج أربع عمليات تفجيرية إلى حيز التنفيذ، وذلك خلال أربعة أيام، وقعت اثنتان منها في نتانيا وريشون لتسيون. وقد تحققت بذلك التنبؤات المتشائمة لوزيرالدفاع، بينيامين بن اليعيزر الذي تنبأ بقدرة منظمات الإرهاب على إعادة بناء بناها التحتية خلال شهر واحد. وأضاف: تؤكد عملية اعتقال ٢٥ فلسطينيا استشهاديا منذ نهاية حملة "السور الواقي"، وخطط العمليات الهائلة التي تم الكشف عنها

أمام لجنة الخارجية والأمن في الكنيست، أن المقاومة الفلسطينية تمكنت من استعادة قدراتها التنفيذية.

- الأمر الذي أثار استنفار الكيان الصهيوني وحماته أن العمليات الاستشهادية لم تقتصر على فصيل فلسطيني واحد أو على فصائل المقاومة الإسلامية فقط بل شاركت كافة الفصائل الفلسطينية، وخرجت من داخل صفوفها استشهاديين مما يبشر بأن الجميع أصبح يجهز ويعد لموجة عمليات كبيرة قادمة سوف تهز الكيان الصهيوني. ويذكر فيشمان أنه في هذه الأثناء يمضي الوقت ويتواصل ذوبان الإنجازات العسكرية لعملية "السور الواقي"، وأن الفراغ السياسي يشكل تربة خصبة وطبيعية للبنى التحتية لفصائل المقاومة الفلسطينية، التي تعمل على ترميم نفسها رغم الضغوط التي يمارسها الشاباك والجيش الإسرائيلي.

ويذكر المعلق الصهيوني أن عملية نتانيا،، مثل عملية ريشون لتسيون، تشكل تذكيرا مؤلما بأنه لا يمكن الاستمرار في انتظار عملية عسكرية، مهما كانت ناجحة، والتعطر بالأوهام التي ينثرها الجيش حول إمكانية اجتثاث مقاومة الشعب الفلسطيني بالطرق العسكرية. لكنه لا يمكن، أيضا، قطف الثمار الفعلية إذا لم تكن للعملية العسكرية تتمة سياسية. وإذا لم يشأ الجانب الفلسطيني المشاركة في هذه الخطوة، فيجب بدء تنفيذ الخطوات من جانب واحد: أي الفصل. ويسخر من قيادته قائلا: طيلة الأسابيع الثلاثة

الأخيرة، وعلى خلفية الانخفاض الجوهري في حجم العمليات داخل الخط الأخضر، تولد في البلاد نوع من الشعور بالهدوء النسبي. كان يبدو أن الحياة بدأت تعود إلى مسارها الطبيعي. وتم تغذية هذا الوهم اللطيف بالسموم المسكرة والكاذبة التي تم قذفها في الفضاء كالحديث عن الإصلاحات في السلطة الفلسطينية، وإجراء انتخابات ديمقراطية في السلطة، كما لو أن شيئا حقيقيا بدأ يتحرك هناك.

- لقد أصبحت ثقافة الجهاد والاستشهاد الثقافة الأولى لدى الشعب الفلسطيني خصوصا بعد جرائم ومجازر عملية السور الواقي مما يبشر باتساع نطاق وقوة سلاح الاستشهاديين الأمر الذي يثير رعب قادة الكيان الصهيوني.

ويرى الصحفي الإسرائيلي في أحرونوت سيفر فلوتسكر أن المقاومة استغلت فترات التوقف من أجل إعادة تنظيم صفوفها وتحديد أهداف العمليات الجديدة، و لم يشعروا بنقص في وقود المدافع لديهم: فقد أبدى مئات الشبان والشابات الفلسطينيين استعدادهم للقيام، بعد فترة تدريب قصيرة بتنفيذ عملية استشهادية قوية تدك جموع المستوطنين وجنود الاحتلال الإسرائيلي. ويتوقع الصحفي الإسرائيلي أن يكون هناك طابور طويل من المتطوعين المشبعين برسالة تنفيذ العمليات.

- لقد حاول المثبطون والانهزاميون في قيادة السلطة وبعض العرب في مواقع المسؤولية على شاكلتهم إثارة الألم والجرح الفلسطيني

والتركيز عليه، ومحاولة تمرير فكرة أن هذه الآلام والمعاناة نتيجة للعمليات الاستشهادية التي تنفذها المقاومة الفلسطينية، وهذه المحاولات الخبيثة إنما تخدم الكيان الصهيوني الذي كانت أحد أهدافه من وراء حملة السور الواقي ترسيخ هذه الفكرة لكسر إرادة الشعب الفلسطيني حيث كانت حملته للتدمير والقتل والهدم والسلب وبشكل عشوائي بهدف إيقاع أفدح الخسائر، وهنا نسي هؤلاء المثبطون مقدار الألم والرعب وحجم الخسائر التي حققتها العمليات الاستشهادية في الكيان الصهيوني، والتي لم يشهدوا مثلها منذ قيام دولتهم حسب اعترافات قادهم.

وأمام الأفكار الواقعية الانهزامية لقيادة السلطة الفلسطينية والأنظمة العربية فإن أهمية العمليات الاستشهادية،حسب تقرير المركز الإعلامي الفلسطيني، تبرز بشكل خاص اليوم وهناك أهداف لابد من السعي لتحقيقها وهي على النحو التالي:

- ضرب السور الواقي الذي جند له الكيان الصهيوني قوته وكل عملية وقعت وسوف تنفذ بإذن الله هي هزيمة وإفشال لأهداف حملتهم (العظيمة) وأن آثار هذه العمليات سوف تكون أكبر من السابق؛ لأنها تعيد العدو الصهيوني إلى نقطة الصفر مما يعني ضرب معنويات المجتمع الصهيوني.

ويمكن أن نقرأ النجاحات في هذا الهدف من خلال تعليقات كبار قادة الجيش والصحفيين الصهاينة، فهذا زئيف شيف الخبير الاستراتيجي في صحيفة هاآرتس العبرية يقول: الآن بات من الواضح أن عملية "السور الواقي" لم تضع حدا للعمليات الاستشهادية. و لم يكن هناك توقع أن يحدث ذلك في أعقاب العملية. كان الافتراض هو أن العملية ستثقل على فصائل المقاومة الفلسطينية وتقوض البنى التحتية لهم، ولكن لن توقف تماما موجة العمليات. واذا حكمنا على أساس عدد التحذيرات التي تصل يوميا إلى الشرطة الإسرائيلية بشأن فلسطينيين يخططون للتوجه إلى مدن اسرائيل، يمكن أن نستخلص أن المنظمات الفلسطينية، وفي مقدمتها حماس، لا تفتقد إلى مثل هؤلاء الناس. كذلك قدرتهم على التسلل إلى المناطق المأهولة في إسرائيل ليست قليلة، وذلك بسبب الثغرات الكثيرة في خط التماس على ضوء الإهمال الشديد في إغلاق هذا الخط من قبل إسرائيل.

- إن توازن الردع الذي نادت به حركة حماس، وتمكنت من تحقيقه المقاومة الفلسطينية يحتم الرد بقوة على جرائم ومجازر الاحتلال الذي لم يفرق بين مدني أو مقاتل وبين شيخ أو امرأة أو طفل، والتي ما زالت دماؤهم نازفة حتى الآن، وأفضل رد على ضرب العدو لكافة مدننا وهدم بيوتنا هو ضربه في عمقه، والوصول إليهم في مدنهم لكي يشربوا من نفس الكأس الذي أذاقوه لشعبنا.

ويعترف الصحفي فيشمان بالعودة إلى توازن الردع، قائلا: هكذا عدنا إلى وتيرة عمليتين في الأسبوع الأخير داخل الخط الأخضر. هذا ليس بعد مثل سيل العمليات الاستشهادية التي وقعت في آذار/ مارس ٢٠٠٢، وكذلك قوة المواد الناسفة ونوعيتها لم تصل بعد إلى مستواها عشية عملية "السور الواقي". ولكننا تدريجيا نعود إلى روتين العمليات، التي بطبيعة الأمور ستصبح أشد قوة وأكثر دقة.

- الأمر الأكيد أن وقف ضرب العدو في عمقه (فلسطين المحتلة عام ٤٨) لن يجعله يوقف جرائمه، كما أن تنازل المقاومة الفلسطينية عن الجبهة الأهم والأكثر تأثيرا للعدو والاكتفاء بالجبهة الأبعد عن عمقه (الأراضي المحتلة في الضفة والقطاع) سوف يفتح الباب لتراجعها عن هذه الجبهة أيضا؛ لأنها في النهاية تهدف إلى ضرب الصهاينة، وهو ما لا يقبله العدو حيث يؤكد رئيس وزرائهم الإرهابي أريئيل شارون أن (مستوطنة نتساريم في قطاع غزة) هي في نفس المقام لديه مع تل أبيب أي أن ضربهم في نتساريم وتل أبيب سوف يؤدي إلى نفس النتيجة.
- القضية في النهاية لا تحتاج لتنظير أو براهين فإن فرسان المقاومة الذين يفجرون أجسادهم ويستشهدوا إنما يسعون لتمكين الشعب الفلسطيني من الحياة الكريمة، وهم بذلك يخدمون أسمى مصلحة وطنية ومرضاة الله كأسمى غاية، أما الآخرون (المنهزمون) فإنما

يرضخون للضغوط الإسرائيلية الغربية ويسعون لإرضاء الولايات المتحدة وليس المصلحة الوطنية وأن العالم يحترم القوي، ويحترم حقه في المقاومة لذا خرجت المسيرات والمظاهرات المؤيدة لحقنا في المقاومة، ولا يجب أن نستجيب إلى أولئك الذين يصفون جهادنا ومقاومتنا بالإرهاب.

كما طالب السيد حسن نصر الله - الأمين العام لحزب الله اللبناني - بإعطاء العمليات الاستشهادية فرصة لتتمكن من تحرير الأراضي الفلسطينية كما أعطيت المفاوضات فرصة عشر سنين دون تحقيق نتيجة. وقال في كلمته مساء الخميس٢٣-٥-٢٠٠٢ بمناسبة الذكرى الثانية لانتصار المقاومة اللبنانية: إن العمليات الاستشهادية هي السلاح الوطني والقومي الوحيد الذي لا يستطيع العدو نزعه أو محاصرته. وأكد أن تلك العمليات كانت السبب الأساس لانتصار المقاومة في لبنان؛ لأن الإسرائيليين يرون في الموت فناء وضياعا، والمسلمون يرون فيه حياة أفضل من حياة الذل والمهانة. ووصف الشيخ حسن نصر الله العمليات الاستشهادية أيضا بأنها ثقافة الحياة التي يصنعها الاستشهاديون ليحرروا بلادهم. وقارن نصر الله بين ما قيل عن المقاومة اللبنانية قبل التحرير وما يقال اليوم عن العمليات الاستشهادية؛ وذلك في معرض نقده الشديد للذين يرفضون هذه العمليات من السياسيين والعلماء والمثقفين والحكام العرب. وقال: إن هناك حاجة غربية ملحة لاستصدار فتاوى بتحريم تلك العمليات لوقف المقاومة، يستجيب لها علماء السلاطين..

الذين دعا نصر الله إلى عدم اتباعهم أو الوثوق بهم. وتساءل في خطابه عن ماهية المشروع الوطني الفلسطيني الذي يطالب منتقدو العمليات بالحفاظ عليه، قائلا: إن المشروع الوطني لا يقوم إلا عن طريق العمليات الاستشهادية، لأن الكفاح المسلح كان على مدار التاريخ سبيل التحرير. واختتم نصر الله خطابه قائلا: إن الضعفاء لا يرون في فلسطين غير وجه المأساة. معتبرا أن المقاومة أنجزت في الانتفاضة الأخيرة ما لم يحققه العرب خلال خمسين عاما.

وقال شريف كناعنة المتخصص في علم الانتروبولوجيا (علم الإنسان) إن "الاستشهاد أصبح جزءا من ثقافة المجتمع الفلسطيني (...) والبيئة الفلسطينية باتت مهيأة لإنتاج أعداد كبيرة من الاستشهاديين". وأضاف أن "الفرد الفلسطيني وصل إلى حد الشعور أنه أصبح الخاسر الوحيد سواء بقي ساكتا على ما يواجهه يوميا أو إن قام بعمل عسكري معين ضد هدف اسرائيلي". واتهم كناعنة رئيس الوزراء الإسرائيلي إريل شارون باتباع "استراتيجية مبنية على الفكر الصهيوني القديم (...) وترتكز على القيام بأعمال ضد الفلسطينيين لاستثارتهم ثم معاقبتهم إذا ردوا؛ لأن الجانب الإسرائيلي هو الأقوى". وتابع أن "هدف هذه السياسة هي إيصال الفرد الفلسطيني وبالتالي المجتمع، إلى شعور أنه الخاسر الوحيد سواء ذهب إلى اليمين أو إلى اليسار". وأشار كناعنة الذي ألف عدة كتب عن المجتمع الفلسطيني إلى "حالات القمع والإذلال والإهانة التي يعيشها الفرد الفلسطيني يوميا"، معتبرا أن هذا الوضع "يدفعه في النهاية إلى التفكير بعمل أي شيء

للثأر من انتهاك كرامته". ورفض فكرة تعرض الاستشهاديين لعمليات غسل دماغ من قبل التنظيمات التي ترسلهم. وقال "ليس هناك خبراء قادرون على القيام بعمليات غسل دماغ (..) بل بيئة اجتماعية فرضت ظروفها إجراءات الاحتلال اليومية ويتعرض لها كل فرد فلسطيني يوميا". ورأى كناعنة أن هذا الوضع "يوصل الفرد الفلسطيني إلى مرحلة تتساوى فيها الحياة مع الموت وتجعله مستعدا للموت وإيذاء المتسبب في خلق الظروف السيئة". وأكد أن الفصائل الفلسطينية التي ينتهج معظمها العمليات الاستشهادية أسلوبا للمقاومة ضد إسرائيل "قد لا تبذل جهدا كبيرا في البحث عن استشهاديين ليس شرطا أن يكونوا من المنتمين لها". وقال: "أن عدد الذين يفكرون بالقيام بعمليات استشهادية ازداد عن السابق". وذكر مثالا على ذلك سيدة في مقتبل العمر "أبدت استعدادها الصادق لعمل شيء شبيه بالهجوم الاستشهادي رغم أن وضعها المادي والأسري جيد". وأوضح أن هذه السيدة اتخذت هذا الموقف بسبب" إهانة تعرضت لها عند أحد الحواجز العسكرية، فكيف إن تعلق الأمر بإهانات يومية وقمع وظلم؟". ورفض كناعنة أيضا فكرة أن منفذي العمليات في حالة يأس من الحياة ويستشهدون رغبة في الموت. وقال إن "الحالة الفلسطينية تتمثل في الموت من أجل الدفاع عن الآخرين ومن أجل الآخرين وليس من أجل النفس ذاتها". وحول الرسائل المسجلة على أشرطة فيديو التي يتركها منفذو العمليات، قال كناعنة إنما تهدف إلى "إفهام العالم

رسالته، وأسباب تضحيته بنفسه وإعلام الفلسطينيين الآخرين بأنه مات من أجلهم".

كما يصف الأستاذ إبراهيم سالم – المحامي المصري – العمليات الاستشهادية بأنها قطرة صغيرة ونقطة في محيط عمليات إسرائيل وإجماع الغرب على تقسيم الأمة الإسلامية؛ وفي سبيل ذلك قامت بقتل الكونت برنادوت السويدي، واللورد موين الإنجليزي وأطفال ونساء وشيوخ وشباب فلسطين. لقد انتخب شارون بمعظم أصوات بني إسرائيل لهدم السلطة الفلسطينية، ومن أجل عدم الاعتراف بدولة فلسطين، وإعادة مذابح دير ياسين وصبرا وشاتيلا، في جنين ومدن فلسطين بالدبابات والطائرات مع إتلاف مزارعهم وتقليع أشجارهم، كما أن معظم المدنيين جنود احتياط، ولذلك يستحقون هذه العمليات الاستشهادية أخذا بالأسباب، والسكوت علامة الموافقة والإيجاب على الذل والاستعباد. لقد انتهى عهد المعجزات بترويج الشائعات أن للبيت ربا يحميه.

وتتساءل السيدة الفلسطينية ليلى نابلسي: لماذا نحن دائما المطالبون بالحرص والاحتراس بينما إسرائيل لا تفرق بين مدني وعسكري؟.. وهل كانت البيوت التي هدموها فوق رءوس سكانها من النساء والأطفال في جنين ورام الله ونابلس وغيرها من الأهداف العسكرية؟! لقد أخذوا أرضنا وبيوتنا وحرقوا مزارعنا وقتلوا آباءنا وأمهاتنا وأطفالنا على مدى نصف قرن من الزمان، والآن نحن المطالبون بالحفاظ على المدنيين منهم!! كيف يطلب من

إنسان فقد كل شيء أن يحافظ على رعايا الجانب الآخر الذي يسعى لإبادته؟!

(٢) العمليات الاستشهادية ضد الأهداف العسكرية فقط

لقد حققت العمليات الاستشهادية هدفين رئيسين، أولهما أنها أكدت روح المقاومة الفلسطينية والصمود تحت أعتى الظروف، وأكدت الوجود الفلسطيني في مواجهة حرب الإبادة التي يتعرض لها، والثاني أنها حطمت نظرية الأمن الإسرائيلي، وأكدت أن ذلك الأمن مرهون بتسوية القضية الفلسطينية وإقامة الدولة.. ولقد اكتسب الشعب الفلسطيني تعاطفا دوليا منذ بداية انتفاضة الأقصى قبل عام ونصف العام لم يعرفه من قبل، فكسر بذلك احتكار اليهود للتعاطف الدولي، لكن الحقيقة أن ذلك التعاطف الذي حصل عليه الفلسطينيون لم يكن نتيجة للفعل الفلسطيني، وإنما جاء كرد فعل مباشر وغاضب للفعل الإسرائيلي الذي وصل في وحشيته ودمويته إلى درجة غير مسبوقة، أو هي مسبوقة على مر التاريخ الإسرائيلي من دير ياسين إلى قانا، لكنها لم تكن معروفة للعالم، خاصة المجتمعات الغربية. أما الفعل الفلسطيني في هذه المعادلة وهو العمليات الاستشهادية، فقد كان على العكس من ذلك هو نقطة الاحتكاك بين الفلسطينيين والرأي العام العالمي، وذلك ليس رفضا لفكرة التضحية بالنفس من أجل الوطن، وإنما لأن هذه العمليات لم تعد توجه إلى المدنيين، فتفجير الرجال والنساء والشيوخ والأطفال وهم يتناولون طعامهم بأحد مطاعم البتزا، أو وهم يشترون حوائجهم من السوق

في موسم الأعياد، لم يكن من السهل - خاصة بعد حوادث ١١ من سبتمبر ٢٠٠١ - أن يصنف في العقل الغربي على أنه نضال وطني، وهنا كانت إسرائيل جاهزة بالتفسير البديل الذي يترع عن تلك الأعمال صفة المقاومة الشعبية للاحتلال، ويوصمها بالإرهاب، ويوصم الفلسطينيين جميعا بالإرهابيين، ومن ثم يصبح ما تقوم به إسرائيل من إبادة منظمة للشعب الفلسطيني حربا ضد الإرهاب(!!) تماثل ما تقوم به الولايات المتحدة في أفغانستان، ودفاعا مشروعا عن النفس(!!) كما وصفه الرئيس الأمريكي أكثر من مرة وما زال.

لذا يرى محمد سلماوي - كاتب مصري- أن العمليات الاستشهادية بعد أن حققت هدفها على الصعيدين الفلسطيني والإسرائيلي، الأول بأن أكدت أن الشعب الفلسطيني لن يستسلم مهما بلغت الوحشية الإسرائيلية، والثاني بأن أكدت أن الأمن والسلام لن يتحققا في المنطقة إلا بقيام الدولة الفلسطينية، فإنها تكون بذلك قد وصلت إلى نهاية فترة صلاحيتها، وقد يتحتم الآن أن تتم إعادة بحث فاعليتها حتى لا يفقد الجانب الفلسطيني ما اكتسبه من تعاطف دولي غير مسبوق، ظهرت آثاره في تعدد المظاهرات التي خرجت تؤيد الفلسطينيين وتهاجم الاحتلال الإسرائيلي، في باريس ولندن وروما وبرلين بل وفي واشنطن ونيويورك أيضا، وينبغي أن توجه العمليات الاستشهادية من الآن فصاعدا إلى الأهداف العسكرية فقط، فوقف هذه العمليات تماما هو تراجع عن الهدف الذي تحقق، بينما استمرارها

على هذا النحو يهدد بضياع ما تحقق، إن توجيه العمليات الاستشهادية للعسكريين الإسرائيليين الذين هم رمز الاحتلال الإسرائيلي الغاشم وتجسيد لسياسته الوحشية، لا يمكن إلا أن يكون نضالا وطنيا لا لبس فيه أمام الرأي العام العالمي.



كما طالب الأستاذ مجدي مهنا - رئيس تحرير جريدة الوفد المصرية - بإعادة النظر في العمليات الاستشهادية الموجهة ضد المدنيين، باعتبار أن كسب الرأي العام العالمي هو أحد الأسلحة الأساسية في معركتنا على الساحة الدولية.

كما طالب أيضا الأستاذ صلاح عيسى - رئيس تحرير جريدة القاهرة - بمراجعة العمليات الاستشهادية، واستشهد بمقال للكاتب الصحفي الراحل أحمد بهاء الدين، طالب فيه في ظروف تاريخية مشابهة ــ بإعادة النظر في سياسة خطف الطائرات التي كان يقوم بها الفلسطينيون في ذلك الوقت، فقد أعادنا الأستاذ صلاح عيسى إلى المناخ الذي كان سائدا بعد هزيمة١٩٦٧، فقال: في مناخ الإحباط الذي أعقب نكسة١٩٦٧، ومع ابتعاد احتمالات القيام بعمل عسكري يرد لطمة الهزيمة، وجدت الشعوب العربية في عمليات

خطف الطائرات تعويضا نفسيا عن الإحساس بالمرارة والإهانة، فأحاطتها باهتمام بالغ وبعواطف متوهجة وبإشادة صريحة تبلغ حد التقديس.. إلى أن خرج الكاتب الكبير الراحل أحمد بهاء الدين ذات يوم من عام١٩٧١ على الناس بمقال شهير، اعترض فيه صراحة على خطف الطائرات كأسلوب للنضال، قائلا: إن ذلك لا يكسب له أنصارا، إذ هو يشكل على العكس دعاية مضادة لا تكسب منها إلا إسرائيل؛ لأن إثارة الذعر في ركاب الطائرات المدنيين لا يدفع أحدا للتعاطف مع الفلسطينيين، بل إلى النفور منهم. ويقول صلاح عيسى إنه كان أحد الذين صدمهم مقال الأستاذ بهاء إذ كنت كغيري أحد الذين يتعاطفون بلا حدود مع تلك العمليات، وكنت أقتات كغيري بمشاعر غضب ورغبة في الثأر وحنق على بلادة العالم تجاه ما يرتكبه الإسرائيليون بحق الفلسطينيين، وبعد فترة تأمل توصلت إلى أن بهاء كان على حق، وازددت إعجابا بشجاعته الأدبية، ثم يقول إن مقال أحمد بهاء الدين كان بداية لعملية مراجعة النفس التي انتهت بعد ذلك على حد قوله بإقلاع معظم فصائل المقاومة عن اتباع هذا الأسلوب في النضال.

(٣) المقاومة ضد التواجد الإسرائيلي العسكري والاستيطاني

ويرى الأستاذ ماجد كيالي أنه بالرغم من الاعتراف بأن العمليات الاستشهادية أسهمت في تقويض أمن الإسرائيليين، ورفعت كلفة الاحتلال الاقتصادية والبشرية، ولكن كلفتها الفلسطينية كانت فادحة جدا من النواحي البشرية والاقتصادية، وأيضا، من الناحية السياسية؛ إذ استطاعت إسرائيل

توجيه ضربات موجعة قوضت الشبكة الواسعة من القيادات الميدانية الفلسطينية، وألحقت ضررا هائلا في البنية التحتية والاقتصادية للمجتمع الفلسطيني. أما من الناحية السياسية فقد كان لهذه العمليات نتائج سلبية، فهي، مثلا، أضرت بشرعية المقاومة الفلسطينية المسلحة حتى في الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧، إذ لم يعد الرأي العام الغربي يميز بين العمليات التي تقع داخل الخط الأخضر أو التي تقع في الضفة والقطاع المحتلين. وبينما كان ثمة قبول دولي لعمليات المقاومة ضد الاحتلال شوشت العمليات الاستشهادية على التعاطف، الذي يحتاجه الشعب الفلسطيني كثيرا، وصعبت من تفهم الرأي العام الدولي لأهداف الانتفاضة ولعدالة المقاومة، هذا أولا. وثانيا: استطاعت حكومة شارون التشكيك بشرعية أهداف الفلسطينيين وبصدقية قيادتهم، على المستوى الدولي، إذ استغلت هذه العمليات للترويج إلى أن الهدف الحقيقي لهم لا يقتصر على التخلص من الاحتلال، وإنما يستهدف زعزعة أمن إسرائيل والقضاء عليها. وثالثا: عملت إسرائيل على وضع حربها ضد الفلسطينيين في سياق الحرب الأميركية، والدولية، ضد الإرهاب، مستفيدة من المناخات الهستيرية لهذه الحرب للإمعان في تدمير المجتمع الفلسطيني ماديا ومعنويا وعزل قيادته، والقضاء على كيانه الناشئ باعتباره كيانا إرهابيا أو يدعم الإرهاب. رابعا: أكدت هذه العمليات على الترويج لرؤية حكومة شارون بشأن الطابع الوجودي للصراع مع الفلسطينيين، وأن هؤلاء لا يريدون نابلس والخليل ورام الله وغزة، وإنما يريدون حيفا ويافا

وعكا والجليل، وهو ما عزز من تلاحم المجتمع الإسرائيلي ومن التفافه حول حكومة شارون، في حين أن الانتفاضة وعمليات المقاومة في الأراضي المحتلة كانتا قد أحدثتا تفككا داخل هذا المجتمع بشأن الموقف من استمرار الاحتلال والاستيطان. خامسا: تمكنت حكومة شارون، عبر هذه العمليات، من استدراج الفلسطينيين إلى مواجهة ذات طابع عسكري، لإظهار صورة الصراع معهم باعتباره بين طرفين مسلحين ومتكافئين بمعنى ما، ووصل الأمر إلى درجة أن إسرائيل استطاعت عكس الصورة واضعة نفسها في موقع الضحية، في حين ظهرت صورة الشعب الفلسطيني بوضعية المعتدي مما ساعدها على تغطية ممارساتها الإرهابية والتدميرية ضد الفلسطينيين، فضلا عن أنها بذلك بررت استمرار احتلالها لأراضيهم، ومحاولتها شطب كيانهم الوطني برمته. سادسا: نجحت إسرائيل في جر الفلسطينيين إلى الميدان الذي تتفوق هي فيه، أي إلى الصراع في الميدان العسكري، مما أفرغ الانتفاضة من بعدها الشعبي، وقد زادت العمليات الاستشهادية من كلفة الانتفاضة وخلقت توترا كبيرا في المجتمع الفلسطيني أكثر بكثير من قدرة هذا المجتمع على التحمل وأسهم هذا التوتر غير المحسوب، وغير المنظم في تقصير نفس الانتفاضة، في صراع يفترض أنه طويل ومعقد ومضني. سابعا: لا تسمح المعطيات الدولية والعربية، السائدة، للفلسطينيين بترف طرح الشعارات، مهما كانت محقة، وهذه المعطيات بالكاد تقر بشرعية كفاحهم من أجل دحر الاحتلال، لاسيما وأن الانتفاضة بذاتها، التي هي أصلا حالة فعل في الحدود الجغرافية والبشرية

للضفة والقطاع، لا تستطيع تحمل عبء إيجاد حلول لمجمل قضايا الصراع العربي - الإسرائيلي؛ فإذا كان الفلسطينيون يملكون إمكانية زعزعة استقرار إسرائيل من النواحي السياسية والاقتصادية والبشرية فإن هزيمة إسرائيل بحاجة إلى معطيات دولية وعربية غير متوفرة الآن.

ويضيف أن العمليات الاستشهادية سهلت تنفيذ مخططات شارون المعروفة ضد الفلسطينيين، فبعد عملية ملهى الدلافين في تل أبيب (٢٠٠١/٦/١) قامت إسرائيل باقتحام مناطق السلطة وعلى خلفيتها تم صوغ خطة "تينيت" المعروفة، وبعد عملية مطعم سبارو في القدس الغربية (٢٠٠١/٨/٧) تم إغلاق بيت الشرق، وأخرج المسجد الأقصى والقدس الشرقية من خارطة الانتفاضة بسبب من الإجراءات الحصار المحكم التي اتخذها الجيش الإسرائيلي، وبعد عمليات حيفا والقدس (٢٠٠١/١٢/١) تم التعامل مع المقاومة الفلسطينية من قبل إدارة البيت الأبيض باعتبارها جزءا من بنية الإرهاب، كما تمت استباحة المناطق الفلسطينية من قبل الجيش الإسرائيلي، ومنع الرئيس عرفات من مغادرة رام الله، وبعد عملية نتانيا ٢٠٠٢/٣/٢٧ جاءت عملية "السور الواقي".

ويستعرض بالأرقام النتائج المباشرة لاستراتيجية المقاومة المسلحة، فمثلا وخلال عام ونصف من الانتفاضة (٢٠٠٠/٩/٢٨ إلى ٢٠٠٢/٣/٣١)، لقي حوالي ٤١٥ إسرائيليا مصرعهم نتيجة عمليات المقاومة المسلحة، وفقط ١٥١ من هؤلاء لقوا مصرعهم بنتيجة العمليات

الاستشهادية، ما يعني أن عمليات المقاومة في الضفة والقطاع المحتلين، التي بلغت أكثر من ٨٠٠٠ عملية في العام الأول للانتفاضة بحسب شاؤول موفاز رئيس أركان الجيش الإسرائيلي، هي التي أدت إلى مصرع العدد الأكبر من الإسرائيليين، وليست العمليات الاستشهادية، كما يعتقد غالبا، كما يعني ذلك بأن الفلسطينيين نجحوا، إلى حد ما، بتكريس استراتيجية مقاومة مسلحة ضد الوجود الإسرائيلي الاستيطاني والعسكري في الأراضي المحتلة، وكان من شأن التوافق على هذه الاستراتيجية رفع كلفة الاحتلال بصورة أكبر، وزيادة اللحمة بين الفلسطينيين، وتفويت الفرصة على إسرائيل للنيل من عدالة القضية الفلسطينية، وتشويه صورة المقاومة الفلسطينية، ولكن الفلسطينيين فوتوا هذه الفرصة.

وبشكل أكثر تحديدا، يوضح الأستاذ ماجد كيالي أنه حتى في عمليات المقاومة، لا يقاس النجاح بمدى الخسائر البشرية في الطرف الآخر، وإنما يقاس في قدرة المقاومة على الاستمرار وتنظيمها لطاقاتها وطول نفسها، والتوازن بين قدرتها على الفعل وتحمل ردة الفعل، والتكامل بين المقاومة والعمل السياسي. فمثلا وخلال الانتفاضة الفلسطينية الكبرى (استمرت ست سنوات) قتل ٣٨٣ إسرائيليا، وفي جنوبي لبنان وخلال ١٨ عاما لقي حوالي ٨٦٠ عسكريا إسرائيليا مصرعهم، نتيجة عمليات المقاومة اللبنانية، بمعدل ٤٠ -٥٠ إسرائيليا في العام، أو ٤ قتلى في الشهر الواحد فقط، نتيجة ضبط المقاومة لعملياتها، حتى إن القصف بالكاتيوشا كان يتم بالتناغم مع احتدام

الصراع السياسي، في حين أن المعدل خلال انتفاضة الأقصى بلغ ٢٢ في الشهر الواحد، وفي حين أن العدد الأول (القليل) أسهم بتفكك المجتمع الإسرائيلي، وباندحار الجيش الإسرائيلي من جنوبي لبنان، لم يسهم العدد (الكبير) الثاني في تحقيق هذه النتيجة بل أسهم بعكسها، بسبب اختلاف الظروف، وبسبب عدم تنظيم بنية وعمليات المقاومة.

ويشير الأستاذ كيالي أنه لابد أن يدرك الفلسطينيون، أنهم يواجهون عدوا يتمتع بمستوى عال في التنظيم والتخطيط والإدارة، مما يعني أن مقاومته لا تتم بعقلية قبلية أو أبوية ولا بعقلية ثأرية أو مزاجية، فالمقاومة وسيلة لتحقيق هدف معين، بمعنى أنها ليست غاية في ذاتها، وبذلك فهي ينبغي أن تخضع لمراجعة ونقد مستمرين، وهذا ما يجب أن يركز الفلسطينيون عليه في صوغهم لاستراتيجيتهم السياسية والكفاحية المشتركة.

◈◈ المصادر والمراجع ◈◈

- د. نادية العوضي (٢٠٠٢) "الروبوت..... فارس الحروب القادمة" موقع إسلام أون لاين، ٢٨ من مايو.
- محمد سلماوي (٢٠٠٢) "ردود أفعال العمليات الاستشهادية" صحيفة الأهرام المصرية.
- محمد سلماوي (٢٠٠٢) "العمليات الاستشهادية والجدل المستمر"، صحيفة الأهرام المصرية.
- صحيفة هاآرتس العبرية (٢٠٠٢) "القذائف المسمارية...."
- تقرير (٢٠٠٢) "المستعربون.....سجل الممارسات القذرة ضد ناشطي الانتفاضة"، مركز الإعلام الفلسطيني
- مقابلة صحفية (٢٠٠٢) "صلاح شحادة..... قائد القسامين يتكلم"، الجيل للصحافة-فلسطين، ٢٩ من مايو.
- مجلة الإسلام وفلسطين (٢٠٠٢) "ولكن لماذا الحملة على العمليات الاستشهادية؟"، العدد ٨٩.
- ماجد كيالي (٢٠٠٢) "إشكالية المقاومة المسلحة والعمليات الاستشهادية" ميدل إيست أون لاين
- مقابلة صحفية (٢٠٠٢) "التكلفة المادية للعمليات الاستشهادية"، الجيل للصحافة، فلسطين، ٢٧ من مايو.

- ماهر عبد الرحمن (٢٠٠٢) "الغـــرب... حـــين يرســـم صـــورة الاستشهادي الفلسطيني"، مجلة الإسلام وفلسطين، العدد ٨٩.
- حسام عز الدين (٢٠٠٢) "الاستشهاديون يموتـــون مـــن أجـــل الفلسطينيين الآخرين" ميدل إيست أون لاين، ٢٤ من مايو.
- حسن نصر الله (٢٠٠٢) "ثقافة الاستشهاد أقوى أسلحتنا"، إسـلام أون لاين، ٢٣ من مايو.
- تقرير (٢٠٠٢) "العمليات الاستشهادية بين المؤامـــرة ونجاحـــات المقاومة الفلسطينية" مركز الإعلام الفلسطيني
- تقرير (٢٠٠٢) "الاستشهاديون سلاحنا الإستراتيجي لتوازن الردع" مركز الإعلام الفلسطيني
- مجلة لانسيت البريطانية الطبية (٢٠٠٢) "تحذيـــر مـــن خطـــورة الرصاص المطاطي"
- نهى سلامة (٢٠٠٢) "أبطال الانتفاضة... من الحجارة إلى القسام"، إسلام أون لاين، ١٠ من أبريل.
- تقرير (٢٠٠٢) "قائمة بأبرز العمليات الفدائية الفلسطينية"، الجزيـرة أون لاين، ٢٤ من مايو.
- صحيفة الديلي تلجراف (٢٠٠٢) "غضب يـــهودي مـــن لعبـــة الهجمات الانتحارية على الإنترنت"، ٢٦ من مايو.

- د. نادية العوضي (٢٠٠٠) "الأباتشي والكوبرا في مواجهة الأحجار والحمار!" إسلام أون لاين، ٧ من نوفمبر.
- صحيفة الشرق الأوسط (٢٠٠٢) "أبـــرز العمليـــات العســـكرية النسائية الفلسطينية".
- د. نادية العوضي (٢٠٠٠) "إسرائيل....دبابات ومدافع من أجـــل السلام"، إسلام أون لاين، ١٤ من نوفمبر.
- تقرير (٢٠٠٢) "مبيعات الأسلحة الأمريكية لإسرائيل مـــن عـــام ١٩٩٣ حتى الآن"، برنامج اتحاد العلماء الأمريكيين لمراقبة مبيعـــات الأسلحة.
- ياسر الزعاترة (٢٠٠٢) "العمليات الفدائية.....ماضيـــا وحـــاضرا ومستقبلا"، الجزيرة أون لاين.
- تقرير (٢٠٠٢) "صور الاستشهاديين تزين الهواتف الجوالة"، النجاح للصحافة-فلسطين، ١٢ من يونيو.
- صحيفة معاريف العبرية (٢٠٠٢) "مراهنـــــات علـــى الهجمـــات الانتحارية"، ١٣ من يونيو.
- الشيخ سلمان بن فهد العـــودة (٢٠٠٢) "الإرهـــاب والعمليـــات الاستشهادية"، مجلة الدعوة ١٤٢٣/٢/١٢هـــ.
- صلاح عيسى (٢٠٠٢) "هوامش على سياسة الاستشهاد"، جريـــدة القاهرة.

- مجدي مهنا (٢٠٠٢) "إعادة النظر في العمليات الاستشهادية"، جريدة الوفد المصرية.
- تقرير (٢٠٠٢) "الفلسطينيون يصنعون الحياة عبر بوابة الاستشهاد"، مركز الإعلام الفلسطيني.
- لي هوكست (٢٠٠١) "تقارير عن تعذيب المعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية"، صحيفة واشنطن بوست، ١٨ من أغسطس.
- رمزي بارود (١٩٩٩) "من قتل خالد الشيخ؟"، مجلة حقوق الإنسان العربي، ٢٨ من سبتمبر.
- بي بي سي (٢٠٠١) "الأمم المتحدة تحذر إسرائيل من تعذيب المعتقلين الفلسطينيين"، ٢٣ من نوفمبر.
- مفكرة الإسلام (٢٠٠٢) "زيادة ملحوظة في نسبة المواليد الذكور بغزة منذ بدء الانتفاضة"، ٤ من يونيو.
- قدس برس (٢٠٠٢) "كلاب هولندية لحماية المستوطنات الإسرائيلية"، ١٧ من يونيو.
- أرنون سوفير (٢٠٠٢) "قلق إسرائيلي من القنبلة الديموجرافية الفلسطينية"، صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية، ١٢من يونيو.
- د. نادية العوضي (٢٠٠٢) "الأوضاع الصحية في فلسطين ...للأسوأ"، إسلام أون لاين، ١ من أبريل.

- بي بي سي (٢٠٠٠) "إسرائيل تعترف بتعذيب الفلسطينيين"، ٩ من فبراير.
- المجلة الطبية البريطانية (٢٠٠٢) "اكتشاف سوء تغذية عند أطفال غزة"، ١٦ من مارس.
- يفال جينيار (١٩٩٨) "الأساليب الإسرائيلية للتحقيق مع المعتقلين الفلسطينيين"، مؤسسة بتسليم الإسرائيلية لحقوق الإنسان، فبراير.
- مجلة نيتشر البريطانية (٢٠٠٢) " بداية ظهور الفئران الآلية" ٢٠ من يناير
- صحيفة نيويورك تايمز (٢٠٠٢) "النحل ومكافحة الإرهاب" ١٦ من مارس
- مجلة جيتر البريطانية (٢٠٠٢) "إطلاق صواريخ على سفينة أسلحة فلسطينية" ٦ من مايو
- صحيفة نيويورك بوست (٢٠٠٢) "ظاهرة السفن المهربة للأسلحة في مياه غزة" ١٩ من أبريل
- تقرير (٢٠٠٢) "عملية السور الواقي انتهت.....والرد الملائم قادم"، مركز الإعلام الفلسطيني.
- مجلة نيتشر البريطانية (٢٠٠٢) "التطبيق العسكري لخاصية الاستشعار عن بعد في التماسيح" ٢٣ من أبريل.

- د. هيثم الكيلاني (١٩٩٧) "الإرهاب يؤسس دولة، نموذج إسرائيل" دار الشروق، القاهرة.
- صحيفة الوارلد تيربيون (٢٠٠٢) "عملية السور الواقي تستخدم طائرات هرمس الاستطلاعية"
- صحيفة هستوفيه الإسرائيلية (٢٠٠٢) "القنبلة الديموجرافية الفلسطينية قادمة"، ١٣من يونيو.
- طه خليل (٢٠٠٢) "أداء الجيش الإسرائيلي في ظل الانتفاضة الفلسطينية" ميدل إيست أون لاين.
- مجلة جينس الدفاعية الأمريكية (٢٠٠٢) "إسرائيل تستخدم القذائف المسمارية ضد المدنيين الفلسطينيين"
- تقرير (٢٠٠٢) "الوحدات العسكرية الخاصة للاحتلال تحت المجهر"، مركز الإعلام الفلسطيني، ٢٩ من مايو.
- سي إن إن (٢٠٠٢) "صواريخ القسام.... الورقة الشرسة في الشرق الأوسط"
- بي بي سي (٢٠٠٢) "صواريخ القسام والتوازن العسكري الإسرائيلي الفلسطيني"
- بي بي سي (٢٠٠٢) "تدمير الدبابة ميركافا.... انفجار في رمز العسكرية الإسرائيلية"

- نعومي دهتسور (٢٠٠٢) "جيش الاستشهاديين الفلسطينيين.....أرقام ودلائل"، مركز دراسات الأمن القومي، جامعة حيفا.
- صحيفة يديعوت أحرنوت العبرية (٢٠٠٢) "المنظور الإسرائيلي لظاهرة الاستشهاديين"، ٢٣ من مايو.
- د. نادية العوضي (٢٠٠١) "انتهاكات بيئية على الأراضي الفلسطينية"، إسلام أون لاين، ٣١ من ديسمبر.
- عاموس هرئيل (٢٠٠٢) "عودة العمليات الاستشهادية"، صحيفة هاآرتس العبرية
- إيلكس فيشمان (٢٠٠٢) "العمليات الاستشهادية قادمة بعد عملية السور الواقي الفاشلة"، صحيفة يديعوت أحرنوت العبرية.
- سيفر فلوتسكر (٢٠٠٢) "فشل عملية السور الواقي"، صحيفة يديعوت أحرنوت العبرية.
- زئيف سيف (٢٠٠٢) "تدمير السور الواقي.... عودة للوراء"، صحيفة هاآرتس العبرية.
- نواف هايل التكروري (١٩٩٧) "العمليات الاستشهادية في الميزان الفقهي"

الكاتب في سطور



د. وجدي عبد الفتاح سواحل حاصل على بكالوريوس العلوم بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف من جامعة طنطا عام ١٩٨٧م، وعلى الدكتوراه في فلسفة العلوم في مجال الوراثة الجزيئية من جامعة ليدز ببريطانيا عام ١٩٩٤م، وعمل كباحث بمركز الأمم المتحدة الدولي للهندسة الوراثية والتقنية الحيوية بالهند من عام ١٩٩٦-١٩٩٨م، وعمل أيضا كأستاذ زائر في مركز فيينا الحيوي بالنمسا من عام ٢٠٠١-٢٠٠٢م، ويعمل حاليا "أستاذ باحث مساعد بقسم الوراثة الميكروبية – شعبة بحوث الهندسة الوراثية والتقنية الحيوية بالمركز القومي للبحوث بالقاهرة".

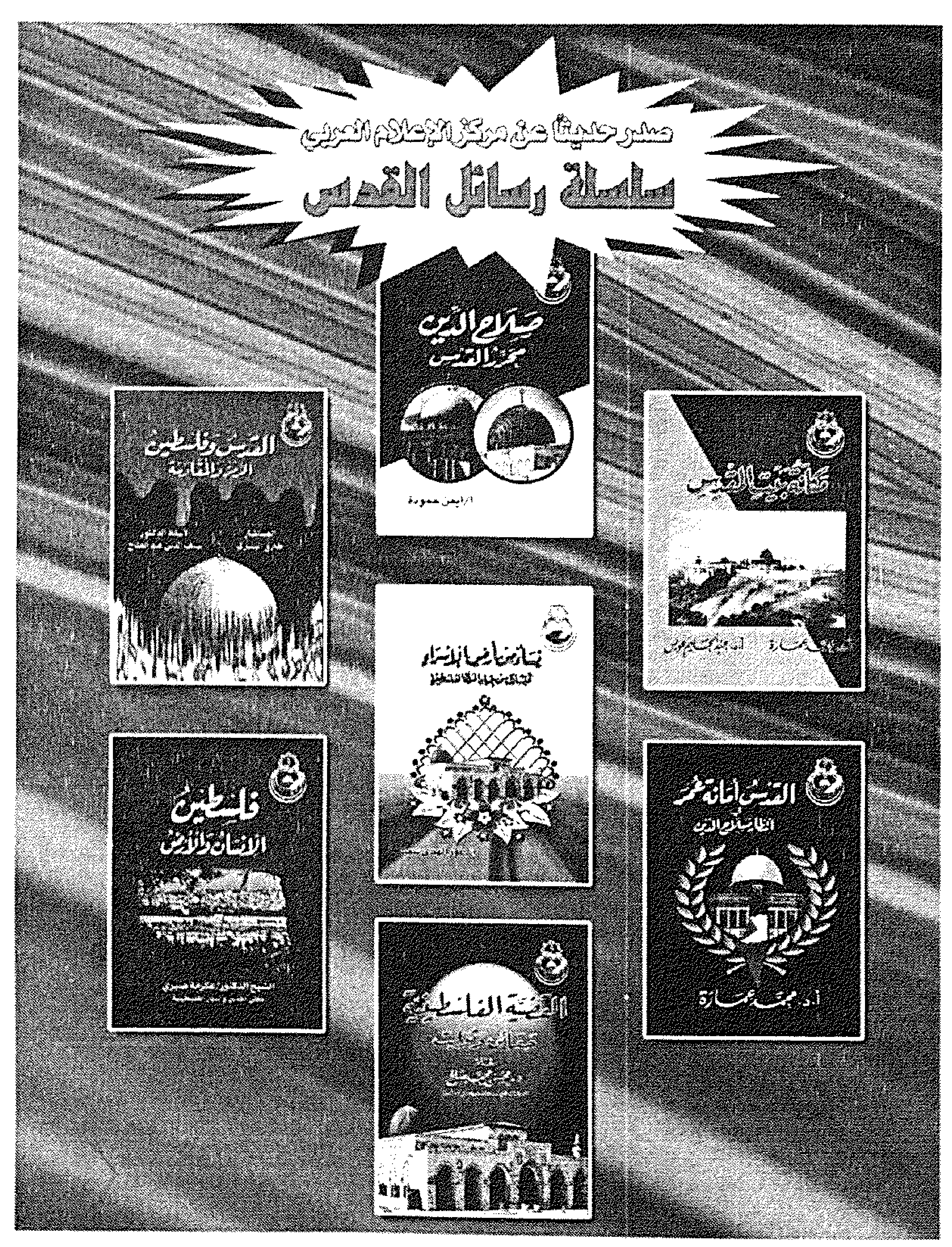
ويعتبر د.سواحل أول عالم عربي يحصل على لقب "بيولوجي محترف" من المعهد البيولوجي بلندن عام ١٩٩٤م، ولقب "بيولوجي أوروبي" عام ١٩٩٦م من رابطة علماء البيولوجيا الأوروبية ببلجيكا، كما تم اختياره عضوا بأكاديمية نيويورك للعلوم وهيئة تحرير المجلة الدولية للبيولوجيا الجزيئية والخلوية التي تصدر في بولندا والشبكة الدولية لأخلاقيات الهندسة الوراثية باليابان عام ١٩٩٧م، وهو عضو بلجان تحكيم أبحاث الهندسة الوراثية في مجلة

بيوتيك الأمريكية منذ عام ١٩٩٤م، كما يتولى رئاسة تحرير السلسلة الدولية للهندسة الوراثية والتقنية الحيوية التي تصدرها دار نشر دايا الدولية منذ عام ١٩٩٦م.

وقد تم إدراج اسمه وأعماله في العديد من موسوعات السير الذاتية للعلماء المتميزين، وله العديد من المؤلفات والأبحاث والمقالات التي تتناول الهندسة الوراثية والتقنية الحيوية من خلال الأبحاث الأكاديمية والتطبيقية والسياسات العلمية والتعليم والتدريب والثقافة العلمية.

وقد حصل على جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٩٥م، وجائزتي المركز القومي للبحوث "القاهرة" للتشجيع العلمي، وأكاديمية العالم الثالث للعلوم "إيطاليا" في عام ١٩٩٨م. كما حصل أيضا على جائزة اللواء دكتور أحمد زهران في مجال الثقافة العلمية في عام ١٩٩٩م من أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا "القاهرة" وذلك على مجهوداته في مجال التنوير والتثقيف العلمي وخاصة إعداده لأول موسوعة عربية للهندسة الوراثية التي تتكون من ١٥ كتابا. وله كتابان منشوران ضمن سلسلة "كتاب القدس" هما (حرب تكنولوجية لقمع انتفاضة الأقصى) و(انتفاضة الإنترنت... من الجهاد المسلح إلى الجهاد الإلكتروني).

المحتــــــــوى


صدر حديثاً عن مركز الإعلام العربي
سلسلة رسائل القدس
صلاح الدين
القدس وفلسطين
فلسطين الإنسان والأرض
القدس أمانة عمر
أ. د. محمد عمارة

صدر من سلسلة كتاب القدس:

١ ـ الخطر يتهدد بيت المقدس .... د. أحمد صدقي الدجاني
٢ ـ القدس قضية أمة .... الشيخ د. جاسم بن مهلهل الياسين
٣ ـ أدبيات الأقصى والدم الفلسطيني .... د. جابر قميحة
٤ ـ أورشليم القدس في الفكر الديني الإسرائيلي .... د. محمد جلاء إدريس
٥ ـ حرب تكنولوجية لقمع الانتفاضة .... د. وجدي عبد الفتاح سواحل
٦ ـ مدن فلسطينية.. آثار تتحدى الأساطير .... أ. فيصل الخيري
٧ ـ القدس بين الانتفاض والتفاوض .... د. محمد خالد الأزعر
٨ ـ انتفاضة الإنترنت من الجهاد المسلح إلى الجهاد الإليكتروني .... د. وجدي عبد الفتاح سواحل
٩ ـ القدس قضية كل مسلم .... د. يوسف القرضاوي
١٠ ـ القضية الفلسطينية.. خلفياتها وتطوراتها حتى سنة ٢٠٠١م .... د. محسن محمد صالح
١١ ـ ملحمة جنين .... تحرير: عبد القادر ياسين
١٢ ـ من الانتفاضة إلى حرب التحرير الفلسطينية .... د. عبد الوهاب المسيري
١٣ ـ القدس وانتفاضة الأقصى وحرب العولمة .... د. أحمد صدقي الدجاني
١٤ ـ الأقصى في مواجهة أفيال أبرهة .... د. حلمي محمد القاعود
١٥ ـ نقض شريعة الهيكل وكيف تعود القدس؟ .... أ. عبد التواب مصطفى
١٦ ـ انتفاضة الأقصى نموذج حضاري إسلامي للمقاومة .... د. سليمان صالح
١٧ - الفكر اليهودي بين تأجيج الصراعات وتدمير الحضارات .... د. عبد الحليم عويس
١٨ - القنابل الاستشهادية: توازن ردع وبشائر نصر .... د. وجدى سواحل
١٩ - تحرير فلسطين: الثوابت، المتغيرات، الواجبات .... د. السيد عبد الستار المليجى
٢٠ - القدس: مقدسات لا تمحى وآثار تتحدى .... د. أحمد الصاوى
٢١ - انتفاضة الأقصى والاستقلال.. تحديات وآفاق .... د. عبد العليم محمد
٢٢ - الطريق إلى القدس .... د. محسن محمد صالح
٢٣ - العمليات الاستشهادية فى الميزان الفقهى .... نواف هايل تكرورى



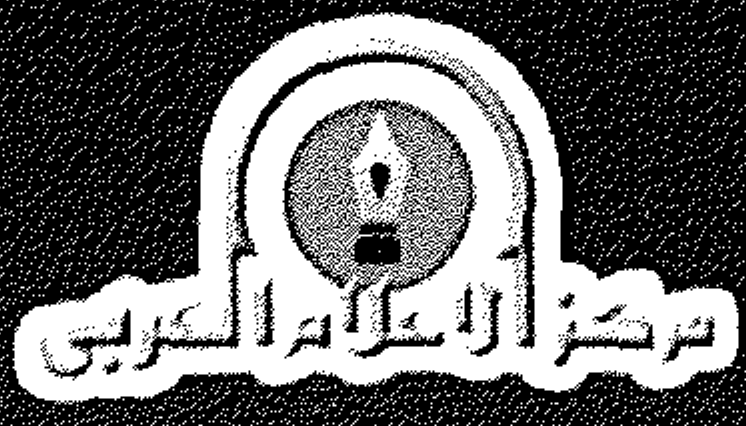
هذا الكتاب

لقد تميزت انتفاضة الأقصى بسيل من العمليات الاستشهادية المتميزة، والتى تكشف عن عبقرية المقاومة الفلسطينية، حيث تميزت بعض العمليات بعدد القتلى الكبير فى صفوف العدو، فى حين تميزت الأخرى بالمهارة فى ضرب العمق الأمنى واجتياز الحواجز المصطنعة.

وحيث كان الاستشهاد هو الأبرز إلا أنه تنوع بالاختراق بطريقة «الكوماندوز» والمواجهة البشرية وغيرهم.

إن ظاهرة الاستشهاديين شغلت بال الباحثين وخبراء الجيش والأجهزة الأمنية الصهيونية فتعد محاولاتهم لإخمادها أو الحد منها.





ت: 3833361(00202) - ف: 3851751(00202)
ت: 3844422(00202) - 7445455(00202)
ص . ب 93 الهرم - الجيزة - مصر